على مائدة الأدب

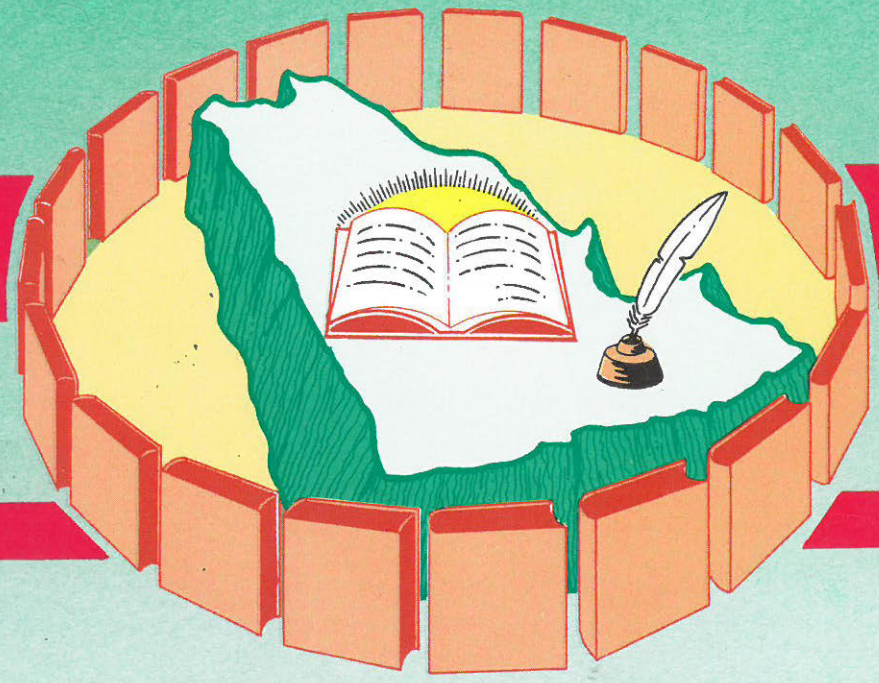

عبدالله بن حمد الحقيل

عبد الله بن حمد الحقيل

على مائدة الأدب

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بإذن المديرية العامة للمطبوعات
رقم ٥١٥٨ في ١٤١٢/٧/٨هـ

الطبعــة الثـانيــة
مزيدة ومنقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

إضاءة على درب الأدب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

لهذه البلاد ماض أدبي عريق، فهي منارة الأدب وقلعة المعرفة والهداية، ومهد الفصاحة والبلاغة ومنطلق الشعر ومأزر الفكر والأدب ، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين وملتقى الشعر والشعراء على امتداد التاريخ يتلقفها كابر عن كابر استطاعت خلال حقبة من الزمن أن ترسل أضواءها الروحية والثقافية إلى معظم أرجاء المعمورة.

ولعل التاريخ يعيد نفسه ، فقد بدأت بشائر نهضة أدبية وطلائع وثبة فكرية تتدافع نحو الأمام وترسم السبل لتوصل اللاحق بالسابق ، ففي بلادنا اليوم حركة أدبية واعية بفضل الوعي والمعرفة واتساع آفاق الثقافة والفكر.

فالنهضة التعليمية بددت سوق الجهل والظلام حيث نمت حركة التعليم العام والجامعي وتعددت منشآته ومؤسساته ومن بواعث الغبطة والأمل أن نشهد اليوم تطورا فكريا يمثل ذخيرة حية مزدهرة تمد القارىء بروافد المعرفة والثقافة المستندة الى أساس من العقيدة الصافية والقيم الروحية الخالدة .. وبعد:

فهذه البحوث والموضوعات في نواح تتقارب في مضمونها ومنطلقها بما يربطها من وشائج المواكبة للعديد من الأمور الثقافية والقضايا الأدبية والنقدية كتبتها في أوقات متفرقة عن الأدب والنقد والشعر في بلادنا.

ولقد رأيت أن أجمع أشتاتها هنا وأقدمها للقارىء في هذا الكتاب لاسيما وأن الموضوع حيوي وطريف ، فالأدب في بلادنا ذو سمات ومميزات خاصة ولعل هذه الأحاديث الأدبية والخواطر الفكرية تكون دافعا لدراسات

أوسع وحافزاً لبحوث أعمق ولاسيما في هذا العصر الذي تعددت فيه جوانب العطاء الأدبي والفكري في مجالات مختلفة من الأدب والشعر والتراث والنقد.

ولعل ما في هذا الكتاب هو مشاركة أدبية متواضعة وعاطفة مفعمة بالحب لهذا الوطن بكل ما يتسع له هذا الحب من مشاعر وعواطف وأحاسيس في هذا المضمار ، وهنا يسمو دور النشاط الأدبي الذي يفرض اليوم نفسه على الساحة الأدبية متمثلا في هذه الكتب والإصدارات الفكرية التي تفوح منها عبير هذا البلد الطيب المعطاء والتي تعبر لنا عن أصالته وتراثه الأدبي . منذ بزوغ نور العلم في هذا البلد الأمين.

وتجسد لنا هذه الصورة الأدبية في أثوابها السندسية يجلوها ويصوغها شعراً ونثرا.

ولا عجب أن يعيد التاريخ نفسه يوم كان أسلافنا من أبناء هذه الأرض المباركة يضربون آباط الإبل ويركبون صهوات الخيل من مختلف مناطقهم لحضور المواسم والأسواق الأدبية في عكاظ وفي المجاز والمجامة وهجر ومجنة والمربد .. وغيرها مما حفل الأدب العربي بذكره ويتفاعلون معها شعراً وكلمة وأدبا ويتقبلون النقد ولا يستنكفون منه .. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة .. فتروي كتب الأدب العربي أن أحد الأعراب قد لحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرشدوا صاحبكم فقد ضل وهذا الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصحح قول أحدهم عندما قال له لا سلمك الله فقال له عمر أدّبكم الإسلام فلم تتأدبوا هلا قلت لا وسلمك الله.

ولدينا اليوم بفضل الله الوسائل والسبل التي من شأنها أن تجعلنا في واقعنا وموقعنا الذي ينبغي أن نكون فيه ، ولذا فمسؤوليتنا مضاعفة في رقي

الأدب وازدهاره وتطوره ليبلغ أوجه وغايته ومجده الغابر ، وليأخذ مكانه اللائق به بين مواكب الآداب العالمية الأخرى.

إن أدبنا هو مرآتنا فلننطلق به إنطلاقة جادة متوثبة لتحقيق أهدافه وأغراضه وتحقيق ما نصبو اليه من آمال وما يراودنا من أماني.

وبعد : فهذه الأفكار والآراء لا تتجاوز أن تكون كلمات مخلصة على درب الفكر ومسيرة الأدب ومسؤولية الحرف ، وهي إسهام متواضع في بناء صرح النهضة الأدبية في بلادنا الفتية الناهضة .

حقق الله الآمال وهو المعين والموفق

للصواب والسداد ....،،

المؤلف

عبدالله بن حمد الحقيل

مقدمـــة . .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وبعد :

سبق أن قامت دار أبها للثقافة والنشر لصاحبها الأديب الدكتور / عبد الله أبن ثقفان ، بطباعة هذا الكتاب وإخراجه ولقي قبولا ورواجا ونفدت طبعته الأولى مما حدا بي إلى إعادة طباعته للمرة الثانية مع إضافة بعض الموضوعات الأدبية المناسبة من قضايا الساحة الأدبية وهي منبعثة من أعماق نفس تنشد الخير وتهدف إلي الإصلاح واتساع مساحة دائرة الوعي والثقافة والأدب وآمل أن تكون موضوعات هذا الكتاب باقة أدبية عطرة على هذه المائدة الأدبية المتواضعة محفوفة بأزاهير الأدب وحافلة بأفانين الفكر ومفعمة بشذرات الشعر ونماذج من التراث منشداً قول الشاعر العربي :

وإذا الأديب مع الأديب تلاقيا كانا من الآداب في بستان

وبلادنا وهي مهد الأدب ومنطلق الفكر العربي ومهد الإسلام جديرة أن تتبوأ مكان الصدارة في بلوغ الهدف الأسمى ، وعلينا أن نجعل لأدبنا ذاتًا ومكانة ، وأن يسهم الأدب في توعية الأمة وتنويرها وخدمة الأدب بجميع فنونه وفروعه منشداً قول أبي تمام :

إن فاتنا نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وغاية الأمل أن يجد القارئ في هذه المائدة الأدبية شيئا من المتعة والفائدة ومما يشده إليها مما يلبي النهم ويشبع الرغبة ، ولقد قيل: «خير القول ما صدق فيه قائله وانتفع به قارئه . .»

وحسبي ما قاله الشاعر:

إن تجد عيبًا فسد الخللا جَلَّ من لاعيب فيه وعلا

ومن الله العون والتوفيق ، ومنه العفو والمغفرة عما نضل فيه ، والكمال لله وحده وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . .

الرياض في رجب ١٤١٢ هـ - يناير ١٩٩٢ م

عبد الله بن حمد الحقيل

على مائدة الأدب(*)

عرض وتحليل

«**على مائدة الأدب**» كتاب يضم عدداً كبيراً من المقالات والبحوث التي كتبها المؤلف على فترات زمنية متباعدة ، ويستهل المؤلف موضوعات كتابه بعرض ما لجزيرة العرب من ماض أدبي عريق ، فهذه البلاد هي منارة الأدب وقلعة المعرفة ومهد الفصاحة والبلاغة ومنطلق الشعر ومأزر الفكر والأدب ومهوى أفئدة العرب والمسلمين وملتقى الشعر والشعراء على امتداد التاريخ.

ويتوقع المؤلف بعثًا أدبيًا وفكريًا وتواصلًا يربط اللاحق بالسابق حيث تتضح الآن حركة أدبية واعية واتساع في أفاق الثقافة والفكر.

والكتاب في مجمله مزهرية تضم مجموعة ورود مختلفة الألوان إلا أنها تتقارب في مضمونها ومنطلقها بما يربطها من وشائج المواكبة للعديد من الأمور الثقافية والقضايا الأدبية والنقدية ويؤكد الكاتب أن الأدب هو مرآة المجتمع ويجب أن ننطلق به ليحقق أهدافه وأغراضه وما نصبو إليه من آمال وآمان.

والأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل هو أحد الشخصيات الرائدة في المجال التربوي والفكري .

- ولد بالمجمعة سنة ١٣٥٧ هـ. تخرج من كلية اللغة العربية عام ١٣٧٨ هـ وحصل على دبلوم المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التربية والتعليم في البلاد العربية في عام ١٣٨٢ هـ.

كما حصل على الدبلوم العالي في الإدارة والتعليم من جامعة أوكلاموما في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٣ هـ.

عمل معلمًا للتربية الإسلامية واللغة العربية ومديراً لمدرسة اليمامة الثانوية بالرياض وموجهًا تربويًا ومديراً لإدارة الكتب والمقررات المدرسية ثم مديراً

(*) ملحق الأربعاء الأسبوعي رقم ٢٥٦ بتاريخ ١٨ رمضان ١٤٠٨هـ.

لإدارة التخطيط التربوي بوزارة المعارف ومديراً مساعداً لوحدة الإحصاء والبحوث والتوثيق التربوي ثم أميناً عاماً للمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون..

كما عمل سيادته خبيراً ومستشاراً تعليمياً بمكتب وكيل وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية.

– بعد ذلك انتقل للعمل بدارة الملك عبد العزيز بالرياض حيث أصبح مديراً عاماً للشؤون الفنية ومديراً لتحرير مجلة الدارة ، ثم أميناً عاماً للدارة ، ويعد الأستاذ الحقيل من الرواد التربويين والأدباء والباحثين الذين أثروا الساحة الأدبية والثقافية بالعديد من الأبحاث والكتب القيمة.

الأدب ورسالته في الحياة

إن الأدب بمفهومه المطلق والعام هو من أهم الموضوعات المطروحة في هذا الكتاب. حيث تناول المؤلف موضوع الأدب من كل زواياه تقريباً فيقول :

إن الأدب يأخذ في مجتمعنا مكاناً رائداً حيث أن الصلة بينه وبين الحياة هي صلة قديمة ، وللأدب رسالة سامية ومهمة أصيلة ودور حيوي هام في بناء الحياة وتطوير المجتمع والانطلاق به إلى مستقبل كريم ، ورغم تعدد البحوث والدراسات في مختلف ألوان الأدب وفنونه ومدارسه المتعددة وما يصاحب ذلك من إصدارات إلا أن قراء الأدب قد قلوا وبقيت الكتب تتكدس بها رفوف المكتبات إذ أن هناك انصرافاً عن الأدب . والحقيقة أن التيار المادي أخذ يجرف كل شئ في طريقه ، كما أن وسائل الحياة العصرية وما صاحبها من متغيرات في شتى أمور الحياة أثرت إلى حد بعيد في تفكير الأفراد كتاباً أو قراءعلى حد سواء ، لذلك أصبحت الساحة الأدبية في الوطن العربي مقفرة من العطاء الأدبي الجيد المتكامل وصاحب ذلك اضمحلال في مستوى النقد الأدبي أيضاً لابتعاده عن الواقع الفعلي الذي يرتكز عليه العمق الثقافي ويحث الكاتب المحررين المسؤولين عن الصفحات الأدبية على متابعة الحركة الأدبية خارج الحدود ومتابعة التطورات الثقافية والأدبية والإستفادة منها، ويشير إلى أن الأدب مسؤولية ذات أبعاد وأهداف نبيلة وإن الأديب فنان صادق وهو كالمصباح المضيء يجب أن لا ينطفئ في زحام الحياة.

تعريف الأدب

يمكننا القول أن الأدب هو خلاصة عناصر متعددة من لغة وأساليب ومعان ، ومن المعروف أن هناك اختلافًا وتفاوتًا في تعريف الأدب حيث أن تعريفه من الأمور التي لم يتفق عليها الأدباء إلى هذه اللحظة ، ولكن المؤلف يضع لنا تعريفًا بسيطًا مقبولاً إلى حد بعيد وقد ربط في تعريفه بين عملية الأدب والأديب والقارئ حيث قال:

(إن الأدب هو التأثير ، وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو أدب ، وهناك صلة بين الأديب والقارئ ، فالأديب مؤثر والقاريء متأثر والأدب هو ذلك التأثير الذي ينتقل من الأديب إلى القاريء).

أزمة في النقد . . والنقاد

قد تعرض المؤلف لموضوع النقد الأدبي في العديد من مقالاته التي ضمها الكتاب وقد أبرز ما للنقد من دور خطير مؤثر على مسيرتنا الأدبية مؤكدًا أنه بدون النقد لانستطيع أن ندرك أين نحن؟ . وأين نقف على خارطة الأدب؟

ويتحدث الأستاذ الحقيل عن أزمتنا النقدية الطاغية الآن فوق سطح حياتنا الأدبية معللاً ذلك لعدم وجود الناقد الذي يلتزم بقواعد النقد ومناهجه ويعطي الرأي الصحيح في مختلف قضايانا الفكرية ويحفظ لأدبنا كيانه وشخصيته ويصونه من التردي والهبوط -فالنقد علم وفن . والناقد يجب أن يكون على جانب من الثقافة والوعي والمعرفة والنضوج وبعيدًا عن الهوى ومتجردًا من الأنانية والمصلحة الشخصية بل يأخذ بيد المنقود وبوجهه ويقدم انتاجه موضحًا نقاط الضعف ومواطن النقص فيه مبرزًا المحاسن ومواضع القوة والإجادة والإبداع ، فيفيد القارئ والكاتب معًا . ويتعرض المؤلف لأولئك النقاد الذين لايملكون أدواتهم النقدية فيقول : إن كثيرًا من نقادنا يشطحون ويبتعدون عن النهج السوي عند تناولهم لموضوع فكري أو انتاج أدبي أو قطعة شعرية أو نظرية أدبية فلا يتعمقون في الناحية الموضوعية ، ولا يسلطون أضواءهم على كل الصفات وإنما يشيرون إلى كل عتمة وضباب .

يشيرون إلى كل عتمة وضباب .

إننا نشعر بفراغ هائل في حياتنا الأدبية من جراء عدم وجود الناقد الذي يضع مقاييسه الأدبية وفق مناهج البحث النقدية ذلك الناقد الذي يملك الإحاطة الوافية بأصول النقد ومناهجه ، ويتساءل المؤلف – متى نجد مثل هذا الناقد المؤهل؟ ويشير المؤلف إلى مالدينا في التراث من مؤلفات نقدية رائدة تعتبر من صفوة كتب النقد ومن تلك الكتب على سبيل المثال (الشعر والشعراء لابن قتيبة – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للأصفهاني – كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق – طبقات الشعراء لابن سلام – كتاب الآمالي وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وغيرها..).

اللغة العربية وشخصيتنا القومية

يثير المؤلف في كتابه قضية هامة وحساسة طالما شغلت الكثيرين من المتخصصين والأدباء والمثقفين وهي قضية تكاد أن تكون مطروحة بشكل مستمر على الساحات الأدبية ألا وهي قضية اللغة وكيفية حماية لغتنا العربية الجميلة والحفاظ عليها ووجوب ذلك ، حيث أنها لغة القرآن الكريم وقد بقيت قروناً طويلة منبعًا ثرا أصيلا للثقافة والمعرفة مبينًا أن لغتنا هي شخصيتنا وقوتنا ومنطلقنا ، وما تواجهه اللغة العربية الآن من غزو شرس لهو ظاهرة مؤسفة. وما يحدث اليوم أشبه ما يكون بما كان يفعله الاستعمار من محاربة اللغة العربية لتحطيم الروح والأخلاق والدين ، ويشير إلى تغلغل اللغات الأجنبية إلى الأسواق والبنوك والشركات والمطاعم مؤكدًا أن إضاعة اللغة إضاعة للذات والتراث والأصالة ، وإن كان من الضروري الاقتباس من أي لغة أخرى فإن ذلك يجب أن يحدث وفق معايير ومقاييس دقيقة بحيث يمكننا مسايرة الحضارة المعاصرة دون أن تضيع شخصيتنا وأصالتنا، ولاننسى أن الحضارات العربية قد أخذت من العرب الكثير من الشعر والنثر مثل ديوان الحماسة لأبي تمام الذي ترجم إلى اللاتينية وطبع في أوروبا عام ١٧٤٨ م وكذلك المعلقات السبع التي ترجمت إلى الانجليزية فضلاً عما أخذ من العلوم والآداب والفنون عن طريق الأندلسيين.

ويشير المؤلف إلى بعض أشهر كتب اللغة التي وهب أسلافنا - يرحمهم الله - أنفسهم لكتابتها ليجمعوا اللغة ويدونوها ، وهي كتب كثيرة تزخر بها المكتبة العربية ويحق لنا أن نفاخر بها وبهذا التراث الثقافي الهائل، ومن تلك الكتب على سبيل المثال (تاج العروس - الأغاني - لسان العرب - المفصل - الكشاف).

ويستنكر المؤلف بعض المقولات التي تريد أن تنال من لغتنا العربية الجميلة والتي تصفها بالقصور وعدم استيعاب المسميات الحضارية ومستحدثات التكنولوجيا وما إلى ذلك مؤكداً أن لغتنا العربية هي من أغنى لغات الدنيا ولكننا بحاجة إلى مجموعة من علماء اللغة لمواجهة هذا الغزو ووضع خطة لمسايرة التطور المستمر والقيام بتعريب العديد من المصطلحات والألفاظ المختلفة في شتى ميادين العلوم والحياة إذ لا مناص لنا من ذلك ، فنحن في حاجة لاختيار الألفاظ العربية الملائمة ووضع معاجم باللغة العربية للعلوم والطب والكيمياء والطبيعة والنبات، ومما لاشك فيه أن ذلك سوف يساعد على الرقي بلغتنا علمياً وثقافياً وإذا كانت كل أمة تعتز بلغتها وتراثها وأرضها ، أولى بنا أن نحافظ على لغتنا واعتزازنا بتاريخنا وتراثنا الذي ترتكز عليه شخصيتنا ولكنه من المؤسف أننا صرنا نسمع كلمات أعجمية كثيرة تتدفق علينا باستمرار والسبب يرجع لكثرة الوافدين إلى ديارنا من شتى الأجناس نظراً لما نمر به من مراحل نمو وتطور حضاري يحتم علينا الاستعانة ببعض الجنسيات الأجنبية ، وكم يحز في النفس أن نسمع كلمات من بعض أساتذة العلوم توحي بأن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ولعل مرد ذلك إلى جهل بعضهم بقواعد وأسرار اللغة ومواطن قوتها، ويورد المؤلف بعض الكلمات التي صارت شائعة وينطقها أبناء الضاد كما جاء في الجدول.

وتحت عنوان **(نحو مستقبل أدبي)** يؤكد المؤلف أنه لاغرو ، أن يعيد التاريخ نفسه لتصبح هذه البلاد مصدر النور والمعرفة والثقافة خاصة وأن جامعاتنا اليوم تسير في طريق المعرفة بشكل عملي ويوجد بين هيئاتها التعليمية نخبة واعية وطبقة مثقفة وإن واجب أولئك المشاركة بالبحوث العلمية المفيدة عن تراثنا وآدابنا فالكثير

من شبابنا يجهل حقائق تراثنا جهلاً يدفعه إلى الإنصراف عنه.

الأدب السعودي . . والحدود. .

يتعرض الأستاذ الحقيل إلى أهمية إبراز الأدب السعودي المعاصر مبينا أن اهتمام الأمم بأدبائها دليل وعي وموضع فخر إذ الأدب مظهر من أبرز مظاهر حياة الأمة وعنوان رقيها وتاج تطورها وصدى صوتها مشيراً الى أن جائزة الدولة التقديرة خطوة رائدة وقد جاءت في وقت يتطلع الكثيرون فيه الى مثل هذه اللفتات التي من شأنها أن ترفع من معنوية الأديب وتحفزه الى مضاعفة الجهد كما أنها تدل علي حرص الدولة على تكريم الأدباء وتشجيعهم . ولعله من نافلة القول ألا يغيب عن أذهان المفكرين أهمية ابراز الأدب السعودي المعاصر ليكون قادرا على الاشعاع والنفاذ والحيوية ويعبر حدودنا الى العالم العربي والإسلامي حيث الملايين من أبنائه يتطلعون إليه ، وتحسب أنه قد بدت تباشيره في التألق والبروز والامتداد ، والجدير بالذكر أن المكتبة السعودية تحفل الآن بنتاج كريم وتسهم إسهاماً فعالا في تنشيط الحركة الأدبية والعلمية بصدور مجموعة من الكتب والمؤلفات العديدة في شتى الفنون الأدبية والآثار الفكرية الى جانب العديد من الدواوين الشعرية وتحقيق جزء من الكتب التراثية التي لها صلة بالتراث الأدبي والثقافي ويؤكد المؤلف قائلاً لاستمرارية هذا العطاء نحن بحاجة الى المزيد من الجهد خاصة فيما يتعلق بنشر هذا النتاج والتعريف به ، وهنا تكمن أهمية دور الإعلام ووسائل الدعاية المناسبة مشيراً الى قلة منافذ توزيع الكتاب السعودي ونشره خارج المملكة ، خاصة وأن الكثيرين من الأدباء والشعراء العرب ليتساءلون كثيراً في خارج بلادنا عن الأدب السعودي ويتوقون إلى قراءته والتعرف على معالمه لقد آن الآوان وبلادنا اليوم تنطلق الإنطلاقة الرائعة في مختلف المجالات ، أن ينطلق انتاجنا الأدبي إلى مختلف الآفاق والأبعاد.

وينتقل بنا الأستاذ عبد الله الحقيل من موضوع إلى موضوع ومن قضية إلى قضية ومن فكرة إلى فكرة فاستحق الكتاب مسماه (على مائدة الأدب) من حيث كونه عامراً بالوجبات الشهية الخفيفة السهلة الاستيعاب والهضم . . فالمؤلف يحدثنا عن العديد من الأمور الأدبية الهامة التي تثار من آن لآخر لما لها من أهمية بالغة

ويبدي لنا رأيه الصائب في تلك الأمور فهو ينتقل بنا من خلال هذه المائدة المتنوعة الوجبات من وجبة الى أخرى سالكا خطا فكريا تصاعديا بتعريف الأدب ورسالته في الحياة مركزا على ما للغة العربية والحفاظ عليها من أهمية قصوى متطرقًا لصمودها عبر القرون وما لتراثنا الأدبي من مكانة رفيعة ، متنقلا بعد ذلك الى النقد الأدبي والتعريف به وبمناصرة أصوله ، مسجلا رأيه في الناقد وما يجب أن يكون عليه من علم وثقافة وحكمة مؤكدا ما للنقد من دور في الأخذ بيد الأدباء ووضع أدبنا في مقامه المناسب ودوره في تبيان ما لنا وما علينا.

ثم ينتقل المؤلف الى أهمية تعريب المصطلحات الأدبية والعلمية مرورا بالحديث عن الأدب الأندلسي ثم المجمع اللغوي أحد صروح العلم والمعرفة في بلادنا.

ويبين لنا المؤلف أهمية ما للترجمة من دور هام وما لها من أثر بارز في اثراء أدبنا العربي وامداده بالكثير من صور الخيال حيث أن الترجمة قد زودت الأدب العربي زادًا خصبًا وسهلت اتصال الثقافة العربية بثقافات الأمم الأخرى فقد نقل المترجمون علوم وآداب الأغريق الى اللغة العربية مثل كتب أرسطو وافلاطون وجالينوس وقليدس وكان ذلك في العصر العباسي حيث زاد التلاحم في ميدان الأدب ، الفكر العربي والفكر الأغريقي عن طريق ترجمة ذخائر الآداب والمعارف للأمم الأخرى من سريان وفرس.

ويمر المؤلف في كتابه على العديد من الموضوعات والفن كالشعر والقصة والمسرحية والمقامات الأدبية مبينا ما لهذه الفنون من جمال ودور مؤثر في المجتمعات المختلفة ومؤرخًا لها في بعض الأحيان ، كما جاء في حديثه عن المقامات الأدبية، ويتحدث المؤلف أيضا عن بعض الشخصيات الأدبية مثل العقاد وأحمد أمين ومحمد رضا الشبيبي مشيرًا الى أعمالهم الأدبية ومالها ولهم من ثقل بين الأدباء الرواد ، ثم يسجل الأستاذ الحقيل في كتابه العديد من الآراء الهامة حول ما للوثائق من دور في خدمة الأدب وما للملاحق الأدبية من أثر بالغ في دفع العطاءات الفكرية الى الأمام وما لها من شأن في إثراء الحركة الأدبية. وأيضًا ما للموسوعات من أهمية في التطور الثقافي والعلمي وما لها من دور في تقديم الزاد الموفور من المعرفة للباحثين ، وأيضًا ما للبحوث الأدبية في جامعاتنا

من أهمية ، وواجب الحفاظ عليها وطباعتها وحفظها في المكتبات للاستفادة منها لما تحمله بين طياتها من ثمرات في شتى ألوان المعارف والعلوم والأدب والحضارة الإسلامية.

وبعد . . فإن هذا الكتاب الهام ، **على مائدة الأدب** ، للأستاذ الأديب عبد الله بن حمد الحقيل لهو نافذة كبيرة مفتوحة تستطيع أن تطل منها على عشرات الموضوعات الأدبية البالغة الأهمية والتي تشكل في مجملها حياتنا الأدبية بكل زواياها بدءا بتراثنا العظيم ، مرورًا بأدبنا المعاصر وانتهاء بما يجب أن تكون عليه ساحتنا الأدبية في المستقبل إن شاء الله.

حسام الدين شوقي

الأدب ورسالته في الحياة

الصلة بين الأدب والحياة صلة قديمة ويأخذ الأدب، مكانه في المجتمع قائداً ورائدا وللأدب رسالة جليلة ومهمة أصيلة ودور حيوي هام في بناء الحياة وتطوير المجتمع والانطلاق به الى غد أفضل ومستقبل كريم.

ولقد كثرت أخيرا الدراسات والبحوث والكتب الأدبية لمختلف ألوان الأدب وفنونه وتياراته ومدارسه المتعددة وبجانب هذا الفيض الزاخر فقد قل قراء الأدب وبقيت هذه الكتب في رفوف المكتبات إذ أن هناك انصرافا عن الأدب والانتاج الفكري والأدبي.

بينما رسالة الأديب تحتم عليه الالتزام بأمانة الأدب وواقعيته لأن الأدب ينبض بالوجدان وواجب الأديب أن يأخذ دوره في الحياة ويجند أدبه وقلمه لخدمة الأمة والمجتمع ويمارس عمله في الحياة بكل اخلاص واحساس ومسئولية ويجب ألا يتخلى الأديب عن دوره ولا يفقد الأديب مكانه ورسالته ولا يتخلى عن موضعه فنحن أحوج ما نكون في هذا العصر الى الأدب المثالي الذي تجتاحه جحافل المادية بكل ضراوة وتحاصره من كل جانب نريد أدبا سخيا بالمثل العليا ومليئا بمكارم الأخلاق والفضائل الاسلامية ومفعماً بصدق القول ونقاء الكلمة وعمق الإخلاص .. أما ما تموج به بعض الكتب والصحف من أدب الجنس والذي يمثل تيارا متدفقا متدافعا فلا شيء من هذا بجديد.

إن رسالة الأديب رسالة عظيمة تستهدف الحق والخير والجمال ومن حسن ذوق الأديب أن يستوعب في أدبه احساس مجتمعه ويعبر عما يعتمل في بيئته فالأديب كالطبيب النطاسي للمجتمع يشعر بالمسئولية والتبعة الملقاة على عاتقه ويأخذ بيد أمته الى الخير فتكون كتاباته وتوجيهاته مفعمة بالرأي السديد والتوجيه الحكيم وزرع الأمل في النفوس والطموح إلى أبعد الغايات والالتزام بقواعد الأدب ومناهجه

بين النقد الأدبي والتاريخ الأدبي

النقد في أدق معانيه هو «فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة» وهو روح كل دراسة أدبية اذا صح أن الأدب هو «كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين لتثير لديهم بفضل خصائص صياغتها صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو احساسات فنية[1]» والنقد هو الذي يظهر تلك الخصائص ويحللها.

ويأتي التاريخ الأدبي «فيجمع تلك المؤلفات تبعا لما بينها من وشائج في الموضوع والصياغة وبفضل تسلسل تلك الصياغات يضع تاريخ الفنون الأدبية، وبتسلسل الأفكار والاحساسات يضع تاريخ التيارات العقلية والأخلاقية، وبالمشاركة في بعض الألوان وبعض المناحي الفنية المتشابهة في الكتب التي من نوع أدبي واحد ومن تأليف نفوس مختلفة يضع تاريخ عصور الذوق[2]». وللناقد الفرنسي أناتول فرانس قول في النقد فهو يرى أن الناقد انسان يطوف رياض الأدب والفن ويسهل بذلك على الناس ارتيادها فيهيء لهم مجلسا لكي يستمتعوا بجمالها.

وعلى هذا يدرس النقد رثاء المهلهل لأخيه كليب والخنساء لأخيها صخر وابن الرومي لابنه والمتنبي لأخت سيف الدولة، كلا منهم منفرداً، ثم يأتي تاريخ الأدب فيؤرخ للمراثي عند العرب فيكون عمله تأريخا لفن أدبي. ويدرس غزل جميل وكثير أو غزل العرجي وعمر بن أبي ربيعة، ويأتي تأريخا لفن أدبي، ويدرس غزل جميل وكثير أو غزل العرجي وعمر بن أبي ربيعة، ويأتي التاريخ الأدبي فيؤرخ للنسيب العذري أو لغزل اللذة الحسية ويكون عمله تأريخا لتيار فني أخلاقي ــ وأخيراً يدرس النقد شعر مسلم ابن الوليد وشعر أبي تمام أو شعر الحطيئة وشعر زهير ثم يأتي التاريخ الأدبي فيؤرخ لتذوق الصناعة في الشعر أو تذوق الخيال الحسي ويكون عمله تأريخا لعصر من عصور الذوق المختلفة. وفهم الخصائص والمزايا الفنية والأدبية.

---

١ ــ ج. لانسون : منهج البحث في تاريخ الآداب، ص ٢١ (في كتاب : منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة د. محمد مندور، من منشورات دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٤٦ م).

٢ ــ ج. لانسون : منهج البحث في تاريخ الآداب (كتاب : منهج البحث في الأدب واللغة، ص ٣٩ ــ ٤٠).

والتاريخ يأخذ نفس الحقيقة ــ فالنقد الأدبي سابق عند العرب للتاريخ الأدبي، وذلك لما هو واضح في تاريخ كل الأمم القديمة من أن الدراسات التاريخية المنظمة لم تنشأ الا بعد أن اجتمع لدى كل أمة تراث شعرت بالحاجة الى مراجعته، وهذا لم يحدث في الأدب الا بعد أن تراخى الزمن بعهد الانتاج الحقيقي، فعندئذ تكون العقول قد اتسع ادراكها وتمت لديها قوة التفكير النظري الذي يستطيع أن يصل الى الكليات. وهذه العهود من الملاحظ أنها كانت في الغالب عهود انحلال في الأدب وفقر في أصالته. وهذا واضح في تاريخ اليونان حيث لم تبدأ دراسات التاريخ الأدبي الا في عصر الاسكندرية، وعند اللاتين حيث لا نرى تلك الدراسات الا ابتداء من عصر الامبراطورية بعد انقضاء حكم أغسطس، وكذلك عند العرب فهي لم تظهر الا في العصر العباسي حيث غلبت الصنعة على الطبع والتقليد على الأصالة وهذا صحيح عند الشعوب القديمة، أما الشعوب الحديثة فأمرها أمر آخر لتمشي كل ملكات البشر فيها جنبا الى جنب خلقا ونقدا وتاريخا.

ولكن اذا صح ذلك على التاريخ الأدبي فهل يصح أيضا عن النقد الأدبي؟ ذلك مالا يراه نظر ولا يؤيده تاريخ، فما دمنا قد عرّفنا الأدب بأنه كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته أنواعا خاصة من الأنفعال، فمن الضروري أن تكون هناك استجابات وأن يصدر عنها النقد، والذي لا شك فيه أن استجابات العرب لم تكن فاترة، وفي أخلاقهم عنف البداوة، كما أن في شعرهم ما يحرك ضروبا من الانفعال الشخصي والقبلي، وهذا ما كان. فلقد وجد النقد الأدبي عند العرب ملازما للشعر، ليس من شك في أننا لا نستطيع أن ندرك طعم شراب أو طعم مالم نتذوقه بأنفسنا ولا يمكن أن يغنينا عن هذا التذوق الشخصي أي تحليل كيماوي أو تقرير خبراء، وكذلك الأمر في كافة الفنون فأي وصف للوحه زيتية أو تمثال من الرخام لا يمكن أن يغني عن الرؤية المباشرة، وكذلك الأمر في الأدب، فذوقنا الخاص هو أساس كل فهم له، بحيث يبدو النقد الذوقي أمرا مشروعا، فهو بعد حقيقة واقعة حتى عند العلماء من النقاد المحدثين.

فالتأثيرية قائمة في أساس كل نقد حتى لنرى ناقدا عالما كلنسون يقول : «اذا كانت أولى قواعد المنهج العلمي هي اخضاع نفوسنا لموضوع دراستنا لكي ننظم وسائل المعرفة وفقا لطبيعة الشيء الذي نريد معرفته، فإننا نكون أكثر تمشيا مع

الروح العلمية بإقرارنا بوجود التأثيرية في دراستنا وتنظيم الدور الذي نلعبه فيها، وذلك لأنه لما كان انكار الحقيقة الواقعة لا يمحوها، فان هذا العنصر الشخصي الذي نحاول تنحيته سيتسلل بخبث الى أعمالنا ويعمل غير خاضع للقاعدة، وما دامت التأثيرية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها، فلنستخدمه في ذلك صراحة، ولكن لنقصره على ذلك في عزم، ولنعرف مع احتفاظنا به كيف نميزه ونقدره ونراجعه ونحدده ــ وهذه هي الشروط الأربعة لاستخدامه. ومرجع الكل هو عدم الخلط بين المعرفة والاحساس، واصطناع الحذر حتى يصبح الاحساس وسيلة مشروعة للمعرفة»(١).

واذا فالنقد الذوقي نقد مشروع وحقيقة واقعة.

ولكننا نتساءل عن توفر الشروط اللازمة في الذوق ليصبح أداة صالحة للنقد ثم نبحث هل توفرت تلك الشروط لدى العرب عندئذ أم لا؟.

الواقع أنه قد وجد عند الجاهليين والأمويين نقد ذوقي يقوم على احساس فني صادق. ولقد تركزت بعض أحكامهم في جمل سارت على كافة الألسن كقولهم : «أشعر الناس أمرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب» وأمثال ذلك مما نعرفه.

ولكن هذا النقد الذوقي يعيبه أمران :

١ ــ عدم وجود منهج : وهذا أمر طبيعي في حالة البداوة التي كانت تسيطر على العرب فالرجل الفطري يستطيع باحساسه أن يخلق أجمل الشعر، يصوغه من مشاعره ومعطيات حواسه وهو لذلك ليس في حاجة الى عقل مكون ناضج يرى جوانب الأشياء كلها ولا يحكم الا عن استقصاء : ومن الثابت أن الشعر لا يحتاج الى معرفة كبيرة بالحياة ونظر فيها، بل ربما كان الجهل به أكثر مواتاة له، وكثيرا ما يكون أجوده أشده سذاجة.

والنقد الموضوعي لا يكون الا لرجل نما تفكيره فاستطاع أن يخضع ذوقه لنظر العقل، وهذا مالم يكن عند قدماء العرب ومالا يمكن أن يكون : ومن ثمّ جاء نقدهم جزئيا مسرفا في التعميم : يحس أحدهم بجمال بيت من الشعر وتنفعل به

---

١ ــ ج. لانسون : منهج البحث في تاريخ الآداب (كتاب : منهج البحث في الأدب واللغة، ص ١٩).

نفسه فلا يرى غيره، ولا يذكر سواه كدأبه في كل أمور حياته، إذ تجتمع نفسه في الحاضر الماثل أمامه. وفي هذا ما يفسر ما نجده في كتب الأدب من أحكام مسرفة كقولهم : «هذا أجود ما قالت العرب» و «هذا الرجل أشعر العرب» وما الى ذلك.

٢ ــ عدم التعليل المفصل : وهذا أيضا شرط لم يكن من الممكن أن يتوفر لعرب البداوة : فالتعليل أمر عقلي لا يستطيعه الا تفكير مكون : وكل تعليل لا بد من استناده الى مبادىء عامة، والعرب لم يكونوا قد وضعوا شيئا من مبادىء العلوم اللغوية المختلفة التي لم تدون الا في العصر العباسي. ومن الواضح أن الاتجاه الى التعليل خليق بذاته أن يسوق ــ حتى في النقد الذوقي ــ الى التمييز والتقدير والمراجعة والتحديد، ليصبح إحساسنا أداة مشروعة للمعرفة .. وإذاً فقد ظل النقد في هذه المرحلة احساسا خالصا ولم يستطع أن يصبح معرفة تصح لدي الغير بفضل ما تستند اليه من تعليل.

وهذان العيبان واضحان في كثير من الأحكام التقليدية المروية في كتب الأدب، فهي لا تستند إلى تحليل للنصوص أو إلى نظر شامل فيما قال هذا الشاعر أو ذاك.

في رحاب الأدب

يتطرق بعض الأدباء في بعض الأحيان الى القاء الضوء على معالم أدبنا وتطرح تساؤلات كثيرة كقول بعضهم هل لأدبنا شخصية مستقلة وهل له تميز وسمات معينة الى غير ذلك مما يخوض فيه البعض ويطلقون لعنان أقلامهم ولخيالاتهم الانطلاق في ذلك.

ومن الواضح أن هناك انصرافا عن الأدب وأصبح لا يجد الاهتمام حتى أن الصحف والمجلات أفردت صفحات معينة محددة والساحة الأدبية خالية من عطاء أدبي جيد وأكثر الاهتمام بالمقالة الأدبية فقد طغت على الشعر والقصة والرواية ومع ذلك فاني متفائل ولن أساير البعض ممن يبكون على الأدب وضياعه ويرى البعض اندفاع الحياة الحديثة في تيار مادي لا مكان فيه للأدب والذوق الأدبي حقيقة أن التيار المادي أخذ يجرف كل شيء كما أن وسائل الحياة العصرية وما صحبها من متغيرات في مختلف ضروب الحياة أثرت الى حد كبير في تفكير الأفراد .. وما أكثر ما قيل حول ذلك من تفسيرات وأفكار وتصورات وان الأديب صار ضحية لذلك ان الساحة الأدبية في بلادنا وفي كثير من البلاد العربية صارت مقفرة من العطاء الأدبي الجيد المتكامل كما أن النقد الأدبي اضمحل كثيرا وسار عبر متاهات من الدروب فابتعد عن الواقع الحقيقي الذي يرتكز على العمق الثقافي والرؤية الصحيحة والنظرة الفاحصة الواعية .. إن في بلادنا مواهب أدبية تملك الاستعداد لاستيعاب المفاهيم الأدبية ومن واجب محرري الصفحات الأدبية متابعة النشاطات خارج بلادنا والاستفادة من تلك التطورات الأدبية والثقافية مما يثري أدبنا ويزيد ثقافة القراء برصيد من المعرفة والفائدة مع التحليل والدراسة وتسليط الأضواء على ذلك.

إن المعرفة شيء متجدد ويجب البحث عنها باستمرار والتركيز على الجوانب الموضوعية وازالة الشوائب منها .. إننا ندرك الجهد الذي يبذل في اعداد واخراج تلك الصفحات ولكننا مع ذلك نود أن نرى عملا ونشاطا مكتملا لتحريك قافلة الأدب وإزالة ظاهرة الركود الأدبي وليواكب الأدب مسيرتنا ونهضتنا التي نعيشها اليوم في مختلف جوانب الحياة.

إن المعالجة الموضوعية الواعية لأسباب الركود الأدبي وانصراف الكثير من حملة الأقلام ورجال الأدب الى ميادين الحياة المتنوعة بدلا من الأهتمام بقضايا الأدب كل ذلك سيسهم إلى حد ما في فتح أفق جديد وضوء أخضر من شأنه تنشيط ودفعه الى الأمام من جانب المشتغلين بذلك.

إن الأدب مسئولية ذات معنى عميق وهدف نبيل والأديب فنان صادق يمس بكلمته شغاف القلوب وحنايا الصدور وأعماق الأفئدة فهو كالمصباح المضيء ويجب ألا ينطفىء في زحام الحياة.

النقد فن يجب أن تتعلم أصوله

نقرأ بعض الأحيان انتقادا لأئمة اللغة والأدب العربي أولئك الأعلام ويقف المرء حيال ذلك موقف المشدوه بين العجب والتساؤل بله الغضب فهذا الفخز واللمز لأئمة البيان والفصاحة واللغة وهذا التعريض المحض والسخط الحاقد والنقد اللاذع والزراية الساخرة على أولئك يجعلنا نقول ويحكم ..

يا من نشأتم في المدارس الأجنبية فتصنعتم المعرفة وتكلفتم الاشتغال بخدمة التراث وترديد آراء الغربيين المتعصبين فأنتم تلبسون مسوح الأدب والنقد وتحاولون من خلال ذلك البروز والشهرة وتحقيق مقاصد قريبة ومن دأب البعض أن ينقلب في رأيه ولا يجري في حسه وشعوره حب التراث وأعلامه فقصر جهده على صوغ النزهات والأباطيل .. إن من يستعرض تراثنا الأدبي وأعلامه يدرك أن لهم موضعا منفردا ومكانا بارزا في شتى فروع الأدب الثقافة وسيبقى ذلك ثابت ما ثبت الحق مقروء ما بقي الزمان لأنه بحر لا يحصره ساحل وسيل لا يحجره سد كما يقال.

ولا عجب فإن تراث المرء تاريخه وذاته والفض منه غض منه والتفضيل عليه تفضيل عليه ولا يرضى لنفسه ولتاريخه وأدبه الضعة الا عاجز.

لقد كان أسلافنا رسلا للعلم وحماة للمعرفة وفرسانا للفصاحة والبيان ونوابغ أنجبتهم الثقافة الاسلامية وقدر لتراثهم أن يعيش إلى اليوم ويدرسه غيرهم من الأمم الأخرى فمن يقرأ كتب الجاحظ وابن المقفع والثعالبي وابن قتيبة والنويرى والقلقشندى والأصفهاني والحريري والميد اني والعسكري يدرك أهميته، لقد وقفوا حياتهم واستعملوا مواهبهم بسخاء في تكوين هذه الثروةالأدبية والعلمية التي لا تعادلها ذخيرة فكرية والتي لا تزال مرجعا ومادة واسعة في اللغة والبلاغة والأدب، لقد آثروا كل راحة ولذة وجاه ومنصب فأنتجوا ثروة علمية وخلفوا تراثا نفيسا .. لقد كان أولئك الأسلاف برهانا ساطعا على قدرة العقل العربي على العطاء والنبوغ إن هناك من غير العرب والمسلمين من رزق الانصاف والاتزان الفكري وسعة آفاق النظر ورحابة الصدر فكتب منصفا الى أهمية الأدب العربي وسعة اللغة العربية موطنا وتاريخا وتراثا وإلى أثرها في لغات العالم وآدابه، فاللغات الأوروبية كما هو

معروف أخذت فيما أخذت من علوم العرب وآدابهم أشياء معلومة لاتزال معروفة فيها.

وبعد فكم حفظت سجلات الكتب ودور المخطوطات والمتاحف في المغرب والمشرق من الكتب التي لا يحصيها العد في كل فن وكم حدثنا التاريخ عن كتب فقدناها .. ولا حاجة إلى المضي في تعداد ذلك فهذا لا يحتاج الى بيان ولايتسع له الوقت.

ليت شعري متى نعود لسيرنا الأولى أساتذة للعلم وحماة للمعرفة.

لنفتح صدورنا للنقاش الأدبي

للأدب رسالة جليلة ومسئولية عظيمة وغاية كريمة ولكي يؤدي الأدب مهمته ويحقق نجاحه وازدهاره وتحقيق الفائدة المتوخاة فلا بد من من طرح الآراء الأدبية بروح الصدق والاخلاص والبعد عن المجاملة والحقد وما شابه ذلك وأن نفتح صدورنا للأحكام النقدية ذات المنهج الموضوعي الواضح البعيدة عن اسلوب المجاملات ومراعاة العلاقات الشخصية فنحن أحوج ما نكون الى الناقد المؤهل الذي يحدد موقفه ويقدر المسئولية الملقاة عليه .. وللأسف فكم نقرأ بين وقت وآخر مقالات نقدية تخلق الخصومة والعنف وتؤجج نار العداء والبغضاء مما يذكرنا بأشعار الهجاء التي يحفل بها تاريخنا الأدبي والتي كان لها أثر كبير في خصومات الشعراء وقد قيل كان النابغة الذبياني تضرب له قبة في سوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشده الأعشى ثم أنشده حسان بن ثابت ثم الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته فقال لها النابغة والله لولا أن الأعشى أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس فقال حسان والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك فقبض النابغة على يده ثم قال يا ابن أخي إنك تحسن أن تقول مثل قولي :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وهكذا كان النقاش والجدل حول مضمون النص المسموع أو المقروء بروح عالية لقد كتب أسلافنا في النقد كثيرا وافتنوا في هذا افتنانا يدعو الى التقدير والثناء فمن مؤلفاتهم في هذا المضمار الشعر والشعراء لابن قتيبة ــ محاضرات ألأدباء ومحاورات الشعراء للأصفهاني .. وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني .. الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني .. والعمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده لابن رشيق وطبقات الشعراء لابن سلام وكتاب الأمالي وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وغير ذلك .. إن المهم ليس في المبالغة والتهويل والتحدي بل بمناقشة الأفكار الأدبية كما ينبغي أن تناقش بروح موضوعية ما تحتويه كل الآراء والأفكار من مضامين وما تفيض به من فكر ناضج ورأي سديد وما تعكسه من دلالات،مرحبة بالعمل الفكري الخلاق.

فكم من كلمة هادئة عاقلة كان لها من التأثير والفائدة أكثر من الكلمات المرتفعة والعبارات الصارخة ومما تتركه من تعقيد وابهام ان علينا أن ندعم كياننا الأدبي بطرح الآراء المجدية والتجارب الأدبية المفيدة التي تسهم بعملية البناء الأدبي والنهوض الفكري والأزدهار الثقافي وان نفتح قلوبنا لكل المناقشات البناءة المثمرة ..

ومن هنا كان على الأديب والكاتب أن يكون أكثر دقة وسعة صدر وتحريا للصواب وأن يزن الأمور بميزانها السليم وطبقا لما تقتضيه الحال من مرونة ولباقة فالأديب موجه ومصلح وداعية بل مرآة المجتمع ولذا فإن عمله وسلوكه وقوله مأخوذ عليه ..

بين الأديب والناقد

النشاط الأدبي في كل أمة هو عنوان تقدمها ورقيها، ولا يمكن للتيار الأدبي أن ينمو ويزدهر الأ بوجود النقد الأدبي، فازدهار الأدب وسموقه مرتبط بالنقد الأدبي الموضوعي المرتكز على دراسة واعية للأدب وفنونه وتياراته وماضيه وواقعه، وتقويم الا نتاج على أسس موضوعية وليست شخصية .. مما ينتج عنها العلاقة المؤثرة بين الناقد والكاتب.

وربما يكون من المفيد كمدخل لهذا الموضوع أن نعرف القارىء بالأدب بصفة عامة، والخلاف بين الأدباء والنقاد كبير في تفسير معنى الأدب.

وسأعرض هنا ما رأيته في تعريف الأدب .. وبتواضع شديد أقول ان:

الأدب هو التأثير، وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو أدب وهناك صلة بين الأديب والقارىء، فالأديب مؤثر، والقارىء متأثر والأدب هو ذلك التأثير الذى ينتقل من الأديب الى القارىء.

والأديب مطالب بالبحث عن الجمال للاستعانة به في صوغ ما عنده من حقائق وموضوعات ليجذب القارىء اليه، ثم يوقعه بعد ذلك في التأثر به.

والجمال في أية صورة أمر لازم في عمل الأديب لأنه عامل من عوامل الجذب ومصدر من مصادر التأثير.

وصور الجمال كثيرة: فهناك جمال اللفظة وحسن اختيارها لمعناها وجرسها وموضعها بين غيرها من الألفاظ، جمال الأسلوب وجمال الفكرة، وجمال العرض، وجمال الوصل أي كيف يصل الأديب ما بينه وبين القاريء.

وقد جرت عادة كثير من المؤلفين ان يميزوا الأدب بالخيال والابتكار، فالأديب الحق مبتكر، والعمل الأدبى الجيد هو الذي يطل الأديب من بين سطوره ليقول للقارىء دائما: ها أنذا، وهذا ما يعبر عنه بذاتيه الأديب.

وليس الأدب مجرد وسلية للإمتاع وقضاء الوقت فحسب لأن في هذا اهداراً لوظيفة الأدب وغايته، فإلى جانب المتعة، التي هي في حقيقتها وسيلة جذب واغراء للقارىء – هناك هدف وغاية يؤديها الأديب. وتعريفنا للأدب فيما سبق بأنه التأثير

الذي يقوم على اللغة يتضمن قطعا الفائدة، فالمتعة وحدها تستهوى ولكنها لا تؤثر تأشيرا باقيا، وكيف يؤثر في الناس مالا فائدة منه ولا نفع وراءه وكل عمل لا يخلو من فائدة للناس لا يبقي على الزمن.

بعد ان ألقينا الضوء على معنى الأدب ودور الأديب، يأتي بعد ذلك دور الناقد، وهنا نبادر فنقول : ان للنقد الأدبي رسالة جليلة، اذ أن الناقد الأدبي هو الذي يملك النظرة العميقة والرؤية الصافية السليمة، والفكر النير الصائب، فيساعد القارىء على التفهم والمعرفة وكشف الجوانب الخافية.

فالناقد الأدبي هو الذي يحرك الهمم بدراساته العميقة وتتبعه لما بين السطور، ومافي ثنايا النص من فكر وأدب وعطاء.

والناقد رائد أدبي قد تجرد من شوائب الحقد ورواسب الأثرة والغرور والحسد. كما أن الأديب الحق والكاتب الأصيل لا يخاف من نقد الناقد بل يرى في ذلك قوة ونشاطا لا ستمرار عطائه وانتاجه وحيويته لمواصلة رسالته ، ودعامة فكرية تزيد قدرته وانتاجه ...

فرسالة الأديب رسالة من أسمى الرسالات وأنبلها ، فهو يقود مجتمعه نحو الخير والاصلاح والحضارة والرقي .. والى المثل السامية ، والقيم الفاضلة ، ويرشدها بقلمه على الطريق السليم ، والدرب اللاجب ، ولذا كانت رسالته جليلة متى كان انتاجه قويا ومفيدا ومثمرا.

وبلادنا اليوم .. وهي تمضي بخطى واسعة .. في مختلف مسارات التقدم ومجالات التطور والنمو، فهي بحاجة الى مشاركة الأدباء كي يعينوها بأقلامهم نحو تحقيق الأهداف التي تسعى اليها الدولة لمواكبة ركب التطور الحضاري الحديث .. وتجسيد تلك المعطيات وبلورتها.

ولو ألقينا نظرة سريعة على واقعنا الأدبي .. لوجدنا أنّ انتاج الكثير من أدبائنا لا يرقى الى المستوى الذي يجب أن يكون عليه .. فهو لا يجاري النهضة التي تعيشها بلادنا في انطلاقها ومضيها نحو آفاق حضارية رحبة.

والنقد الأدبي هو الآخر لم يؤد دوره المرجو في تقييم تجاربنا الأدبية .. والأديب لا يزال يشعر بأنه بحاجة الى الناقد المتذوق والذي يضع يده، ويوجه نظره الى المقاييس والقواعد ومواطن الجمال في النص الأدبي لشتى الأشكال الفنية سواء في القصة أو الرواية أو المسرحية.

وتأسيسا على ما تقدم فإن النقد الأدبي من المقومات الأساسية لدفع الحركة الأدبية في طريق التقدم والازدهار .. والواقع أننا نشعر بفراغ كبير في هذا الميدان، وسبب ذلك ربما يكون مرجعه الى افتقارنا للنقد الأدبي الصحيح البعيد عن المجاملة والاعتبارات الشخصية .. نحن في حاجة الى الناقد الموضوعي المنزه عن كل هوى والذي يبني حكمه على النص الأدبي الذي يتعرض له .. وان يكون موضوعيا في إصدار أحكامه بحيث يحفظ للأدب رسالته وللنقد أصالته.

ليت شعري .. فنحن في حاجة الى الناقد الأدبي الذي يملك ذوقا فنيا رفيعا .. ومعرفة واعية بأصول النقد .. واحساسا عميقا بمناهج النقد وطرائقه.

الناقد الأصيل هو الذي يستطيع أن يسبر أغوار النص الأدبي .. ويغوص في أعماقه .. ليستخرج ما فيه من درر .. ويلقي بالغث منها الى عرض البحر فبذلك يغذي العقول، ويثري الأفكار، ويمتع الألباب والنفوس.

إن حركة التأليف والترجمة والنشر تسير بخطى واسعة .. وهي تحمل الينا كل يوم الجديد في عالم الأدب والفكر .. وهذا بالتالي يضاعف مسئولية النقد الأدبي كي يلاحق ويساير تلك الطفرة في عالم الفكر والفن .. وذلك بتعريف القارىء دائما بالجديد سواء بالعرض والتلخيص والتحليل والدّراسة لإبراز مواطن الحسن والجمال في النص الأدبي واظهار ما به من عيوب .. وبذلك يصبح الناقد الأدبي مرآة للكاتب والمتلقي، ولقد قيل :

كلما كان النقد نشطا كلما كانت الآثار الأدبية ذات مردود جيد وعطاء مفيد.

و أنّ من أجل الرسالات التي يؤديها النقد الأدبي هي الحرص على اثراء المتلقي وتنمية مداركه، والعمل على دعم النهضة الأدبية .. وبلورة المفاهيم النقدية .. والتعريف بكل جديد في دنيا الأدب.

إننا بحاجة الى المحافظة على شخصيتنا الأدبيةة المتميزة وتقويمها وبعث الثقة في مقدرتنا نحو العطاء الجيد .. مع الاستفادة من مصادر الثقافات الأخرى .. وأخيرا فنحن بحاجة الى الدراسات الأدبية الموضوعية والنقد الأدبي الواعي والموجه الى الحق والخير والجمال.

حوار في الأدب والنقد

لعلي لا أكون مجانباً للصواب إذا قلت بأن النقد الأدبي من المقومات الأساسية لدفع الحركة الأدبية في طريق التقدم والازدهار .. والواقع أننا نشعر بفراغ كبير في هذا الميدان وسبب ذلك يعود إلى عدم وجود النقد الأدبي الصحيح البعيد عن المجاملة والغرور والأمور الشخصية الأخرى .. ولكن كيف يتأتى لنا ذلك وأين الناقد البصير الذي يحدد ما ينقد ويعطي الرأي الصحيح في مختلف قضايانا الفكرية ويحفظ لرسالة الأدب كيانها ويصونها من الهبوط .. يدلنا على الخطأ ويبرهن عليه ويضع معالجه لذلك .. لا يدفعه إلى ذلك رغبة في الشهرة أو السخرية والانتقاص ولا يحدوه حب إلى التشفي وطمس آثار الآخرين ليت شعري هل أجد بيننا ذلك الناقد الذي يخصب الحياة الأدبية ويلتزم بمناهج النقد وطرائقه يغذي العقول ويثري الأفكار والألباب ويمتع النفوس يملك الموهبة الأصيلة والشعور الدقيق والدراسة المتأملة والوعي الفكري والأدبي الدقيق .. ولكن سرعان ما أصاب بخيبة الأمل كلما تساءلت عن ذلك وبحثت عنه لذلك فإن أدبنا سيظل يواجه فراغاً لعدم وجود الناقد المنهجي البصير.

إن حركة الطباعة والنشر والتأليف تمطرنا كل صبيحة يوم بوابل غزير من الكتب والمؤلفات والقصص والروايات والدواوين الشعرية والآثار الأدبية في مختلف فنون المعرفة وميادين الآداب .. وستظل في ازدياد إذا علمنا أن مكتبة مثل مكتبة الكونغرس الامريكية يدخلها كل ثلاث ثوان كتاب جديد كما سمعته من أحد المسئولين عن هذه المكتبة خلال زيارتي لها.

وبجانب هذا السيل المتدفق من الأنتاج يجدر بنا أن نتساءل هل هناك نشاط نقدي .. يقوِّم تلك الاثار ويصححها ويبرز الخطأ ويجسم العيب ويجسد الزيف ويشير إلى الحسنات ويوميء إلى الأفضل بدون إثارة.

من أجل هذا صح ما قيل كلما كان النقد نشطاً كلما كان الكتاب والمؤلف والباحث ذا أثر جيد وعطاء متين ولقد تطورت مفاهيم النقد لدى كثير من الدول وأصبح النقاد موضع اعجاب وتقدير ومحل تكريم وحفاوة لأنهم ارتفعوا باسلوبهم وانتاجهم فارتفع تقديرهم واحترامهم ..

إن تقاعس من يملكون موهبة النقد ولمن حباهم الله بالصفاء والعمق والأصالة والقدرة على التمييز بين الإنتاج الرصين والأدب الرفيع وبين القول الزائف والأدب الهزيل إن تقاعس النقاد ليس في بلادنا فحسب بل في العالم العربي كله جعل مواكب النقد والأدب تتخلف كثيراً بل وتتراجع بسبب قلة الناقدين وبعدهم عن الميدان نتيجة عدم قدرة البعض على القول بجرأة وتجرد.

إن الكثير مما نقرأة سواء من أشعار أو آثار أدبية كالقصص والمقالات والكتب نجد خلال الكتابة عنها فيها المغالاة في التقريظ والثناء أو عكس ذلك..

أذكر منذ فترة التقيت بأحد الناقدين في لبنان فتطرق الحديث عن الأدب والكتب الجديدة والمدارس الأدبية وسألته عن سر توقفه عن ممارسة رسالة النقد فقال : لقد خلق لي النقد متاعب وأزمات ونفور الكثير من الأصدقاء لدرجة أن رئيس إحدى المجلات الأدبية أعاد لي بعض المقالات النقدية قائلا : لقد أوقعنا النقد المتواصل الى أزمة مع دور النشر والكتب فقلت لا يضيرك ذلك ما دمت تحظى بثقة القارىء وتضع نصب عينيك قول الحق ثم قلت له ان النقد الأدبي في العالم العربي يواجه أزمة وصعوبة ولكن اذا تخلى فرسان النقد عن الساحة وعن نقد الآثار الأدبية وترك المجال للمتطفلين والدخلاء. إذاً فأين الاخلاص للرسالة والتضحية من أجل الأدب والثقافة فالناقد يستعذب كل صعب حتى لو اكتوى بخصومة الآخرين.

فالناقد الذي يكرس نفسه لرسالة النقد لا ريب أنه سيتغلب بايمانه وثقته على كل ما يعترضه من صعاب وخصومة وسيبقى شعلة مضيئة في تأدية رسالته في دعم الحركة الأدبية واثراء القارىء وتوجيهه الوجهة الصحيحة وبلورة المفاهيم الأدبية والأهداف الفكرية والثقافية حقيقة ان كل أحد لا يخلو من أخطاء وكل عيب يجلوه التصحيح والتقويم، ثم انتهى حديثنا بأن النقد هموم ومتاعب فقلت لولا الهموم والمتاعب لما كانت الحياة جميلة.

وبعد فالنقد هو العمود الفقري لتقويم أي انتاج فهو أخصب الميادين لأنه هو الذي يتيح لنا أن ننمي المفاهيم ونعرف الغث من السمين بروح سمحة وبعقول منفتحة.

الناقد الحصيف من يملك الرؤية السليمة

للناقد رسالة جليلة إذ النقد ملكة وموهبة فنية أصيلة يمتاز صاحبها بسلامة الذوق ودقة الحس وعمق النظرة والثقافة الواعية الشاملة، والناقد كما يقال حجر المسن فان لم يقطع فانه يشحذ الحديد ولعل مما يؤسف له أن النقد ليس موضوعيا في بلادنا فحسب، وانما في العالم العربي وغيره يظل النقد بين الموضوعية وبين العاطفة ونظرة عجلى الى ما يكتب في عالم النقد الأدبي تجد بعض الأقلام تشيد وتطري انتاج أناس وتشيد بمواهبهم وتخلق لهم مزايا وسمات لا يراها الناقد الحصيف المنصف. في ذلك الانتاج عندما يمعن النظر ويدقق في حقيقة الموضوع. ان هذا الضرب من النقد ينبعث من منطلقات شتى كما نلاحظ البعض يحكم على بعض الكتب وانتاج أصحابها بضروب شتى من اتهام بالجهل وعدم المعرفة فيرميهم بالتجريح فبدلا من التوجيه والبناء يسعى الى الهدم ويقف موقف الحاسد وأعتقد أن هذا الأسلوب مبتذل ورخيص لأنه يقوم على غايات دنيئة .. صحيح أن هناك تفاوتا بين الأدباء في انتاجهم وعطائهم ويوجد التمايز والنوعية ولذا يجب دراسة الأثر الأدبي دراسة تحليلية وابراز مواطن الجمال والجودة وجلاء مواطن الضعف وبوادر النقص ولكن ليست وظيفة النقد أن يهدم وانما يبني وينبه فالنقد علم له قواعد ومعايير ونظريات تستند الى الفكر والفعل لا الى العاطفة والهوى والناقد الحصيف هو الذي يمتاز بالنظرة السليمة ويملك الرؤية العميقة ويتصف بالموضوعية والفكر السديد والرأي الصائب ويبسط الحقيقة وسلامة الذوق ودقة الاحساس وسعة الاطلاع والتجرد ويساعد القارىء ويتيح له فرصة الفهم والتمييز والتذوق والسمو به في عطائه الفني، إذ الناقد هو الرائد الذي ينأى بقلمه عن الحقد ورواسبه .. بل يرتفع بالقارىء الى المستوى الأمثل فترتفع قيمته ويبرز تفوقه لأنه صاحب رسالة وهدف واضح يشعر أنه مسئول عن تحقيقه وأدائه والأدب لا ينمو ويزدهر ويترعرع وينتعش الا في ظل النقد الأدبي الموضوعي الذي ينهض به ويتقدم، وكلما كان الناقد موضوعيا كلما استقبله القراء بالرضا والارتياح والقبول والتجاوب ومن يتتبع تاريخ النقد في تلك العصور التي مرت به وفي تلك الأزمنة التي تعاقبت عليه

يدرك انه لم ينتعش ويزدهر الا في الأزمنة التي تزدهر فيها الثقافة والمعرفة، لأنها من أسباب نموه ورقيه وازدهاره وتقدمه، وهكذا نجد أن الحديث عن النقد والنقاد كثير الجوانب متشعب النواحي وبخاصة في عصور ازدهار الأدب والشعر.

وحينما نجد الأدب الجيد يكون الناقد الجيد كما يقال فالنقد عامل مهم في ازدهار الأدب ومؤازرته.

نحن في حاجة الى الناقد الذي ينعش ما ذوى من الأمل في ندرة النقاد وعدم موضوعيتهم وتهيئة النفوس للايمان برسالة الناقد ودوره في بناء صرح الأدب فيمتع القراء بالدراسات المفيدة والعطاء العميق والانتاج الجيد، وحينئذ سيكون لدينا أدب وأدباء ونقاد لا يقلون في ضروب الثقافة والفكر عن أمثالهم في البلدان المتقدمة الأخرى.

أهمية إبراز الأدب السعودي المعاصر

اهتمام الأمم بأدبائها دليل وعي وموضع فخر وحينما استقبلت الأوساط الأدبية والثقافية في بلادنا الموافقة السامية التي صدرت بإنشاء جائزة الدولة التقديرية للأدب بالغبطة والترحاب والأهتمام البالغ فإنما كان ذلك يعود الى التفاؤل بمستقبل أدبي زاهر، إذ الأدب مظهر من أبرز مظاهر حياة الأمة وعنوان على رقيها وتطورها وبه يقاس مدى تقدمها ونهوضها فالأدب في حقيقته هو الصورة الحية للأمة يجسد شخصيتها ويحدد ملامحها وفوق ذلك هو عنوان رقيها وتاج تطورها وصدى صوتها يهذب العقول ويثقف النفوس.

ولا شك أن كل أديب اغتبط بهذه الخطوة وهذه البادرة الكريمة التي من شأنها أن تحفز الكثير من الأدباء على العطاء والانتاج ومواكبة التطورات الفكرية، فالأدب ذو معان شتى وأبعاد غزيرة، فما أشد حاجتنا اليوم إلى أعمال أدبية جيدة على المستوى الفكرى والفني يتجلى فيها الواقع وتتمثل الرؤية الصادقة والوعي والإخلاص.

وقد أخذت بلادنا اليوم مكانا حضاريا رائدا في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم وغير ذلك من النشاطات وبقي أن يأخذ الفكر والأدب دوره ومكانته وأن نتساءل في جدية بين واقعنا اليوم وكيف كانت بلادنا بالأمس منطلق الأدب وموئل الفكر والمجد البياني، حيث أضاءت أرجاء الدنيا بشعاع الفكر والروح وانطلق منها فحول الشعراء وأساطين البيان وتفجرت منها ينابيع الأدب والمعرفة والفكر وأسهمت بنصيب كبير في إغناء التراث العربي والإسلامي وتوارث أبناؤها الميراث كما قال شاعرنا القديم:

إن فاتنا نسب يؤلف بيننا　　أدب أقمناه مقام الوالد

ولقد حفل الشعر العربي بكل ذلك وتسجيله وواجبنا اليوم أن نعمل على تشجيع المواهب الأدبية وان نأخذ مكاننا في مسيرة الأدب والفكر ويكون لنا دور رائد مؤثر اشد ما يكون التأثير على الفكر الانساني في مختلف مجالاته.

إن جائزة الدولة التقديرية خطوة رائدة وقد جاءت في وقت يتطلع الكثيرون

فيه الى مثل هذه اللفتات التي من شأنها أن ترفع من معنوية الأديب وتحفزه الى مضاعفة الجهد والنشاط ... وتدل على حرص الدولة على تكريم الأدباء وتشجيعهم وإن الأمل لكبير في ان تأخذ الأندية مسئوليتها فتكون اكثر فاعلية ونشاطا وتحركا وانتاجا ودعم الأدب والأدباء وتشجيع انتاجهم بشتى الوسائل الفعالة المتواصلة كما وكيفا، ومتى تبوأت الأمور الأدبية مكان الصدراة في اهتمامات المسئولين فان ذلك دليل نجاح وفعالية ودفع للحركة الأدبية والفكرية في طريق النماء والازدهار للوصول إلى بلوغ مستوى من التطور الفكري الرفيع.

فالأدب فن رفيع يساهم في تطوير القيم ويؤثر في حياة الأديب لأنه تعبير صادق يمتد إشعاعه الى الآفاق البعيدة.

إن علينا إن نواكب التطورات الحضارية وعلى الأدب والأدباء مسئولية كبيرة في التوعية والمشاركة في مسيرة النهضة التي تسيرها بلادنا اليوم ولكي يكون أدبنا بارزا ومنتشرا ومقروءاً فلابد من تضافر الجهود بتكوين دار نشر ذات امكانيات كبيرة تتولى تسويق الانتاج وطبعه وتوزيعه وتتناسب مع الانتاج الفكري والأدبي وتبرز هذا الانتاج في الداخل والخارج لينطلق أدبنا انطلاقة واسعة قوية ويسهم في بلوغ الهدف الأسمى .. ومتى عرف الأديب أن المصاعب والعقبات التي تقف في طريقة ستتلاشى وتزول فانه سيضاعف الجهد بعطائه وانتاجه لأنه سيجد اهتماما بنشاطه وتقديرا لجهوده واعترافا بعمله ومجهوده ... وبذلك تنشط الحركة الأدبية ويثمر أدبنا الثمرة الطيبة ويعطي انتاجا يكون غاية في الروعة والفن وزاخرا بكل جميل وطيب واثراء فنون الأدب الأخرى وتفتيح قرائح أصحاب المواهب الأدبية ودفعها إلى الأمام وصهر ما لديها من امكانيات فقد آن الآوان لمضاعفة الجهد وتكثيف العطاء ليثمر وينمو ويتحقق الرجاء

إن الإخلاص لرسالة الأدب هو أسمى ما نتطلع اليه جميعا بل إن ذلك خير ضمان لبلوغ الهدف الأسمى ...وأخيراً . فان|الجائزة الأدبية وغيرها من وسائل التشجيع الأخرى سيكون لها نصيب في السمو بأدبنا ودفع الحركة الأدبية والابداع الفني ومجاوزة الكسل والجمود. والتطلع نحو مستقبل أدبي زاهر وأن يشق أدبنا طريقه بين الآداب العالمية المعاصرة والإنطلاق إلى عالم النور والفكر والطموح والفن وفي مجال النشاطات الثقافية والأدبية والاجتماعية والإسلامية، وبعد ذلك لابد

أن يلتفت الأدباء بأنظارهم إلى الجوانب المغفلة ويسدوا الفراغ بمجهوداتهم الأدبية .. ومن المؤمل ونحن نقف اليوم على قمة مرحلة جديدة من حياتنا وتاريخنا الحافل بالأمجاد أن ندرك أن للأدب دورا كبيرا يتعاظم باستمرار وان على الأدباء مسئولية تتضاعف على الدوام وهم يقدرون ذلك فالأمانة الملقاة على عواتقهم تتطلب منهم مواصلة العطاء والامتداد والتطور مما يتلاءم ويتناسب مع تقدمنا وطموحنا وتاريخنا وتراثنا الحافل بالأمجاد.

ولعله من نافلة القول ينبغى ألا يغيب عن أذهان المفكرين أهمية إبراز الأدب السعودي المعاصر ليكون قادرا على الإشعاع والنفاذ والحيوية ويعبر حدودنا إلى العالم العربي والاسلامي حيث الملايين من ابنائها يتطلعون اليه ونحسب أنه قد بدت تباشيره في التألق والبروز والامتداد.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

هدف النقد وواجب الناقد الأدبي

النقد هو حجر الزاوية في عملية تقويم الانتاج الأدبي الملتزم بالقيم الفنية الأصيلة .. فالأدب يجب أن يكون صورة صادقة لواقع البيئة والمجتمع بحيث يعبر عن أحاسيس ومشاعر النفس ويبرز البيئة ويعالج مشاكل المجتمع .. فالالتزام والأصالة سمتان لا بد من ترادفهما في أي عمل أدبي .. بعيدا عن الغموض والتقليد والتأثر والمحاكاة لنظريات بعيدة عن واقعنا الأدبي الذي يجب أن يستمد أصالته وركائزه من تراثنا المجيد وقيمنا العريقة ومثلنا الأدبية السخية مع الانفتاح على ثقافة العصر وما فيه من تطور وتجديد .. والاستفادة من منهج البحث العلمي في تحليل النصوص الأدبية.

وإذا كانت سوق الأدب لدينا راكدة مما ترتب على ذلك اختلاط الجيد بالرديء والغث بالسمين، فإن النقد الأدبي قد قاربت شمسه على المغيب وكما يقول المثل «عود بلا وتر» فهو لم يتطور كما تطورت الفنون الأدبية الأخرى ومع هذا فمازلت أرى أن النقد الأدبي لم يفقد مواقعه في سوق الأدب.

ولكن عملية النقد في الأدب والشعر ليست سهلة هينة مثلما يظن البعض وليس النقد مجرد عبارات وكلمات يرص بعضها بجانب بعض وترصف بعضها وراء بعض .. وانما هي عملية صعبة تمس المحتوى والمضمون والجوهر والكيف والكم والآثار والنتائج الأدبية الابداعية، فللنقد منهجه الفني كما أن الناقد الأدبي لا بد أن يكون له احساس فني دقيق يميز به نوعية وقوة الشاعر أو الأديب، ومعرفة النص الأدبي السليم.

فالناقد الأدبي له دور حيوي كبير، كما أن الأديب الأصيل والكاتب المخلص لا يخشى النقد بل يعتبر ذلك قوة له ودعامة فكرية لمواصلة انتاجه وعطائه ومسيرته الأدبية .. ومن الطبيعي أن يختلف النقاد وتتباين آراؤهم مهما امتلكوا من عبقرية القول.

فمن يتتبع تاريخ النقد يلاحظ اختلاف الكثير من النقاد القدامى حول الشعر والأدب وذلك يعود الى نظرة وثقافة كل منهم فنجد أن البعض يملك الحس والذوق والمعرفة ونجد آخرين في معالجتهم للقضايا الأدبية أخذوا جوانب من الموضوع دون الجوانب الأخرى .. ويقول أحد الأدباء في معرض حديثه عن النقاد المحدثين. ان نقادنا من المحدثين عيب أكثرهم انهم انطباعيون ذاتيون يحاولون جمع العالم في وعائهم الضيق

واجبارنا على ان نتمثل أذواقهم وأحكامهم وأن نتحسس الجمالية بمنظارهم ومقياسهم.

وهكذا سيظل البعض يتعسف من أقوال النقاد ويرميهم بالجهل وقلة الثقافة والمعرفة .. وسيكون الاعتراض من جانب المنقود وهذه في نظري روح سلبية فالناقد الذي يلتزم الموضوعية ذات الأصول والحدود يجب أن يحظى بالتقدير والاكبار طالما أنه يبرز مواطن القوة ويوميء الى مواقع الخطأ وفي هذا وحده يكون القول وتكمن الأصالة النقدية، فالمجتمع الأدبي في حاجة الى الواقع والعلم والمنطق السليم بعيدا عن العاطفة والخيال والأحلام ومجانبة الصواب.

وبعد فإن أي عمل أدبي لا يكتسب حجمه الحقيقي الا بعد وضعه في إطار النقد الموضوعي السليم وبذلك يتحدد الأثر الأدبي بحيث يتضح عمقه وموضوعيته ومستواه.

والنقد كما أسلفت القول رسالة وعلى الناقد أن يرشد دائما الى الأدب الصحيح ويوضح المناقب والمثالب ويسعى الى التوجيه والارشاد والبعد عن التملق والزلفى من ناحية ومن الهجوم والتجريح من جهة أخرى فإن ذلك آفة النقد الأدبي وبقدر ما يسمو الناقد تكون منزلته بين الأدباء ويستحق التقدير من المفكرين.

ينبغي عدم الإساءة بالناقد الأدبي

يتضايق البعض من قلم الناقد ويستجر الهوى وتنفجر الخصومة ومعنى ذلك أن النقد قيود وعوائق كما يحلو لأحدهم أن يطلق ذلك وهذا يغاير الواقع فللناقد رسالة نبيلة إذ النقد هو طريق ووسيلة للاصلاح والتقويم والذي يعنينا في هذا المجال هو النقد الأدبي والمهم أن يكون الناقد على جانب من الثقافة والوعي والمعرفة والنضوج وبعيدا عن الهوى ومتجردا من الأنانية والمصلحة الشخصية بل يأخذ بيد المنقود ويوجهه ويقدم انتاجه يوضح نقاط الضعف ومواطن النقص ويبرز المحاسن ومواضع القوة والاجادة والابداع فيفيد القارىء والكاتب والأديب وفق قواعد النقد ومناهجه مع مراعاة أسلوب التحليل والاستنتاج والتعليل.

لقد خلف أسلافنا تراثا نفيسا في مجال النقد فمن يستعرض آراء الجاحظ وابن سلام والمبرد وابن قتيبة والجرجاني وابن الأثير وغيرهم يدرك سر اهتمام أسلافنا بقواعد النقد وما كانوا يلاحظونه ويهتمون به ويركزون عليه من قواعد اللغة والبيان والبديع والمحسنات البلاغية مع اهتمام وتركيز من بعضهم الى الجانب الموضوعي والمضمون البياني دون اكتراث بالشكل والصورة والجناس والطباق .. الخ فاللفظ في خدمة المعنى.

وفي العصرالحديث برزت مدارس أدبية حديثة وظهر نقاد تأثر أغلبهم بمدارس الغرب وقاموا بمحاولات نقدية جيدة لمختلف الانتاج الأدبي شعرا ونثرا موضحين الاتجاهات الفنية والموضوعية في كثير من النشاطات الأدبية الشعرية والنثرية ومسيرتها التاريخية .. فأمدوا القارىء برصيد من المعرفة ودراسات رجالات الفكر والعلم والشعر والأدب وان لم تكن تلك الدراسات محققة للثمرة المرجوة واكتمال الدراسة وتناول أعلام الشعر والنثر وبداية النهضة الأدبية وتاريخ انطلاقها والاساس الذي ارتكزت عليه..

ففي العصر الحديث برز شعراء وأدباء أمثال شوقي والرصافي والبارودي وحافظ وغيرهم من شعراء العالم العربي والمهجر ومثل ذلك مدارس شعرية مختلفة تهتم بالشعر المرسل والحر والمنثور وكذلك النثر ومدارسه وأعلامه كطه حسين

وزكي مبارك والزيات والعقاد والرافعي وغيرهم من الأدباء والمصلحين والمفكرين في العالم العربي قاطبة..

وفي بلادنا برز أدباء وشعراء يقفون على قدم المساواة مع أولئك الشعراء والأدباء في العالم العربي وشاركوا في النشاط الأدبي.

إن الناقد ينبغي أن يكون ملما بقواعد النقد ومتتبعا لتطور الحركة الفكرية بحيث يعطي صورة واضحة مكتملة بجانب الدراسة والتحليل النقدي والقضايا النقدية فهو مرشد ناصح ومصلح ودليل الى الطريق اللاحب.

ومجمل القول فبضاعة النقد ناحية دقيقة لا يجيدها في الغالب ولا يحسنها الا من مارس هذه المهنة واستكمل مقوماتها واكتسب ملكتها بطول المران كثرة التجربة .. كما يجب علينا الا نسيء الظن بالناقد ولا نبخسه حقه ونجأر بالشكوى والحزازة منه وعلينا ان ندرس اصول النقد ونفقه قواعده ونستخلص نتائجه وفهم مضمونه مراميه وليس مـــن الخيرأن تكون القطيعة والتذمر والشكوى والخلاف بين الناقد والمنقود..

أدبنا في ميزان النقد

ـــ النقد الأدبي من المقومات الأساسية لدفع الحركة الأدبية في طريق التقدم والازدهار .. والواقع أننا نشعر بفراغ كبير في هذا الميدان وسبب ذلك يعود إلى عدم وجود النقد الأدبي الصحيح البعيد عن المجاملة والغرور والأمور الشخصية الأخرى .. ولكن كيف يتأتى لنا ذلك؟ وأين الناقد البعيد الذي يحدد ما ينقد ويعطي الرأي الصحيح في مختلف قضايانا الفكرية، ويحفظ لرسالة الأدب كيانها. ويصونها من الهبوط .. يدلنا على الخطأ ويبرهن عليه ويضع معالجة ذلك .. لا يدفعه إلى ذلك رغبة في الشهرة او السخرية أو الانتقاص ، ولا يحدوه حب التفشي وطمس آثار الأخرين ليت شعري هل اجد بيننا ذلك الناقد الذي يخصب الحياة الأدبية ويلتزم بمناهج النقد وطرائقه ، يغذي العقول ويثري الأفكار والالباب ويمتع النفوس ويملك الموهبة الأصيلة والشعور الرقيق والدراسة المتأملة والوعي الفكري والأدبي الرقيق .. ولكني سرعان ما أصاب بخيبة الأمل كلما تساءلت عن ذلك ، وبحثت عنه ، لذلك فان أدبنا سيظل يواجه فراغا كبيرا لعدم وجود الناقد المنهجي الجريء.

إن حركة الطباعة والنشر والتأليف تمطرنا كل صبيحة يوم بوابل غزير من الكتب والمؤلفات والقصص والروايات والدواوين الشعرية والآثار الأدبية في مختلف فنون المعرفة وميادين الأدب ..

وبجانب هذا السيل المتدفق من الإنتاج يجدر بنا أن نتساءل هل هناك نشاط نقدي .. يقوّم تلك الآثار ويصححها ويبرز الخطأ ويجسم العيب ويجب الزيف ويشير إلى الحسنات ويومىء إلى الأفضل بدون إثاره.

من أجل هذا صح ما قيل : كلما كان النقد نشطا كلما كان الكاتب والمؤلف والباحث معطاء سخيا وجيدا ولقد تطورت مفاهيم النقد الأدبي لدى كثير من الأمم وأصبح النقاد موضع إعجاب وتقدير حينما يكون نقدهم لوجه الأدب والنقد السليم لأنهم ارتفعوا بأسلوبهم وإنتاجهم فارتفع تقديرهم ورصيدهم واحترامهم.

لكي ينمو أدبنا لابد من «نقد» ينهض به

النشاط الأدبي في كل أمة هو عنوان تقدمها ورقيها ولا يمكن للتيار الأدبي أن ينمو ويزدهر إلا بوجود النقد الأدبي ، فازدهار الأدب وسموقه مرتبط بالنقد الأدبي الموضوعي المرتكز على دراسة واعية للأدب وفنونه وتياراته وماضيه وواقعه ، وتقويم الإنتاج على أسس موضوعية وليس شخصية .. مما ينتج عنها العلاقة المؤثرة بين الناقد والكاتب.

وربما يكون من المفيد كمدخل لهذا الموضوع أن نعرف القارىء بالأدب بصفة عامة ، والخلاف بين الأدباء والنقاد كبير في تفسير معنى الأدب.

وسأعرض هنا ما رأيته في تعريف الأدب .. وبتواضع شديد أقــول: إن الأدب هو التأثير ، وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو أدب وهناك صلة بين الأديب والقارىء ، فالأديب مؤثر ، والقارىء متأثر والأدب هو ذلك التأثير الذي ينتقل من الأديب إلى القارىء.

والأديب مطالب بالبحث عن الجمال للاستعانة به في صوغ ما عنده من حقائق وموضوعات ليجذب القارىء اليه ، ثم يوقعه بعد ذلك في التأثر به.

والجمال في أية صورة أمر لازم في عمل الأديب لأنه عامل من عوامل الجذب ومصدر من مصادر التأثير.

وصور الجمال كثيرة : فهناك جمال الألفاظ وحسن اختيارها لمعناها وجرسها وموضوعها بين غيرها من الألفاظ ، وجمال الأسلوب وجمال الفكرة ، وجمال العرض ، وجمال الوصل أي كيف يصل الأديب ما بينه وبين القارىء.

وقد جرت عادة كثير من المؤلفين أن يميزوا الأدب بالخيال والابتكار ، فالأديب الحق مبتكر ، والعمل الأدبي الجيد هو الذي يطل الأديب من بين سطوره ليقول للقارىء دائما : ها أنذا ، وهذا ما يعبر عنه بذاتيه الأديب .

وليس الأدب مجرد وسيلة للامتاع وقضاء الوقت فحسب لأن في هذا إهدارا لوظيفة الأدب وغايته ، فإلى جانب المتعة – التي هي في حقيقتها وسيلة جذب وإغراء للقارىء ــ هناك التوجيه إلى الأفضل وتعريفنا للأدب فيما سبق بأنه التأثير

الذي يقوم على اللغة يتضمن قطعا الفائدة ، فالمتعة وحدها تستهوي ولكنها لا تؤثر تأثيرا باقيا ، وكيف يؤثر في الناس مالا فائدة منه ولا نفع وراءه ؟ وكل عمل أدبي لا يخلو من فائدة للناس لا يبقى على الزمن.

بعد أن ألقينا الضوء على معنى الأدب ودور الأديب، يأتي بعد ذلك دور الناقد ، وهنا نبادر فنقول : إن للنقد الأدبي رسالة جليلة ، إذ أن الناقد الأدبي هو الذي يملك النظرة العميقة والرؤية الصافية السليمة ، والفكر النير الصائب ، فيساعد القارىء على التفهم والمعرفة وكشف الجوانب الخافية.

فالناقد الأدبي هو الذي يحرك الهمم بدراساته العميقة وتتبعه لما بين السطور ، وما في ثنايا النص من فكر وأدب وعطاء .

والناقد رائد أدبي قد تجرد من شوائب الحقد وراوسب الأثرة والغرور والحسد . كما أن الأديب الحق والكاتب الأصيل لا يخاف من نقد الناقد بل يرى في ذلك قوة ونشاطا لاستمرار عطائه وانتاجه وحيويته لمواصلة رسالته ، ودعامة فكرية تزيد قدرته وإنتاجه .

فرسالة الأديب رسالة من أسمى الرسالات وأنبلها ، فهو يقود مجتمعه نحو الخير والإصلاح والحضارة والرقي .. وإلى المثل السامية ، والقيم الفاضلة ، ويرشدها بقلمه على الطريق السليم ، والدرب اللاحب ، لذا كانت رسالته جليلة متى كان إنتاجه قويا ومفيدا ومثمرا.

وبلادنا اليوم .. وهي تمضي بخطى واسعة .. في مختلف مسارات التقدم ومجالات التطور والنمو ، هي بحاجة إلى مشاركة الأدباء كي يعينوها بأقلامهم نحو تحقيق الأهداف التي تسعى إليها الدولة لمواكبة ركب التطور الحضاري الحديث .. وتجسيد تلك المعطيات وبلورتها .

ولو ألقينا نظرة سريعة على واقعنا الأدبي .. لوجدنا أن إنتاج الكثير من أدبائنا لا يرقى إلى المستوى الذي يجب أن يكون عليه .. فهو لا يجاري النهضة التي تعيشها بلادنا في انطلاقها ومضيها نحو آفاق حضارية رحبة .

والنقد الأدبي هو الآخر لم يؤد دوره المرجو في تقييم تجاربنا الأدبية والأديب لا يزال يشعر بأنه بحاجة إلى الناقد المتذوق الذي يضع يده ويوجه نظره إلى المقاييس

والقواعد ومواطن الجمال في النص الأدبي لشتى الأشكال الفنية سواء في القصة والرواية والشعر والمسرحية .

وتأسيسا على ما تقدم فإن النقد الأدبي من المقومات الأساسية لدفع الحركة الأدبية في طريق التقدم والازدهار .. والواقع أننا نشعر بفراغ كبير في هذا الميدان ، وسبب ذلك ربما يكون مرجعه إلى افتقارنا للنقد الأدبي الصحيح البعيد عن المجاملة والاعتبارات الشخصية .. نحن في حاجة إلى الناقد الموضوعي المنزه عن كل هوى والذي يبني حكمه على النص الأدبي الذي يتعرض له . وأن يكون موضوعيا في إصدار أحكامه بحيث يحفظ للأدب رسالته وللنقد أصالته.

ليت شعري .. فنحن في حاجة إلى الناقد الأدبي الذي يملك ذوقا رفيعا ومعرفة واعية بأصول النقد .. وإحساسا عميقًا بمناهج النقد وطرائقه .

الناقد الأصيل هو الذي يستطيع أن يسبر أغوار النص الأدبي ويغوص في أعماقه .. ليستخرج ما فيه من درر .. ويلقي بالغث منها إلى عرض البحر فبذلك يغذي العقول ، ويثري الأفكار ، ويمتع الألباب والنفوس .

إن حركة التأليف والترجمة والنشر تسير بخطى واسعة .. وهي تحمل إلينا كل يوم الجديد في عالم الأدب والفكر .. وهذا بالتالي يضاعف مسؤولية النقد الأدبي كي يلاحق ويساير تلك الطفرة في عالم الفكر والفن .. وذلك بتعريف القارىء دائما بالجديد سواء بالعرض والتلخيص والتحليل والدراسة لابراز مواطن الحسن والجمال في النص الأدبي وإظهار ما به من عيوب .. وبذلك يصبح الناقد الأدبي مرآة للكاتب والأديب . ولقد قيل :

كلما كان النقد نشطا كلما كانت الآثار الأدبية ذات مردود جيد وعطاء مفيد .

وإن من أجل الرسالات التي يؤديها النقد الأدبي هي الحرص على إثراء الملتقى وتنمية مداركه ، والعمل على دعم النهضة الأدبية .. وبلورة المفاهيم النقدية .. والتعريف بكل جديد في دنيا الأدب .

إننا بحاجة إلى المحافظة على شخصيتنا الأدبية المتميزة وتقويتها وبعث الثقة في قدرتنا نحو العطاء الجيد .. مع الاستفادة من مصادر الثقافات الأخرى . وأخيرا فنحن بحاجة إلى الدراسات الأدبية الموضوعية والنقد الأدبي الواعي والموجه إلى الحق والخير والجمال .

وسائل الإعلام ودورها الأدبي

تضطلع وسائل الاعلام في عصرنا الحاضر بدور بالغ الأهمية على مختلف المستويات النظرية والتطبيقية وعلى نطاق واسع في ايصال معطيات الفكر والحياة والمعرفة إلى الناس بلغة وأدوات أكثر نفاذا وفعالية في تشكيل فكر ووجدان المجتمع .. حتى أصبح الاعلام علما يدرس في الجامعات وهذا الاهتمام يدل على ما لوسائل الاعلام من أهمية كبرى في التوجيه والتأثير على حياة الأفراد سلبا وإيجابا.

ومن أجل ذلك فقد حظي التلفاز بأهمية بالغة في التوعية واستخدامه لأغراض ثقافية وتعليمية واستطاعت الخصائص التقنية المتاحة له أن تقدم أشكالا جديدة للتعبير تميزت بها الصورة المتحركة .

وإذا ما تتبعنا الدور الفعال للتليفزيون في ميادين الثقافة والتعليم يتبين لنا دوره الأخاذ في تحقيق تلك الأهداف ...

لقد نالت أفلام الأطفال اهتماما خاصا في تنمية معلومات الفرد وتوسيع آفاقه وإكتسابه المهارات والعادات السلوكية الحميدة والقيم الاجتماعية اللازمة لنمو الطفل وتربيته وتنشئته تنشئة حسنة سليمة .. واختيار ما يناسب نموه وجدانيا وعقليا وروحيا وصحيا واجتماعيا .. إن مسؤولية الشاشة الصغيرة لمسؤولية كبيرة في رفع مستوى مشاهديها صغارا وكبارا ، ولذا تبدو أهمية اختيار البرامج التي تشيع الثقافة لمختلف فئات المجتمع ، وتسهم في بناء الأسس الفكرية . وهذا الاهتمام يتطلب دراسة واعية للمجتمع ومسحا شاملا لذلك.

لقد عني المهتمون بالتطور الثقافي منذ أخذ التخطيط طريقه إلى المجتمعات بالتركيز على دور وسائل الاعلام وعلى الاذاعة المرئية بالذات والافادة من امكاناتها واستخدامها لأغراض التعليم . وإذا تتبعنا ذلك في ميادين الثقافة والتعليم نجد بالفعل أن لها دورا كبيرا واثرا ثقافيا واجتماعيا ، فهي تتحرك بسرعة إلى مختلف قطاعات المجتمع وفئاته ، إذ أنها تتجه إلى العامل في حقله ، والمزارع في مزرعته ، والتاجر في متجره والطبيب في عيادته ، والجامعات والمدارس والمنازل .. ومع التنوع الكبير في موضوعات وبرامج الاذاعة المرئية فإن وجود الأمية في المجتمع تتطلب من الاذاعة

المرئية القيام بدور هام في محوها فالصورة بدورها تقوم بعمل يفوق الكلمة ، وتعلم المواطن من موضوعات الساعة ، وتطور المعرفة وبرامج الثقافة العامة التي تهتم بتزويد المشاهد بالوعي وبالثقافة المعاصرة الى جانب تقديم المعلومات والتسلية للمشاهد إلى غير ذلك من الأمور المرتبطة بتلك.

ويرى بعض المختصين أن التلفاز عامل مهم في الحياة الاجتماعية لا من حيث أثره على تكوين الرأي فحسب بل من حيث السلوك ذاته ، فهو يحتوي على برامج متعددة وكذا البرامج الفكاهية ، وبرامج المنوعات والمسلسلات ، وعلم الحيوان والطبيعة والرياضية ، والبرامج التي تتناول المهارات المتعددة ، وكذا البرامج ذات القيمة التعليمية أو التي انتجت خصيصا للأطفال لتنمية المعلومات العامة لديهم.

ولاشك أن الأطفال يتعلمون من التلفاز أشياء كثيرة .. وإن كان ذلك له تأثيره على هبوط مستوى القراءة. فالمشاهد يقضي مدة طويلة في مشاهدة التلفاز ولم يعد لديه وقت لتخصيصه للقراءة، وقد لوحظ ذلك الهبوط بين فئات متعددة من المشاهدين كبارا وصغارا، ولذا يجب أن يحتوي التلفاز في برامجه على ما يعوض عن ساعات القراءة مما يقدمه من المعارف العامة لتحقيق المطالب ونشر الوعي بصورة غنية ووافرة ليكون المشاهد على دراية واستيعاب للمعرفة الثقافية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والخطط الإنمائية وغيرها من المعلومات التي ينبغي معرفتها لمواكبة العصر. كما أن التركيز على البرامج والمسلسلات التي تتناول مشكلات المجتمع كالتضحية والإيثار والنظام وممارسة المهن اليدوية. والزراعة والصناعة والتعاون وغير ذلك من المجالات العامة. فتلك البرامج تصل إلى الجمهور وتعلمه تلك الواجبات والنتائج المترتبة عليها، وكلما كانت البرامج مشوقة كان لها التأثير والتشجيع على المتابعة .. وهكذا الاذاعة المرئية وسيلة من وسائل الاتصال المباشر بالجمهور، وكلما كانت البرامج جيدة انجذب الناس إليها، وتلك من المقاييس التي يقوم عليها نجاح البرنامج، كما أن الإعداد والتنظيم والتقويم المتواصل للبرامج يساعد على تحقيق الأهداف المبتغاة وإعداد برامج تكون أكثر فعالية ونجاحا.

إن الكتاب والصحيفة والإذاعة والتلفاز تعتبر ذات أثر فعال في إيجاد الوعي وتوضيح الجيد من الرديء، والسيء والحسن، والأمور الخاطئة، والأشياء البناءة السليمة، ودفع الناس إلى العمل والقوة والنشاط والاهتمام بالقيم العليا ومقاومة

الانحراف والمفاهيم السيئة ولاسيما في هذا العصر الذي تطورت فيه أساليب العلم والتكنولوجيا وما صاحبها من سهولة في الاتصال والبث السريع وحيث تفجرت المعارف وتطورت البحوث والاكتشافات.

ولذا فإن الحاجة إلى الثقافة الرفيعة لا يقل عن الحاجة إلى الترويح البريء الهادف لإراحة الجسم والأعصاب ازاء مشاكل الحياة.

فدور وسائل الاعلام عموما ينبغي أن يكون دورا تربويا ثقافيا أخلاقيا يبرز محاسن الخير وصور الفضيلة والجمال والصدق، والابداع والتجديد، ويعمل على الربط بين الماضي المجيد والحاضر الباسم والمستقبل الزاهر.

نحو مستقبل أدبي

في لقاء مع أحد الاخوة الأدباء وبعد حديث طويل حافل عن الأدب والشعر والنشاط الأدبي وحركة التأليف في بلادنا وهل تسير الآن وفق تطور مظاهر الحياة فيها وتمنيت لصديقي وهو الشاعر المرهف الاحساس بأن دولة الشعر والأدب ستخرج من ركودها وهمودها لتواكب سيرنا الحثيث في مختلف نواحي الحياة. وعلينا أن نكون مستبشرين متفائلين فالأدب مظهر من أبرز مظاهر حياة الأمة وعنوان على رقيها وتطورها وبه يقاس مدى تقدمها.

ولأدفع عن صديقي كآبة الملل وسآمة الحديث عن الأدب والأدباء والشعر والشعراء وشجونهما،قلت له: كن متفائلا فلقد كانت بلادنا موئل العلم والأدب وموطن العبقرية والنبوغ حيث كانت تمتلئ بأساطين الشعر وفحول القريض.

وكانت تمثل عهداً زاهراً من عصور التاريخ الفكري والعلمي إذ كان العلماء والأدباء من مختلف بقاع الأرض يرون في القدوم اليها فرصة للاستزادة من العلم والأدب وورود مناهلها العذبة حيث يجدون فيها كل ما يتطلعون اليه من العلوم والمعارف والآداب مما يعودون به الى بلادهم ولقد كان العرب أمة شاعرة حتى قيل الشعر ديوان العرب ويقول الجاحظ: العرب أمة شاعرة بالفطرة؛ولم أشأ أن أطيل على صديقي في التنوية بما لأمتنا من ميراث ثقافي وحضاري إذ الأمثلة بارزة في هذا المجال .

إذن فلا غرو أن يعيد التاريخ نفسه فتصبح هذه البلاد مصدر النور والمعرفة والثقافة خاصة وأن جامعاتنا اليوم تسير في طريق المعرفة بشكل عملي بل ويوجد بين هيئاتها التعليمية نخبة واعية وطبقة مثقفة وإن واجب أولئك المشاركة بالبحوث العلمية المفيدة عن تراثنا وآدابنا...فالكثير من شبابنا يجهل حقائق تراثنا جهلا يدفعه إلى الانصراف عنه ... فما أكثر ما خفي علينا من تراثنا ولذا فما زلنا نطمع من

الجامعات وبخاصة أقسام اللغة العربية وآدابها أن يمدونا بالمزيد من البحوث الأدبية الغزيرة التي تغذي النشاط الأدبي وتمد المهتمين بالأدب بمادة نافعة مفيدة. فواجب الجامعات أن تعمق جذورها في التربة الأدبية والثقافية وتغذيتها بالعطاء المتوالي وأن تولي المهمة الأدبية والنقدية الاهتمام اللازم فذلك مما يدفع المواهب الأدبية قدماً إلى الأمام بأحدث الأساليب والمناهج الأدبية .. وتزويدها بثقافة نافعة تؤدي إلى تحريك المشاعر وتتقد من جديد جذوة الأدب والفكر وبذلك ندفع كل مفكر وأديب وشاعر وقاص ... إلى الابداع والابتكار والعطاء فيما هو نافع ومثمر وفعال وتحقيق المستوى المنشود بروح تتسم بالايمان الصادق والعزيمة القوية والثقة التي تتلاشى أمامها عوامل الانهزام الفكري والنفسي وذلك هو الأمل الذي نرجو أن يتحقق في حياتنا الأدبية وفي كل جوانبها المشرقة المضيئة..

فالأدب في حقيقته هو الصورة الحية للأمة يحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها وفوق ذلك تاج نهضتها وصدى صوتها فيثقف العقول ويهذب النفوس ويتسم بالطابع العربي الاسلامي فما أشد حاجتنا إلى أعمال أدبية جيدة على المستوى الفكري والفني يتجلى فيها الواقع والرؤية الصادقة والاخلاص العميق.

وبعزم لا يعرف الكلل وبنية صادقة تقود إلى المعرفة والتعريف بالوجه الحضاري لحياتنا وأدبنا وما نتطلع اليه من مستقبل أدبي مجيد.

نشر أدبنا ... رسالة حضارية !!

اهتمام الامم بأدبائها دليل وعي وموضع فخر وحينما استقبلت الأوساط الأدبية والثقافية في بلادنا الموافقة السامية التي صدرت بانشاء جائزة الدولة التقديرية للأدب بالغبطة والترحاب والاهتمام البالغ فانما كان ذلك يعود الى التفاؤل بمستقبل أدبي زاهر. ان الأدب مظهر من ابرز مظاهر حياة الأمة وعنوان على رقيها وتطورها وبه يقاس مدى تقدمها ونهوضها فالأدب في حقيقته هو الصورة الحية للأمة يجسد شخصيتها ويحدد ملامحها وفوق ذلك هو عنوان رقيها وتاج تطورها وصدى صوتها يهذب العقول ويثقف النفوس.

ولا شك ان كل اديب اغتبط بهذه الخطوة وهذه البادرة الكريمة التي من شأنها ان تحفز الكثير من الأدباء على العطاء والانتاج ومواكبة التطورات الفكرية، فالأدب ذو معان شتى وأبعاد غزيرة، فما اشد حاجتنا اليوم الى اعمال ادبية جيدة على المستوى الفكري والفني يتجلى فيها الواقع وتتمثل الرؤية الصادقة والوعي والاخلاص.

وقد أخذت بلادنا اليوم مكانا حضاريا رائدا في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم وغير ذلك من النشاطات وبقي ان يأخذ الفكر والأدب دوره ومكانته وان نتساءل في جدية بين واقعنا اليوم وكيف كانت بلادنا بالأمس منطلق الأدب وموئل الفكر والمجد البياني، حيث اضاءت ارجاء الدنيا بشعاع الفكر والروح وانطلق منها فحول الشعراء وأساطين البيان وتفجرت منها ينابيع الأدب والمعرفة والفكر وأسهمت بنصيب كبير في اغناء التراث العربي والاسلامي وتوارث ابناؤها الميراث كما قال شاعرنا القديم :

إن فاتنا نسب يؤلف بيننا　　أدب اقمناه مقام الوالد

ولقد حفل الشعر العربي بكل ذلك وتسجيله وواجبنا اليوم ان نعمل على تشجيع المواهب الأدبية وان نأخذ مكاننا في مسيرة الأدب والفكر ويكون لنا دور رائد مؤثر اشد ما يكون التأثير على الفكر الانساني في مختلف مجالاته.

ان جائزة الدولة التقديرية خطوة رائدة وقد جاءت في وقت يتطلع الكثيرون

فيه الى مثل هذه اللفتات التي من شأنها ان ترفع من معنوية الأديب وتحفزه الى مضاعفة الجهد والنشاط .. وتدل على حرص الدولة على تكريم الأدباء وتشجيعهم وان الأمل لكبير في ان تأخذ الاندية مسئوليتها فتكون اكثر فاعلية ونشاطا وتحركا وانتاجا ودعم الأدب والأدباء وتشجيع انتاجهم بشتى الوسائل الفعالة المتواصلة كما وكيفا، ومتى تبوأت الأمور الأدبية مكان الصدارة في اهتمامات المسئولين فان ذلك دليل نجاح وفعالية ودفع للحركة الأدبية والفكرية في طريق النماء والازدهار للوصول الى بلوغ مستوى من التطور الفكري الرفيع.

فالأدب فن رفيع يساهم في تطوير القيم ويؤثر في حياة الأديب لأنه تعبير صادق يمتد اشعاعه الى الآفاق البعيدة.

ان علينا ان نواكب التطورات الحضارية وعلى الأدب والأدباء مسئولية كبيرة في التوعية والمشاركة في مسيرة النهضة التي تسيرها بلادنا اليوم ولكي يكون ادبنا بارزا ومنتشرا ومقروءا فلا بد من تضافر الجهود بتكوين دار نشر ذات امكانيات كبيرة تتولى تسويق الانتاج وطبعه وتوزيعه وتتناسب مع الانتاج الفكري والأدبي وتبرز هذا الانتاج في الداخل والخارج لينطلق ادبنا انطلاقة واسعة قوية ويسهم في بلوغ الهدف الأسمى .. ومتى عرف الأديب ان المصاعب والعقبات التي تقف في طريقه ستتلاشى وتزول فانه سيضاعف الجهد بعطائه وانتاجه لأنه سيجد اهتماما بنشاطه وتقديرا لجهوده واعترافا بعمله ومجهوده .. وبذلك تنشط الحركة الأدبية ويثمر ادبنا الثمرة الطيبة ويعطي انتاجا يكون غاية في الروعة والفن وزاخرا بكل جميل وطيب واثراء فنون الأدب الأخرى وتفتيح قرائح اصحاب المواهب الأدبية ودفعها إلى الأمام وصهر ما لديها من امكانيات فقد آن الآوان لمضاعفة الجهد وتكثيف العطاء ليثمر ويتحقق الرجاء.

ان الاخلاص لرسالة الأدب هو أسمى ما نتطلع إليه جميعا بل إن ذلك خير ضمان لبلوغ الهدف الأسمى .. وأخيراً فإن الجائزة الأدبية وغيرها من وسائل التشجيع الأخرى سيكون لها نصيب في السمو بأدبنا ودفع الحركة الأدبية والابداع الفني ومجاوزة الكسل والجمود والتطلع نحو مستقبل أدبي زاهر وان يشق ادبنا طريقه بين الآداب العالمية المعاصرة والانطلاق الى عالم النور والفكر والطموح والفن وفي مجال النشاطات الثقافية والادبية والاجتماعية والاسلامية وبعد ذلك لا بد

ان يلتفت الأدباء بانظارهم الى الجوانب المغفلة ويسدوا الفراغ بمجهوداتهم الأدبية .. ومن المؤمل ونحن نقف اليوم على قمة مرحلة جديدة من حياتنا وتاريخنا الحافل بالامجاد ان ندرك ان للأدب دورا كبيرا يتعاظم باستمرار وان على الأدباء مسئولية تتضاعف على الدوام وهم يقدرون ذلك فالامانة الملقاة على عواتقهم تتطلب منهم مواصلة العطاء والامتداد والتطور مما يتلاءم ويتناسب مع واقعنا وطموحنا وتاريخنا وتراثنا الحافل بالامجاد.

ولعله من نافلة القول الا يغيب عن اذهان المفكرين اهمية ابراز الأدب السعودي المعاصر ليكون قادرا على الاشعاع والنفاذ والحيوية ويعبر حدودنا الى العالم العربي والاسلامي حيث الملايين من ابنائها يتطلعون اليه ونحسب انه قد بدت تباشيره في التألق والبروز والامتداد.

في النقد الأدبي

لعلي لا أكون مجانبا للصواب أو مجافيا للحقيقة إذا قلت إن النقد عندنا في أزمة، ولعل سبب ذلك عدم وجود الناقد الذي يلتزم بقواعد النقد ومناهجه، ويعطي الرأي الصحيح في مختلف قضايانا الفكرية، ويحفظ لأدبنا كيانه وشخصيته، ويصونه من التردي والهبوط .. فالنقد علم وفن.

إننا في حاجة إلى الناقد الأدبي الذي يملك الموهبة الأصيلة والإحساس الدقيق والشعور المرهف والنظرة النفاذة والدراسة المتأملة والوعي الرفيع متحرراً من النزعة الشخصية ومتجرداً من كل غرض نفسي لا يتسلط عليه الغرور ولا يستبد به الوهم بل يتطلع بصدق وإخلاص إلى الأثر الأدبي فيوليه عنايته واهتمامه ويستوفيه درساً وتمحيصاً فيجسم المعايب والمساوىء ويوميء إلى الحسنات وينبه إلى كل عمل مبدع خلاق بدون إثارة أو تحامل أو تجريح لقد تبلورت مفاهيم النقد لدى كثير من الأمم، وصار نقادها محل تقدير وإعجاب من مختلف الهيئات الأدبية لأنهم تساموا عن كل التوافه فارتفعوا بعملهم وإنتاجهم فارتفعت قيمتهم وقاموا بتحليل ما ينقدون في إطار سليم وبأسلوب علمي نقي، اتجهوا إلى التماس الخصائص والمزايا في نوعية الانتاج، ومدى أوجه الجمال ونبل الفكرة وسمو الهدف واكتمال الأداء...

إننا نقرأ في صحفنا بعض الأحايين نقداً ورداً هما أبعد ما يكونان عن طبيعة النقد وطرائقه الصحيحة.

إن كثيراً من كتابنا يشطح كثيراً ويبتعد عن النهج السوي عندما يدخل في مناقشة لموضوع فكري أو إنتاج أدبي، أو قطعة شعرية أو نظرية أدبية، فلا يدقق في الناحية الموضوعية ولا يسلط أضواءه على كل الهنات، ويشير إلى كل عتمة وضباب ويحكم حكماً يضع كل أمر في نصابه.

ليست غاية النقد أن تتدافع الأقلام في أمور شكلية ونواح شخصية ولجاجة فارغة وصرف الوقت في التأرجح والدوران مما يخرج بصاحبه عن وجه الصواب، وهذا مما جعل أدبنا يغلب عليه طابع الركود وتتعاوره أسباب الفتور.

إننا لنحس بفراغ هائل في حياتنا الأدبية من جراء عدم وجود الناقد الأصيل الذي يملك الإحاطة الوافية بأصول النقد ومناهجه ويظل عامل بناء وتقويم يضيىء الدروب ويشعل الشموع ليغمر شعاعها كل طريق.

الحركة الأدبية في المكتبة السعودية

لقد أصبحت المكتبة السعودية تعطي نتاجا كريما وتسهم اسهاما فعالا في تنشيط الحركة الادبية والعلمية فقد صدرت في السنوات الاخيرة مجموعة من الكتب والمؤلفات العديدة في شتى الفنون الادبية والاثار الفكرية الى جانب بعض الدواوين الشعرية وتحقيق جزء من كتب التراث التى لها صلة بالتراث الادبي والثقافي.. ولكي يستمر العطاء ويتضاعف الانتاج فلا بد من بذل المزيد من التشجيع والدعم لذلك والى جانب ذلك فلا بد من العمل على تسويق الانتاج السعودي والتعريف به خارج بلادنا اذ لا يزال الكثير من ادبائنا ومؤلفاتنا غير معروفة في الخارج عدا القلة النادرة وليس هذا في نظري بسبب ضعف وقصور ادبنا وانما بسبب عدم التعريف به.

كما ان وسائل الدعاية وعدم وجود من يقوم بتوزيع الكتاب السعودي خارج بلاده من الامور التي تساعد على انطواء ادبنا على نفسه ومهما يكن فان أدبنا بدأ يحتل مكانا مناسبا وإنا لنطمح بفضل الدعم والتشجيع للنشاطات والنوادي الأدبية وجمعية الفنون والثقافة الى تفتح طاقات جديدة ومواهب كامنة تملأ الفراغ وتسد الاحتياج والنقص الذي نشعر به في هذا الجانب كما ان وجود دار نشر في بلادنا على نطاق واسع تتولى المؤلفات والكتب السعودية وطباعتها طباعة جيدة وبأسعار محدودة حتى يتمكن كل قارىء في الداخل والخارج من الحصول على الكتاب..

إن الكثير من الأدباء والشعراء ليتساءلون كثيرا في خارج بلادنا عن الأدب السعودي يتوقون الى قراءته والتعرف على معالمه ولعل النوادي الأدبية تسعى الى التعريف بأدبنا ليكون في طليعة الآداب العربية وإبرازه في حلة فنية وطباعة أنيقة تليق بمكانته.

فالأدب واحد من اوجه نشاطات الامة واطار تاريخي لحضارتها ورقيها ورافد من روافد نهضتها وأدبنا اليوم يحمل الكثير من الخصائص والمقومات مما يتيح له القدرة على مواكبة آداب الامم الأخرى كما كان بالأمس غاية في القوة والثراء والإنتاج والقيم الرفيعة..

لقد آن الأوان وبلادنا اليوم تنطلق الانطلاقة الرائعة في مختلف المجالات أن ينطلق إنتاجنا الأدبي إلى مختلف الآفاق والأبعاد.

ما أخطر رسالة الأديب في مسار هذه الحضارة

ما أخطر رسالة الأديب في مسار هذه الحضارة، ويمكن القول من خلال تحليل معطيات رسالة الأديب أنها أكثر خلودا واستمرارا وقبولا، فهو الرائد الحقيقي الذي ينبغي أن يكون نشطا وفي تطور مستمر. حقا ما أعظم رسالة الأديب في هذا العصر المليء بالمتناقضات والمشكلات والماديات والجبروت والاحداث والشعارات الجوفاء، وهنا تبدو أهمية رسالة الأديب ودور القلم لخوض معركة الحياة بسلاح العقل والفكر والحوار والمنطق والوعي مهما كانت المعوقات ووعورة الطريق لايجابيات هذه الحضارة والتعامل معها في وعي العقيدة والأصالة واختيار الأفضل واكتساب الأصلح والأجود مما فيها وتجنب مباذلها ومساوئها وسلبياتها وانحلالها وتفسخها فنحن أمة لنا رسالة عظيمة وعقيدة كريمة ونهج خلقي وميراث ثقافي وتراث عريق. وما شقيت أمة لها تلك المزايا والمكاسب الخلقية والمآثر الروحية.

إننا لا ندعو للعزلة والبعد والسلبية عن روح الحضارة وعالمها ولكنا في حاجة إلى الكاتب والأديب صاحب التجربة والكلمة المؤثرة البعيدة عن نسج الخيال بل يعلمنا كيف نواجه متناقضات هذا العصر وما ينتابنا من قلق وشعور بالأسى بل يفتح العيون والبصر والبصيرة وإلايمان لنتجاوز بها أخطار هذا العصر وهوله .. ولكي يكون الأديب مؤثرا فلا بد أن يكون شجاعا في قول الحق وصيانة الحقيقة من العبث بها في عالم المتناقضات والمزايدة والماديات.. إن الحق يجب أن يكون ناصعا والصدق يجب أن يكون بارزا والقيم والمثل يجب أن تكون لها القوة والتأثير واحترام الأخلاق والحفاظ على الفضائل والتعبير عنها بصدق وإحساس وتعميق الوعي والمعايير السلوكيه.

وإذا كانت حضارة اليوم تعنى بالماديات وتلهث وراءها وتشعل الحروب والفتن من أجلها فهي ولا شك بداية النهاية؛ لأنها أعراض زائلة وغبار ومجرد إغراء مؤقت يغري المرء ويفتنه وينسيه قواعد وأصول وحقائق ثابته سامية كثيرا ما ضاعت أمم قبلنا في متاهاتها وعفا عليها الزمن.

إن رسالة الأديب في هذا العصر أن يدرك أبعاد هذه الحضارة وأنماطها

وصراعها برؤية نيرة ولا سيما في مرحلة تتكاثر علينا فيها مشاكل ومحن وتحديات نحار أمامها حيث لا نملك الادراك الواعي لأسبابها العديدة.

إن علينا أن نرسم السبل لإيجاد رؤية فكرية ونظرة ثقافية واعية واضحة وعقلية سليمة ونفس مؤمنة وترسيخ القيم الحقة والاستمساك بها والبعد عن طغيان الأنانية والتسلط والعودة إلى المثل الإنسانية الأصيلة التي ترقي بالإنسان إلى معارج التقدم والسمو ولا تهبط به إلى الدرك الأسفل.

إن الأديب مدعو أن يقوم بهذا الجهد وبالدور الإنساني النبيل وأن يتسم عمله بالفنية والصدق؛ لأنه صاحب رسالة وعقل مبدع وفكر مستنير ليسهم في بناء مسيرة التطور. ومن هنا يبدو خطر رسالة الأديب في مسار هذه الحضارة فهل لنا أن نعي ذلك وسط هذا الصراع الحضاري.

نظرات في التراث (*)

أحييكم في هذه الأمسية الطيبة وفي هذا النادي الكريم الذي يسعى جاهداً لتحقيق الأهداف الثقافية وتطوير الحركة الأدبية في هذه البلاد ، ذات الماضي الأدبي العريق ، فقد كانت منارة الأدب وقلعة المعرفة والهداية ، ومهد الفصاحة والبلاغة ، ومنطلق الشعر ومأزر الفكر والأدب ، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين ، وملتقى الشعر والشعراء على امتداد التاريخ يتلقفها كابر عن كابر ، واستطاعت خلال حقبة من الزمن أن ترسل أضواءها الروحية والثقافية إلى معظم أرجاء المعمورة وبها ارتفع اسمها وتألق مجدها وعلا ذكرها ولقد خص الله هذه البلاد منذ الأزل بالشرف الرفيع حيث وهب مكة المكرمة الشرف والحرمة يوم خلق السموات والأرض واستجاب لدعوة ابراهيم عليه السلام فبعث منها رسولا فكانت هذه البلاد منارة المعارف الإلهية والرسالة الخالدة.

أيها الأخوة : إن بلادنا اليوم تسير في طريق النهضة والتقدم والرقي والحضارة بخطى واسعة حثيثه وما نراه اليوم من اهتمام بالعلم والمعرفة في جامعاتنا ومراكز البحوث وتعدد منشآت الثقافة والأدب والمعرفة ألمستندة إلى أساس من العقيدة الصافية والقيم الروحية الخالدة لدليل وعي واهتمام بالأمور الثقافية والقضايا الأدبية والتراثية ولقد تعددت جوانب العطاء الأدبي والفكري في مجالات مختلفة من الأدب والشعر والتراث والنقد ، ونشهد في الساحة الأدبية اهتماماً بالأدب واحياء التراث الإسلامي الذي طالما نهل من منهله الناهلون وورد على مورده العذب الواردون ولاعجب أن يعيد التاريخ نفسه يوم كان أسلافنا من أبناء هذه الأرض المباركة يضربون آباط الأبل ، ويركبون صهوات الخيل من مختلف مناطق هذه البلاد لحضور المواسم والأسواق الأدبية في عكاظ وفي الحجاز واليمامة وهجر والمربد وغيرها من أسواق الشعر والأدب المشهورة ،

(*) محاضرة أعدت بناء على دعوة من رئيس النادي الأدبي في مكة المكرمة بتاريخ ١٤١٢/٣/٢٨هـ ولم يتم القاؤها لظروف طارئة.

ومما حفل الأدب العربي بذكره والإشادة به ويتفاعلون معها شعرًا ونثرًا، ويتقبلون النقد ولايستنكفون منه ، لأن النقد عنصر أساسي من عناصر تقويم اللسان ، وتصويب الأسلوب ، ومراعاة للمقام بأساليب متنوعه للبلاغة والفصاحة. .

أيها الأخوة الكرام :

إن تراثنا هو مرآتنا ، ولقد تحدث المنصفون قديمًا وحديثًا عن تراثنا وماله من فضل على الدنيا في عصور ماضية ، حيث كان حافلاً بالعطاء والعلم والمعرفة وكان سببا من أسباب النهضة الحضارية التي عمت العالم في العصر الحيث ، ويحسن بنا أن نلقي ضوء أو تعريفًا موجزًا بالتراث إذ يعرفه بعض الباحثين قائلا «إن التراث في مفهومه الأول هو ماكتبه أسلافنا من فكر وفلسفة وشعر وحكمة منها ما نشر ومنها مايزال مخطوطًا في شتى مكتبات العالم ولقد شاعت كلمة «تراث» حديثًا للدلالة على ماورثته الأمة من أسلافها من علوم وآداب كما أنها تطلق على مخطوطات اللغة والأدب والدين والعلوم مما نشر منها وحقق.

جاء في معجم المصطلحات العربية :

التراث ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية مما يعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه ، مثال ذلك الكتب التي تم تحقيقها ونشرها ، وكذلك ماتحويه المتاحف من آثار مما يعتبر جزءا من حضارة الإنسان.

كما جاء في المعجم العصري (الرائد):

التراث ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل الي جيل ، والتراث الإنساني هو التراث الأدبي.

وإن التراث العربي الإسلامي لحافل بالقيم وزاخر بالمثل وشامخ بالأمجاد والمفاخر والمثل الانسانية الخالدة ويتسم بمجموعة خصائص وسمات سامية أهمها الجانب الروحي وان ضياء تراثنا لهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فالتراث الإسلامي ثمار المعرفة وقد أصبح اليوم ميراثًا ثقافيًا يجب أن نحافظ عليه ونرعاه كما تحافظ الأمم الأخرى على تراثها الفكري والحضاري وعلينا أن نعي الدور الحيوي ألذي قام به أسلافنا في رسالتهم الحضارية حيث شهد لهم التاريخ بما أوجدوه من تحول تاريخي عظيم اتسع

وامتد في مختلف أرجاء الأرض ومن الواجب علينا ألا نترك تراثنا يعمل على الاهتمام به نفر من المستشرقين مناهجهم في البحث معروفة.

إن التراث الإسلامي حافل بصفحات مشرقة وضاءة وناصعة لما يحويه من الذخائر النادرة والمخطوطات والوثائق والكتب التي تركها أسلافنا . فهو إرث ثقافي جدير بالعناية والاهتمام ونشره على نطاق واسع وفي طبعات لائقة . . وإن التراث هو مظهر من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة عبر تاريخها وهوما ينبغي النظر إليه نظرة علمية موضوعية تاريخية.

إن الوعي بالتراث ضرورة حضارية فهو جزء من ثقافة الأمة وحياتها وكيانها الروحي وركيزة حيوية من أهم ركائز النهضة والتقدم باعتباره الإرث الثقافي والفكري والمنطلق إلى آفاق المستقبل ولقد بذلت جهود لجمع التراث وتوثيقه وتدوينه ولقد مر التراث الإسلامي منذ عهد التدوين وحتى الآن بمراحل عديدة كان فيها يزدهر وطوراً يضعف ويتعثر ولعل أهم مراحل الإزدهار في العصر العباسي في بغداد حيث انشئ بيت الحكمة والعصر الأموي في الأندلس بقرطبة ثم كانت مكتبة الزهراء والعصر الفاطمي في مصر ، وأيضاً أقيمت مكتبة العزيز بالله الفاطمي ، ولقد تعرض الكثير من مقتنيات تلك المكتبات للضياع والتدمير في عصر حملات التتار والصليبيين.

ولقد كان من حسن الطالع للدلالة على اهتمام بلادنا بالتراث في وقتنا الحاضر أنه تم اختيار عام ١٤١٠ هـ ، عاماً للتراث دعت إليه اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الإسلامي التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب وعقدت لهذا الغرض ندوات في تركيا حضرتها وفود من جميع البلدان والدول المهتمة بالتراث وأصدرت توصيات أخذت طريقها الى التنفيذ وهي بادرة طيبة في محيط العالم الإسلامي.

وإن الوعي بالتراث لأمر حيوي لقياس درجة وعي الأمم واهتمامها بجمعه والحفاظ عليه إذ أن التراث هو خلاصة خبرة المجتمع في تفاعلاته مع بيئته ، وتجارب السلف ، ورصيدهم المنظور ، وبصمات أفكارهم الملموسة ، وحصيلة مواهبهم المشعة ، المتنقلة من جيل إلى جيل ، تتسم بالغزارة والعمق والشمول لكل ألوان المعرفة ، من علوم عقدية ، وشرعية ، ولغوية ، وأدبية ، وفنون وآداب

وغير ذلك ، يأتي القرآن الكريم وعلومه ، في مقدمة هذا التراث الحافل ، الذي حفظ علينا لغتنا ، وحفظ لها رونقها، انطلاقًا من سر بلاغته ، واعجازه في الآداء البياني المبدع .

والدعوة للاهتمام بالتراث ليست ضربا من ضروب التعصب ، أو دعوة للجمود والتخلف ، بل بالعكس إنها دعوة الى الأصالة ، والى احياء الحضارة ، فمالا أصل له من النبات تذروه الرياح ، ومن المجتمعات من لاقيم له ولامبادئ ، فلا دعائم يقام عليها البناء . .

وليس كتراثنا العربي الإسلامي تراث في اتساعه وخصبه ، وفي شموله ودلالاته ، وعمقه وبعد مراميه ، وقد تجمع على مدى طويل ، وبعد جهد عظيم فأوفي على الغاية، ولم يترك زيادة لمستزيد . . غير أن ما بأيدينا منه ما هو إلا النزر اليسير ، وقطرة من بحر ، وقليل من كثير وغيض من فيض ، وما علينا إلا أن نتمسك بهذا القليل كي لايضيع كما ضاع من قبل الكثير .

لقد أصيبت المكتبات بما قضي على ملايين الكتب منها بحيث فقدها العالم إلى الأبد وهي من أثمن ماخلفه الفكر الإسلامي فنكبة التتار حين دخلوا بغداد أصابت هذه المكتبات قبل أن تصيب أي شئ غيرها فقد قذفوا ما وجدوه من الكتب في نهر دجلة حتى فاض النهر بالكتب الملقاة فيه فكان يعبر الفارس عليها من ضفة إلى ضفة وظل ماء النهر أسودًا داكنًا أشهرًا طويلة من تغيره بمداد الكتب التي أغرقت فيه .

ونكبة الغزو الصليبي أضاعت أعز المكتبات في طرابلس والقدس وغزة وعسقلان وغيرها من المدن التي خربها الصليبيون وقد ذكر المؤرخون أن ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد ونكبة استيلاء الأسبان على الأندلس فقدت فيها المكتبات العظيمة التي يتحدث عنها التاريخ بذهول فقد احترقت مئات الكتب حتى أنه أحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدره بعض المؤرخين بمليون مجلد هذه إيماءة موجزة حول نهاية ما انتهت إليه تلك المكتبات الحافلة بالتراث الإسلامي المجيد .

إن تراث الأمة هو عنوانها وجوهرها وأصالتها ، ونهضة كل أمة لاتقوم إلا على أساس من فكر عميق ومستنير ، وأن عظمة الأمم تعتبر بتاريخها وتراثها

وعلمها ، وإن الحديث عن التراث واحيائه لهو وفاء للماضي ودعم للمستقبل واستنباط العبرة منه لما يزخر به من معطيات حضارية ، ولعل من نافلة القول الإشارة الى بيان قيمة التراث العربي الإسلامي إذ هو غني في نوعيته وكمه ويعتبر في قمة الإنتاج الفكري وذروة العطاء العلمي رفعة ومجداً . . حيث أنه حافل بألوان من جوانب المعرفة الإنسانية الى جانب مصنفات الفقهاء وكتب المفسرين والمحدثين ، وكم أبدع أسلافنا في علوم الفلك حيث ألفوا فيها كتباً لاتزال مصدر اشعاع في العالم حتى يومنا هذا رغم مرور القرون الطويلة عليها ولاتخلو من الحديث عنه دائرة ثقافية ولاهيئة علمية.

فهناك نماذج من أمهات كتب الأدب واللغة لمؤلفات الثعالبي وابن حني والنويري وابن قتيبة والقلقشندي والراغب الأصفهاني وابن النديم وياقوت الحموي وقد كان هؤلاء قبل أن توجد المطابع . فالمقريزي يذكر أنه كان في خزانة العزيز بالله أكثر من ثلاثين نسخة من كتاب العين ومائة نسخة من جمهرة ابن دريد ، وفي خزانة الفاطميين ألف نسخة من كتاب تاريخ الطبري . . لقد كان أسلافنا ينسخون كتبهم بأيديهم فيروى عن أحد النحاة أنه كان يخرج في وقت العصر الى سوق الكتب في بغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ويبيعه بعد ذلك بنصف دينار والروايات في هذا المجال كثيرة ومعروفة وطريفة .

إن التراث العربي الإسلامي لايقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة الإنسانية بل يمتد ليشمل كل فروع الحضارة والفكر والتاريخ واللغة والجغرافية والعلوم التطبيقية بشتى أنواعها ومازال جزء منه رهين الخزائن والرفوف والأقبيه المعتمة يتطلع لمن ينفض عنه الغبار ويخرجه إلى ساحات النور.

وفي هذا العصر وبفضل اختراع المطابع التي كانت عاملا قوياً وفعالا في نشر الثقافة والمعرفة ومن ذلك كتب التراث بشكل سريع وفي أشكال وصور شتى.

ووصلت إلينا كثير من كتب التراث مطبوعة ومحققه ومؤثقة وسيذكر التاريخ فضل مخترع المطبعة جوتنبرج الألماني.

لقد نشرت مئات الكتب من أمهات كتب التراث في الأدب والدين والتاريخ واللغة واستمرت تلك المطابع في نشر طائفة من كتب التراث كان لها دورها وفاعليتها في نشر الوعي والمعرفة والفائدة . وهو جهد عظيم وعمل كبير

فمن يقرأ المخطوطات يدرك جهد أولئك الناشرين والمحققين في مقابلة المخطوطات القديمة ومقارنتها ودراستها ووضع الفهارس والتعليقات والإضافات والهوامش لها على قدر طاقتهم وإمكاناتهم . لقد كان لأولئك المحققين الرواد الفضل الكبير للمحققين والناشرين في العصر الحاضر . فمن يطالع صبح الأعشى وكتاب الأغاني والقاموس المحيط وخزانة الأدب ولسان العرب وكتاب سيبويه وشرح الحماسة وغيرها من أمهات الكتب يدرك ويعترف بالجهود الكبيرة للمحققين والناشرين الأوائل. .

إننا للأسف مازلنا مقصرين في ذات تراثنا واحيائه واخراجه وتحقيقه فتراثنا جزء من شخصيتنا وكياننا . . وليس احياء التراث معناه الانصراف عن الأخذ بأسباب العلوم والآداب والثقافات الحديثة . فما زال الغربيون يولون الأدب اليوناني واللاتيني القديم كل اهتمام وتحقيق.

ودعونا نعقد مقارنة بيننا وبين ما كان عليه علماؤنا ، لقدشغف علماؤنا القدامى بالكتب وشرائها وجمعها حتى كانوا يرون خسارتهم في أموالهم أيسر عليهم من خسارتهم في كتبهم وكانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها قبيل الانتهاء من تأليفها وعلى سبيل المثال فقد سمع الحاكم أمير الأندلس بكتاب الأغاني فأرسل على الفور الى مؤلفه أبي الفرج الأصفهاني بألف دينار من الذهب ثمن نسخة واحدة منه فأرسل إليه أبو الفرج بنسخة من الكتاب فقرئ كتابه في الأندلس قبل أن يعرف في موطن المؤلف العراق ، وروي عن الصاحب بن عباد أنه فضل أن يبقى بجانب كتبه ومكتبته على المنصب الكبير الذي عرض عليه في بلاد نوح ابن منصور الساماني كما كان المأمون يعطي حنين بن اسحاق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية كما أن محمد بن عبد الملك الزيات يعطي نساخ الكتب في مكتبته ألفي دينار وغير ذلك من الأمثلة كثير تشع بالنور والضياء والمعرفة وان تجاهل ذلك وازدرائه لايليق بنا ومن الخير أن نعمل على إحيائه والاستفادة منه ليصبح زاداً ثقافياً واعياً للشباب وليصير منطلقًا واسعًا يتعرف فيه أبناؤنا على ماضيهم وتراثهم وأعلامهم وعلمائهم وما تحمله أولئك الأعلام في تناول ومعالجة القضايا الفكرية والثقافية والتاريخية وكانوا يتحلون بأسمى الصفات وأنبل السجايا التي تتمثل في رجال العلم والبحث من أمانة ودقة واستقصاء وأدب واخلاص

ووفاء وتجرد ومن يستعرض سير المؤرخين وأئمة اللغة والنحو ورحلاتهم الى مختلف البلدان ومناطق تجمع البادية وذلك بقصد التأكد من صحة وصواب الأساليب والمؤلفات المعجمية واخراجها على الوجه العلمي.

لقد اهتم المستشرقون بتراثنا ، وطباعة ماحصلوا عليه من كتبنا والرجوع إلى المظان والمنقول ، عنها ويقول البحاثة محمد كرد على (لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الأدباء . . ورأوا مصلحة للعلم والآداب أو للسياسة والاستعمار غرضًا في إحيائه قبل غيره) . .

ويقول صاحب الرسالة الأديب المعروف المرحوم أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي : (لقد كتب المستشرقون البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء وكشف المجهول عن الأسلوب العلمي والصحيح والمنهج المنطقي الحديث وأصدروا المجلات ونشروا نفائس الكتب وعلقوا عليها الحواشي وذيلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والأمكنة والموضوعات) . ويقول المؤرخ الانجليزي ملز في كتابه فلسفة التاريخ.) (إن مدارس العرب في أسبانيا كانت هي مصادر العلوم وكان الطلاب الأوروبيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم والرياضة وما وراء الطبيعة ، وكذلك أصبح جنوبي إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوربا ، ولقد ورد الى المدارس العربية مجموعة من الرهبان لدراسة علوم الرياضيات والفلك ثم عادوا الى قومهم ينشرون فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموهم بالسحر والكفر . . وهكذا تخرج على علماء الأندلس العديد من العلماء والمفكرين وأولعوا باللغة العربية وعدوها لغة الأدب العالمي.

غير أن الأمة العربية والإسلامية لم تسلم من الحاقدين في مختلف العصور التاريخية فلقد واجهت الأمة الإسلامية عبر العصور تحديات عنيفة وقد أشرأبت أعناق الحاسدين والطامعين وسعوا جاهدن إلى اخماد الايمان بكل ما في جعبتهم من ألوان الأذى والكراهية والعنف واحراق الكثير من المآثر والذخائر والمعارف في بغداد والأندلس وغيرها بيد أن ذلك كله لم يطفئ اشعاع الثقافة الإسلامية في النفوس فبعد سقوط الأندلس ظل المسلمون يتسترون بإسلامهم يصلون في الكنيسة

ويقرأون سراً سورة (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . .) ويستظهرون في بيوتهم ويؤلفون كتباً مبسطة في الفقه والتوحيد والسيرة النبوية والقصص القرآنية رغم محاربة الكنيسة لهم ومع ذلك لم تتقوض الثقافة الأندلسية الإسلامية وبقيت أسماء العلماء والمفكرين الأندلسيين رغم حقد ومقاومة المتعصبين المسيحيين ومن يطالع التاريخ الأندلسي يدرك ذلك وكيف تقاسم الغزاة خزائن مكتبات العلماء المسلمين .

وما تزال المكتبات الأوروبية اليوم تمتلك رصيداً كبيراً من كتب التراث الإسلامي.

ففي النمسا تحتوي المكتبة القومية في ڤيينا على مجموعة من المخطوطات وفي برلين بألمانيا مجموعة من المخطوطات وكذا تقتني جامعة هامبورج وثائق من التراث معظمه مكتوب باللغة العربية وفي هولندا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا مجموعات ثمينة وغيرها كثير مما تحويه من الذخائر النادرة والمخطوطات والكتب التي تركها أسلافنا وتسابق الأجانب على الاحتفاظ بها في خزائن مكتباتهم ولئن كان الاعتراف للأعداء بالجميل صعباً علي النفس فإن من الواجب أن نعترف أن دور الكتب في أوربا حفظت لنا كثيراً من البقية الباقية من التراث وأن فيها من ذخائر المؤلفات العربية ما لايوجد مثله في العالم الإسلامي فقد شاهدت في مكتبة الأسكوريال في مدريد والفاتيكان بروما ومكتبة المتحف البريطاني وغيرها أشياء كثيرة ومن الخير أن نكون أولى منهم وأجدر بالوفاء لتراثنا وما خلفه أسلافنا . والوفاء من الصفات الأصيلة الكريمة كما قال شاعرنا العربي.

حلبنا الدهر أشطره ومرت بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا فلا شيء أعز من الوفاء

وبهذه المناسبة فكم نحن في حاجة إلي إعداد مجموعة من المحققين المختصين بتحقيق كتب التراث بوجه وطريقة علمية وعملية ، ولعل أقسام المكتبات في جامعاتنا مسئولة عن ايجاد ذلك والأمل معقود عليهم في تحقيق الآمال والعناية بتراثهم المجيد الذي أثرى حقول المعرفة وهدى البشرية إلى النور . . فيقبلوا على تحقيقه وجمعه ونشره على أوسع نطاق.

إذ أن مهمة تجميع التراث لن تبلغ غايتها إلا بتضافر الجهود قولا وعملا

وحماساً وعزيمة ولقد أصبح اليوم أمراً ملحا لمجابهة التحديات الحضارية وسد حاجة الباحثين والدارسين والمهتمين بالدراسات التاريخية والتراثية وإذا كان البعض يرى صعوبة عمل كهذا لما يحتاجه من مجهودات كبيرة وامكانيات علمية ومادية ضخمة فإن العزائم القوية وخدمة العلم والمعرفة تجعلنا نتفاعل في تحقيق مانتمناه . . إذ أن التراث رصيد من الخبرات ينبغي النظر فيها ومحاولة فهمه لنجد فيه عوناً وسنداً على مواجهة الحاضر وتحدياته والإعداد للمستقبل . فنحن بحاجة إلى أن نجعل من التراث قوة تحرك المجتمع وتحفزه الى الأمام وفي تراثنا اهتمام أصيل بالعلم والسعي في طريقه وأعمال الفكر والعقل وأهمية الابداع الذاتي المستمر .

وأخيراً فالتراث فيض غني من العطاء الفكري والابداع العلمي في كل المجالات والذي ينبغي أن يجول الفكر فيه ولنتلمس المداخل والمنافذ إليه إذ أن تراثنا ليس كله بين أيدينا فهو مشتت في أماكن مختلفة من العالم والأمل كبير إن شاء الله في الجامعات ومعهد المخطوطات العربية ومراكز البحوث والتاريخ وغيرها من الجهات العلمية والثقافية في جمع هذا التراث وتصويره من مختلف أنحاء العالم . . ولاريب أن في احياء التراث احياء لمجدنا الغابر وكشفاً عن كنوز من المعرفة وما تحويه من نفائس نادرة وذخائر ثمينة .

ونأمل إيجاد مراكز تهتم بتحقيق التراث على أصول ثابتة قويمة ، ليفيد منها الناس جميعاً . وبقدر اهتمامنا بالتراث الذي سوف يلقى أضواء كثيرة على ماضينا العلمي نستفيد عن طريقه أيضا في جوانب عديده تاريخية وجغرافية وعلمية مختلفة وبعد فإن الحديث عن التراث لذو شجون ويطول بنا الحديث إذا ما أردنا أن نبين القيمة العلمية له وأهمية ما قدمه أسلافنا وما تركوه من تراثهم وآثارهم حيث قال: الشاعر العربي:

وإذا لم تدر ما قوم مضوا فأسأل الآثار واستنب الديارا

وإن الاهتمام بالتراث لرسالة وشأن عظيم ومطلب كريم وهمة أولي العزم كفيله بإذن الله على تذليل الصعاب وتحقيق الأمنيات وأن يحتل المكان الأسمى والمنزلة الأثيرة ، والسعي الى تنسيق عربي شامل وإقامة قاعدة معلومات تضم المعلومات التي يمكن توفيرها في جميع مجالات جمع التراث وتصنيفه وفهرسته وتحقيقه مرددين قول المتنبي:

وإذا كانـــت النفـــوس كباراً تعبـــت في مرادها الأجســـام

وسلام على من اعتنى بالتراث وحرص على العناية به ، والحمد لله أولاً وأخيراً ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حماية اللغة العربية

الحفاظ على اللغة العربية واجب عظيم فهي لغة القرآن الكريم والدين الاسلامي وبقيت قرونا طويلة منبعا ثراً أصيلا للثقافة والمعرفة .. ولا يمكن لأي أمة أن تستكمل سلامة شخصيتها وقوتها بغير استقلال لغتها واستقامة تفكيرها ومنطقها وتجتاح اليوم العالم العربي والاسلامي ظاهرة مؤسفة حيث تواجه اللغة العربية غزوا شرسا وتكابد في عصرنا الراهن محنة منافستها رغم ما تملكه من المعاني والمترادفات والمشتقات والثروة اللفظية الغزيرة ..

واللغة العربية لا تقل عن أوسع اللغات في كثرة المفردات ومع هذا نلاحظ تغلب الكثير من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية في عصرنا الراهن على اللغة العربية وتغلغلت تلك الألفاظ في مختلف جوانب حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية .. وبات الكثير من رجالنا يزهد في لغته ويؤثر اللغات الأخرى عليها في محادثاته ومخاطباته ومكاتباته.

وليس من ريب في أن هذا الصنيع يحمل بين جوانحه روحاً سلبية إذ الواجب أن نحرص على اختيار الأسماء العربية والاسلامية المناسبة لفنادقنا ومحلاتنا التجارية ومراكزنا الاقتصادية والصناعية واستبعاد الأسماء الدخيلة والمسميات الوافدة إلينا من الأمم.

ولا غرو فالتاريخ يعيد نفسه فما يضعه بعض قومنا اليوم يشبه الى حد كبير ما فعلته الشعوبية قديما والاستعمار الحديث فقد حاربوا اللغة العربية لتحطيم الروح والأخلاق والدين وحاربوا اللغة العربية حربا خفية وسافرة لتقويض أركانها وإضعاف قوتها

إن من يغشى أسواقنا اليوم ويذهب للفنادق والبنوك والشركات والمطاعم يجد تغلغل اللغة الأجنبية وليس للعربية أي صوت أو أثر .. إن إضاعة اللغة إضاعة للذات والتراث والأصالة ..

والأمة اليقظة الواعية هي التي ترفع من قيمة لغتها وتشيد بأهميتها ويجب ألا نتجاهل واقعنا ومقوماته ففي تاريخنا الطويل وتراثنا الإسلامي الزاخر مقومات عظيمة وفي لغتنا العريقة،المعاني السامية والألفاظ العذبة ودقة التعبير .. ويجب أن نقتبس من الألفاظ بوعي عميق وإدراك واسع ولنكن واثقين من أنفسنا ولغتنا فإن

الثقة بالنفس من أهم الأسس التي تدفع الأمم نحو الرقي ولنعمل على بلورة لغتنا بحيث نساير الحضارة المعاصرة والتكنولوجيا «التقنية الحديثة» دون أن نضيع شخصيتنا وأصالتنا وكياننا في ذلك، ولا ننسى أن الحضارة الغربية في يوم من الأيام أخذت من العرب الكثير،أخذت شعرهم ونثرهم فديوان الحماسة لأبي تمام مثلا ترجم الى اللاتينية وطبع في أوربا سنة ١٧٤٨ م وكذا المعلقات السبع ترجمت الى الانجليزية وطبعت فضلا عما أخذ من الآدب والعلوم والفنون عن طريق الأندلسيين.

فعلينا حينما نريد أن نقتبس ونأخذ أن يكون وفق مقاييس لغتنا دون انسلاخ أو تهافت.

ان العوامل الخفية للغزو الفكري الذي بدأ يأخذ أشكالاً شتى ويهاجم بكل قوة حصون وقلاع العالم العربي والإسلامي بغية تقويضها وتدميرها والتسلل الخفي والسافر الى معاقل أخلاقنا وحضارتنا ليحل الضعف بدل القوة والانحلال بدل المحافظة.

ان علينا أن نعود الى اتخاذ الأسماء العربية الجميلة أسماء لامعة تحمل أسماء الفنادق والمطاعم والمتاجر والمعارض والأسواق والمكاتب وغيرها بدلا من الأسماء الأجنبية التي تتنافى مع مثلنا وأصالتنا وأذواقنا العربية الراسخة.

اللغة العربية وحضارة العصر

اللغة العربية لسان القرآن الكريم ونزول الوحي على النبي ﷺ باللسان العربي فهي وسيلة الثقافة والتعبير تصلنا بتاريخ أسلافنا وتراث أمتنا.

وتزخر المكتبة العربية بفيض هائل وآثار لغوية متنوعة وتراث ثقافي هائل يحق لنا أن نفاخر به وأن نضاهي الأمم بوجوده فقد وهب أسلافنا -رحمهم الله- أنفسهم للغتهم ووقفوا عليها حياتهم وبذلوا في جمع اللغة وتدوينها وإقامة بنائها مبلغًا عظيمًا،وحينما يلقي المرء نظرة على بعض كتب اللغة ومراجعها يستبد به العجب وتأخذه الدهشة .. وكل كتاب من تلك الكتب له أجزاء كثيرة يحتوي كل جزء أوفى الصفحات،ولعل من أشهر كتب اللغة ولست بسبيل حصرها وتعدادها وإنما على سبيل المثال، تاج العروس، والأغاني، ولسان العرب، والمفصل والكشاف لسيبويه وغير هذا من أمهات الكتب اللغوية والأدبية والبلاغية والنحوية ومع هذا نرى ونقرأ في بعض الأحيان من يقول ان اللغة العربية قاصرة ولا تستوعب مسميات والفاظ الحضارة ومستحدثات التكنولوجيا،وما الى ذلك وما عرف اولئك ان اللغة العربية تحوي من النصوص والقواعد والأحكام والاشتقاق مالا تحويه لغة أخرى، ومن يستعرض كتاب «تاج العروس» مثلا وهو عشرة أجزاء في طبعته القديمة يحوي الجزء أكثر من اربعمائة صفحة فقد تضمن هذا الكتاب من أصول اللغة ومواردها وفروعها ووسائلها مالا يوجد في الكثير من اللغات الأخرى . . وكتاب المخصص «لابن سيده» وهو عالم جليل فاقد لبصره وقد ألف كتابه في سبعة عشر جزءا تحوي مسائل اللغة وفروعها وقواعدها وخصائصها ومرونتها وتفاعلها مع التطور والتجديد .

وما أصدق قول القائل :

لغـــة أودع في أصدافهـــا من قوانين الهدى أبهى درر
لغـــة تهصر من أغصانها زهـــر آداب وأخـــلاق غرر
ضاق طوق الحصر عن بسطتها وآلي البحـــر ليست تنـــحصر
فاض من نهر مبـــانيها على فصحـاء العـرب سيـل منهمـر

والمقام لا يسمح لي بالاستطراد في هذا المجال وما بذله علماؤنا السابقون من وفاء للغتهم وجهاد في ميادينها فقد اشتغلوا بالدراسات اللغوية وتركوا لنا ثمار جهودهم السخية منارا على الطريق.

وبقيت آثارهم تدل على اخلاصهم للغتهم ومازالت منارة تستضيء بها الأجيال العربية، وينبغي علينا اليوم أن نحافظ عليها وان نقتفي آثارهم في العطاء والصبر والتضحية .. بدلا من أن نتراخى ونتهاون في مواجهة الغزو الشرس للغتنا اليوم وتقويض بنيانها بل نعمل على اتخاذ الوسائل لصيانتها وتعريب الكلمات والألفاظ التي تتسرب الينا اليوم بشكل هائل ونسمع من يقول لا داعي لتعريب ألفاظ الحضارة فإن ذلك يذهب جمال مسمياتها .. ورحم الله الامام الشافعي حيث يقول : «لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها الفاظا والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه».

وبعد .. فإن التشكيك في تراثنا اللغوي والأدبي والى اصطناع العامية من الأمور التي ينبغي أن نتصدى لها بالحزم والقوة والمنطق والبيان الرفيع فقد نقل أسلافنا من الفارسية والرومية والحبشية والهندية وغيرها كلمات كثيرة وقاموا بتعريبها، ولقد عرف الأقدمون التعريب بأنه اللفظ الأعجمي الذي ادخلته العرب في لغتها وصقلته على مناهجها وأوزانها وتناولته بالاشتقاق، ونحن اليوم نواجه الكثير من الكلمات التي بقيت سنين طويلة دون أن نعربها وزحمتنا المطلحات والمسميات الحديثة دون الإسراع في تعريبها.

إننا لفي حاجة الى مجموعة من علماء اللغة ممن يمتازون بسداد الرأي والنظرة الثاقبة والادراك اللغوي للعمل على مواجهة الغزو والتطور المستمر وتنمية اللغة العربية وتهيئتها لمواجهة ذلك وتعريب الألفاظ والمصطلحات المختلفة في شتى ميادين العلوم والحياة اذ لا مناص لنا من ذلك واختيار الألفاظ العربية الملائمة لذلك مما يواجهنا في وجودنا الحاضر، وان وضع معاجم باللغة العربية للعلوم والطب والكيمياء والطبيعة والنبات وعمل تحقيقات لغوية للألفاظ العلمية المتنوعة سوف يساعد على الرقي بلغتنا علميا وثقافيا.

ولقد قيل «إن إضاعة اللسان تعني إضاعة الذات».

صمود اللغة العربية عبر القرون

اللغـة العربية لغة القرآن والسنة، يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل، والمعنى الرائع البديع المورق، وتبرز فيها البلاغة والفصاحة، وسماها القرآن الكريم «اللسان العربي المبين» ولكم بذل الشعوبيون والمستعمرون وأعداء الاسلام الجهود المتواصلة لمحاربة اللغة العربية وتنفير الأمة العربية من لغتها والتأثير عليها، وايهامها بأن اللغة العربية ليست من اللغات العالمية الحية : ولذا نجد البعض قد انساق وراء هذه الكلمات متأثرا بها. ولقد قيل من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه استخف بتراث أمته واستهان بخصائصها .. ولقد صمدت اللغة العربية عبر القرون الطويلة بفضل انفتاحها المستمر على الحضارات والثقافات .

ونحن حينما ندعو دائما للحفاظ على اللغة العربية والاهتمام بتراثها .. فليس معنى ذلك أننا لا نريدها أن تساير العصر والعلم. وبخاصة وأنها لغة معطاء، فقد أعطت الكثير، فمن يقرأ قواميس اللغة العربية يدرك عظمتها وتألقها وسعتها وشمولها، ومن تلك الكتب على سبيل المثال :

١ ــ تاج العروس للزبيدي.
٢ ــ لسان العرب لابن منظور.
٣ ــ الصحاح للجوهري.
٤ ــ القاموس المحيط للفيروزابادي.
٥ ــ المصباح المنير للفيومي.
٦ ــ معجم فن اللغة لأحمد رضا.
٧ ــ أساس البلاغة للزمخشري.
٨ ــ دقائق العربية لامين ناصر الدين.

وغيرها من أمهات الكتب والمعاجم والقواميس، ولا صحة لما يقال بعدم قدرتها على التفاعل والتطور السريع. ان الواجب علينا نشر لغتنا لنرجع لها سيرتها الأولى أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، وهي اليوم قادرة على استيعاب المعرفة بوسائلها المتنوعة ..

ولعل مما يؤسف له شيوع الكثير من الأسماء والمصطلحات والمسميات الأجنبية بيننا اليوم في هذه الديار التي هي المهد الأول الذي ولدت فيه اللغة العربية وشب البيان العربي الفصيح فيها، وهي المثابة التي تهوى اليها الأفئدة وتتعلق بها القلوب والأبصار، وكان العرب شديدي الاعتزاز بلغتهم وحريصين كل الحرص على تقديرها

ووضعها في أكرم صورة وأحسن منزلة ويتجلى ذلك في نفورهم من كل عيب يشوب النطق أو يشوه التعبير.

واذا كانت كل أمة تعتز بلغتها بتراثها وأرضها .. فأولى بنا الحفاظ على لغتنا واعتزازنا بتاريخنا وتراثنا الذي ترتكز عليه شخصيتنا، اننا نمر بمراحل نمو وتطور حضاري تشهدها بلادنا اليوم، وتبعا لذلك كثر الوافدون الى هذه الديار من شتى الأجناس ومن مختلف الأمم، فصرنا نسمع كلمات أعجمية كثيرة تتدفق علينا باستمرار، ولعل مما يحز في النفس أن تسمع من بعض أساتذة العلوم كلمات توحي بأن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، ولعل مرد ذلك القول الى جهل بعضهم بقواعد اللغة وأسرارها ومواطن قوتها ومكامن حيويتها الى جانب عدم الثقة بكفايتها .. ورحم الله القائل :

وسعت كتاب الله لفظا وغايـة وما ضقت عن آي به وعظات

وأعتقد جازما أن اللغة العربية قادرة على استيعاب تلك المصطلحات .. فاللسان العربي غير قاصر عن إيجاد أسماء لتلك المسميات والمصطلحات وإيجاد الألفاظ العربية أو المعربة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة ..

إن الكثير من كتابنا وبعض أساتذة الجامعات والمدارس في عالمنا العربي لا يحفلون بلغتهم، ونجد أن حماسهم لها فاتر وصلتهم بها ضعيفة ومتراخية ولعل ذلك يعود الى أن الكثير منهم درس معظم العلوم بلغات أجنبية فأصبحت الهوة بعيدة بينه وبين لغته العربية ..

إن قضية اللغة قضية حيوية في أصلها وجوهرها، اذ تتصل بديننا وتراثنا وحياتنا ومستقبلنا وبناء أجيالنا وربطهم بجذورهم وإشعارهم بأهمية اللغة العربية والحفاظ عليها ..

وكل ذلك يستدعي جهدا علميا صادقا متواصلا لتصفية اللغة مما علق بها من الشوائب والكلمات الدخيلة التي غزتها في كل وسائل الحياة .. وبهذه المناسبة أورد بعض الكمات التي صارت شائعة على الألسنة وينطقها أبناء الضاد بكل يسر وسهولة ومنها على سبيل المثال :

برافو	بروفة	أوتيل	بدروم	تيكت	انسكلوبيديا
تلفزيون	راديو	تلسكوب	رادار	كاش	ريبورتاج
لستة	سينما	مدام	ماما	أنكل	بلكون
طنت	جنتلمان	سوبر	روب	صالون	الألبوم
انترفيو		اوكسجين	باي ــ باي	كوانتر	الكتالوج
ميكرفون	ميركوفيلم	فيلم	ترانزستور	لمبة	الأوتوماتيك
سويتش	بروجرام	بوسته	بنطلون	شيك	كارت
روف جاردن	مبستر	أجزخانة	فريزر	فوتيه	بالطو
هاللو	كفرات	كوت	موتور	أوكي	

ورحم الله حافظ ابراهيم الذي قال : عندما رأى البعض من العرب منصرفين عن اللغة ورأى تحولهم عنها واهتمامهم بغيرها .. وحينما تحدث على لسان العربية وهي تندب حظها بين أبنائها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق اسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وان عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا ... فياليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوادي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوما علمتم ... بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما ... يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنيني بغير أناة
أيهجرني قومي ــ عفا الله ــ عنهم ... الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كتوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بممات

وبعد فما أكثر الغريب الدخيل على لغتنا الجميلة التي يجب أن نصونها ونحافظ عليها : فهي دعامة قوية من دعائم تطورنا ورقينا ونهضتنا، وعنصر هام من عناصر المعرفة والثقافة وهي لسان كل عربي.

فأعيدوا يا بنيها نهضة تحيى ثراها

ولنطهر لغتنا من العبارات الأجنبية التي تزرى بها، ولننظفها من الدخيل والتراكيب الأعجمية الثقيلة الباردة التي تخدش وجهها وتشينها ..

في مجال اللغة العربية وآدابها

تزخر المكتبة العربية بفيض هائل وآثار متنوعة وتراث ثقافي زاخر يحق لنا أن نفاخر به وأن نباهي الأمم بوجوده فقد وهب أسلافنا رحمهم الله انفسهم للغتهم وآدابها ووقفوا عليها حياتهم وبذلوا في جمع اللغة وتدوينها واقامة بنائها مبلغا عظيما وحينما يلقي المرء نظرة على بعض كتب اللغة ومراجعها يستبد به العجب وتأخذه الدهشة .. وكل كتاب من تلك الكتب له أجزاء كثيرة يحتوى كل جزء على الكثير من الصفحات ولعل من أشهر كتب اللغة ولست بسبيل حصرها وتعدادها وانما على سبيل المثال تاج العروس والاغاني والكتب البلاغية والنحوية ومع هذا نرى ونقرأ في بعض الاحيان من يقول ان اللغة العربية قاصرة ولا تستوعب مسميات وألفاظ الحضارة ومستحدثات التكنولوجيا وما إلى ذلك وما عرف أولئك أن اللغة العربية تحوي من النصوص والقواعد والأحكام والاشتقاق ما لا تحويه لغة أخرى . ومن يستعرض كتاب «تاج العروس مثلا وهو عشرة أجزاء يحوي الجزء على أكثر من أربعمائة صفحة فقد تضمن هذا الكتاب من أصول اللغة وموادها وفروعها ومسائلها مالا يوجد في الكثير من اللغات الأخرى .. وكتاب المخصص لابن سيدة ألفه عالم جليل فاقد لبصره وقد ألف كتابه في سبعة عشر جزءا تحوي على مسائل اللغة وفروعها وقواعدها وخصائصها ومرونتها وتفاعلها مع التطور والتجديد والمقام لا يسمح لي بالاستطراد في هذا المجال وما بذله علماؤنا السابقون من وفاء للغتهم وجهاد في ميادينها وبقيت آثارهم تدل على إخلاصهم للغتهم وما زالت منارا تستضيء بها الأجيال العربية . وينبغي علينا اليوم أن نحافظ عليها وأن نقتفي آثارهم في العطاء والصبر والتضحية .. بدلا من أن نتراخى ونتهاون في مواجهة الغزو الشرس للغتنا اليوم وتقويض بيانها بل نعمل على إيجاد الوسائل لصيانتها وتعريب الكلمات والألفاظ التي تتسرب الينا اليوم بشكل هائل ونسمع من يقول لا داعي لتعريب الألفاظ الحضارية فإن ذلك يذهب جمال مسمياتها .. ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها الفاظا والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه.

وبعد : فإن التشكيك في تراثنا اللغوي والأدبي والعودة الى اصطناع العامية من الأمور التي ينبغي أن نتصدى لها بالحزم والقوة والمنطق والبيان الرفيع فقد نقل أسلافنا من الفارسية والرومية والحبشية والهندية وغيرها كلمات كثيرة وقاموا بتعريبها ولقد عرّف الأقدمون المعرب بأنه اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها وصقلته على منهاجها واوزانها وتناولته بالاشتقاق . ونحن اليوم نواجه الكثير من الكلمات التي بقيت سنين طويلة دون أن نعربها وزحمتنا المصطلحات والمسميات الحديثة دون الاسراع في تعريبها.

إننا لفي حاجة إلى مجموعة من علماء اللغة وآدابها ممن يمتازون بسداد الرأي والنظرة الثاقبة والادراك اللغوي للعمل على مواجهة الغزو اللغوي والتطور المستمر وتنمية اللغة العربية وتهيئتها لمواجهة ذلك وتعريب الألفاظ والمصطلحات المختلفة في شتى ميادين العلوم والحياة إذ لا مناص لنا من ذلك واختيار الالفاظ العربية الملائمة.

المجمع العلمي اللغوي صرح جديد من صروح العلم والمعرفة

تزخر هذه الأرض بكنوز فكرية وثقافية وتراثية عمل عدد من الباحثين والدارسين على إحيائها لتكون نورا ساطعا ونبراسا لطلاب المعرفة وإذا كانت اللغة هي وعاء الفكر فقد رفع الله هذه اللغة العربية فاكتسبت قوتها بنزول القرآن الكريم بها ..

فهذه البلاد كانت منبت الشعر والأدب واللغة والبيان والفصاحة وغير ذلك من أمجاد القول والكلمة والابداع الى جانب ما خصها الله به من مزايا فهي مهبط الوحي وبها الكعبة المشرفة ومنها انطلقت الرسالة المحمدية ولقد حمل أبناء هذه البلاد منذ ظهور الإسلام مشاعل الحضارة الإسلامية فملأوا العالم علما ومعرفة ومدنية وحضارة ..

وان تأسيس مجمع علمي لغوي لهو بادرة طيبة ويدل دلالة واضحة على الاهتمام بأهم ما يجب أن نعتز به ألا وهو اللغة العربية ذات الجمال والثراء اللغوي الغزير فهذا المجمع صرح من صروح العلم والمعرفة سوف يسهم في إثراء لغتنا ويحفظها من كل دخيل وغريب ومقاومة الغزو اللغوي ووسائل الهدم المغرضة .. وتخليص اللغة من تسلط الغزو الثقافي المتواصل .. فهذه اللغة التي أعزها الله بالإسلام قادرة على استيعاب جميع الفاظ المدنية الحديثة ومصطلحات وعلوم التقنية العصرية .. الى جانب ما تمتاز به من ميزات خاصة لا توجد في هذه البلاد سوف يحقق امورا كثيرة ويخدم اللغة العربية والباحثين والدارسين والمهتمين باللغة وآدابها وعلومها ... والعودة الى اصالة الكلمة والمحافظة على دلالاتها والابتعاد بها عن تيار التغريب وموجة العامية وربط ماضي لغتنا المجيد بحاضرها وتحقيق الأهداف المثلى في مضمار العلم ومجال الأدب والفكر .. وتنشيط البحث والتأليف في آداب اللغة وتاريخها والآثار العلمية لعلماء اللغة واستنهاض الهمم وبث الروح العلمية ...

إن الهدف من إنشاء المجامع اللغوية العلمية هو المحافظة على سلامة اللغة ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات العصر ، ودراسة علاقات الشعوب الإسلامية ، ونشر الثقافة العربية ، وحفظ المخطوطات وإحيائها ، وتشجيع الترجمة والتأليف ...

ويدور انتاج المجامع بوجه عام حول القضايا التالية:

١) تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف ، وما يتصل باللغة واوضاعها العامة ، والترجمة والتعريب وكتابة الاعلام الأجنبية ، وطريقة وضع المعاجم والمصطلحات ، وتيسير النحو والصرف والكتابة والاملاء.

٢) توفير المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية.

٣) تهذيب المعجمات اللغوية ووضع معجم شامل يعرض لتطور اللغة في عصورها المختلفة.

٤) تشجيع الإنتاج الأدبي ، بإعلان المسابقات الأدبية .

٥) إحياء التراث القديم .

٦) إنشاء مجلة تصدر باسمه.

٧) إصدار (كتاب سنوي) يضم مجموعة البحوث والمحاضرات ، وما يدور حولها من جدل ومناقشات.

وعلى العموم فمجامع اللغة تقوم على الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتشجيع الإنتاج الأدبي ووضع المصطلحات العلمية ، وتيسير اللغة ، ووضع بعض المعجمات اللغوية مثل «المعجم الوسيط» ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم ألفاظ الحضارة.

والذي أود أن أومىء إليه أن ترتبط المجامع بالناطقين بالضاد في مختلف البلاد العربية بحيث يكون هناك تفاعل وامتزاج لتحقيق الأهداف التي ننشدها ، اذ الغرض من انشاء المجامع كما هو معروف ان يجعل اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر مواجهة هذا التقدم العلمي والنشاط الحضاري الذي نشهده اليوم ...

والذي أود أن أشير اليه ألا تبقى نشاطات المجامع اللغوية حبيسة بين أضابيره وسجلاته بل نريد بعد اقراره للمصطلحات العلمية واللغوية في الطب وعلوم الأحياء والكيمياء والتاريخ والاقتصاد والأدب وأسماء المخترعات الحديثة أن ينشر تلك الألفاظ والمصطلحات بمختلف وسائل النشر والإعلام ..

إننا نريد من المجمع ان ينشر ما اتفق عليه أعضاؤه وما اصطلح عليه العلماء والمختصون من تعريب لألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية ويوضح كل مصطلح بشرح موجز ...

إن الكثير من عبارات الدعابة بين الأدباء صارت تطلق على بعض نشاط المجامع وما قول : «شاطر ومشطور وبينهما كامخ» وغير ذلك إلا واحدة من نكات الأدباء التي لا تخلو من متعة وطرافة ، او بالاصح من النقد الموجه الى المجامع اللغوية ومن المعروف ان مجامع اللغة قد عقدت عشرات الدورات ، وتضم محاضرها آلاف المصطلحات مما يعتبر ثروة لغوية هائلة..

ولذا فإننا نطلب من أمناء هذه المجامع ان يعجلوا في نشر تلك المصطلحات والتغلب على الصعاب التي تصادف نشرها ليتم تداول تلك الألفاظ والمسميات في حينها مع ملاحظة أن تكون متمشية مع روح السهولة والتيسير والبعد عن أسلوب التقعر والتكلف الذي لا طائل تحته ولا حاجة اليه، وبذلك تثبت المجامع اللغوية قدرتها وتفاعلها وتضيف دليلا على مدى مسايرتها للمجتمع وروح العصر ومقتضيات الحياة والتطور بدون تفريط أو غلو.

كذلك أود أن أشير إلى أهمية وضع معجم تاريخي للغة العربية بحيث يشتمل على تاريخ بعض الكلمات والمصطلحات وتغيير مدلولاتها. إننا نريد لمجامع اللغة العربية الحياة والانتعاش بدلا من الجمود والعقم .. فتعمل على إحياء تراث الحضارة الاسلامية وما تفيض به من كتب ومخطوطات وعلوم ومعارف وتشجيع حركة النشر والتأليف وكل ما يزيد في ثروتنا اللغوية والثقافية، وتخليص اللغة العربية من شوائب العجمة والابتذال، فاللغة تفتقر اليوم الى سرعة وضع المصطلحات اللغوية الحديثة ولغة القران الكريم قادرة على التعبير عن المعاني الحديثة. إن الكثير من دور النشر والصحافة اصبحت تتساهل في بعض القواعد النحوية وكثرت الألفاظ الدخيلة من قبل دور الترجمة عند نقل الآداب الأجنبية مع أن اسلافنا رحمهم الله من علماء النحو لم يدخروا وسعا وبذلوا جهدا عظيما في توضيح قواعد اللغة وما هو شاذ وغريب ونادر بمنطق واضح ودقيق وبقي دور مجامع اللغة في تبسيط تلك القواعد للناشئين للحفاظ على صحة النطق والكتابة والتركيب .. ولا أريد أن استرسل في ذلك، فإن مجامع اللغة تضم بين جنباتها رجالا أفذاذا يمتازون بملكات ومواهب العلماء ويبصرون مشكلات اللغة وصعوباتها .. وأكرر ما قلته آنفا أن الكلمات والمصطلحات حينما تكون حبيسة في الأضابير، فإنها تظل جامدة ولن تدب فيها الحياة إلا بنشرها وشيوعها واستعمالها وتأدية المعنى المقصود منها..

وبعد : فإن رسالة المجمع اللغوي أن يحفظ على اللغة شبابها وازدهارها ووفاءها بحاجات العصر ومستحدثاته ان الكثير من العلماء والأدباء يتطلعون إلى مجامع اللغة لتمدهم بالمصطلحات والألفاظ التي تم تعريبها لدحض تهمة اعداء اللغة الذين يرمونها بالعجز عن متابعة التطور العلمي الحديث ... ومجمل القول كم نحن سعداء بهذا المجمع الذي سيؤدي إلى المحافظة على اللغة وتطورها..

وأسال الله تعالى أن يسدد خطى الجميع في خدمة لغتنا العربية الجليلة.

أهمية تعريب المصطلحات الأدبية والعلمية

اللغة العربية لغة ذات نسج رفيع وسماها القرآن الكريم «اللسان العربي المبين» وعلينا الأخذ بيد هذه اللغة المباركة والذب عن حياضها واثبات وجودها إذ يطالعنا في كل يوم آلاف الألفاظ في العلوم والمخترعات الحديثة ومما يؤسف له ان تكون لغتنا العربية خلوا منها أو من معظمها وقد كانت اللغة العربية في الماضي متسعة لعلوم الأقدمين في السنين الماضية..

ولعل مما يحز في النفس أن يسمع من بعض اساتذة العلوم بكلمات توحي بأن لغتنا غير قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ولعل مرد ذلك القول إلى جهل بعضهم بقواعد اللغة وأسرارها ومواطن قوتها ومكامن حياتها الى جانب عدم الثقة بكفايتها .. واعتقد جازما أن اللغة قادرة على استيعاب تلك المصطلحات فاللسان العربي غير قاصر عن ايجاد اسماء لتلك المسميات والمصطلحات وايجاد الالفاظ العربية أو المعربة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة.

إن الكثير من علمائنا واساتذة الجامعات في عالمنا العربي قاطبة لا يحفلون بلغتهم ونجد أن حماسهم وصلتهم بها ضعيفة ومتراخية .. ولعل ذلك يعود الى أن الكثير درس معظم العلوم بلغات اجنبية واطلع عليها في تلك القواميس المختصة بها فاصبحت لديه ميسرة وسهلة.

إن علينا أن نبحث عن الوسائل والسبل التي يجب أن نسلكها في وضع الألفاظ العربية لهذه المصطلحات العلمية الوافدة علينا بشكل دائم ومستمر وفي نظري أن بلوغ هذا الهدف ليس أمرًا صعبا .. فهناك أمم كثيرة اضافت إلى لغاتها آلاف الكلمات العلمية ووضعوا لها المسميات .. وقد يعترض معترض فيقول كيف يتسنى لنا أن نعرب تلك المصطلحات وهذا ليس امرا عسيرا ومن السهل إيجاد المسمى بلفظ عربي سهل .. لأن اللغة العربية بطبيعتها لغة غزيرة وثرية كما أن علماء اللغة والنحو في جامعاتنا والمجامع اللغوية لديهم الاستعداد والتاهيل على وضع تلك الألفاظ بالاشتراك مع المختصين في الطب والرياضيات والزراعة والفلك والنبات والإدارة والتقنية وغيرها فمتى تعاون هؤلاء على العمل معا في سبيل هذه اللغة جنينا

من نتائجهم وأعمالهم أزكى الثمار..

ولو رجعنا الى التاريخ قليلا وجدنا أن الذين نقلوا كتب العلوم الى اللغة العربية في تلك العصور قاموا بجهد عظيم وبحث دقيق عن الألفاظ المتعلقة بتلك الفنون وتعريبها كثابت بن قرة وحنين بن اسحق والحجاج ابن مطر وغيرهم فانبروا لذلك العمل وبرزوا فيه حيث عربوا تلك العلوم واوجدوا المصطلحات باللغة العربية لتلك العلوم .. فأضافوا بذلك إلى لغتهم أمجادا شامخة باقية..

وليس بغريب علينا اليوم أن نقتدي بأولئك الأسلاف واتباع اسلوبهم الذين كان لهم فضل وأي فضل ليس الى انكاره أي سبيل .. فاللغة العربية لغة واسعة وقدرتها التعبيرية متنوعة فهي أكثر من أن تكون ضيقة أو عاجزة فقد برهنت عبر العصور على أنها المنطلق الصحيح للمصطلحات العلمية في مختلف العلوم والمعارف .. ولعل المجامع والجامعات تعمل اليوم على أن تكون قـويـة مكينـة في حقول المعرفة وقضايا اللغة ومواكبتها للعصر واستجابتها لمطالبه ..

حفظ الله لغتنا وصانها من عبث العابثين ووقاها من شر الأعداء والمتربصين.

الترجمة وأثرها في الأدب

إن تاريخنا الأدبي يعوزه الدرس والبحث لتوضيحه وجليه ، ولعل موضوع الترجمة من الأمور الهامة التي لها اثر بارز في اثراء أدبنا العربي وامداده بالكثير من صور الخيال، وبذلك إتسعت اللغة العربية وزادت ثروتها بما بذل المترجمون والمعربون في سبيل مدها بالكلمات الجديدة .. واتصالها بثقافات الأمم الأخرى، ولقد ازدهرت الترجمة في العصر العباسي، ومع بدء النهضة العربية الحديثة في القرن الماضي ومازالت تتسع وتزدهر.

لقد زودت الترجمة الأدب العربي زاداً خصباً واتصلت الثقافة العربية بثقافات الأمم الأخرى، فقد نقل المترجمون علوم وآداب الأغريق إلى اللغة العربية وكتب أرسطو وافلاطون وجالينوس وأقليدس الملاحم والأشعار، فشهد ذلك العصر نهضة كبيرة الاثر حيث زاد التلاحم في ميدان الأدب بين الفكر العربي والفكر الأغريقي عن طريق ترجمة ذخائر الأداب والمعارف للامم الأخرى من سريان وفرس.

ولقد كان العصر الذهبي للترجمة هو عصر المأمون حيث أنشأ دار الحكمة وغذاها بالمترجمين من كل جنس ومن أشهر المترجمين ابن المقفع والحجاج بن مطر وثابت بن قرة ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحق ويحيى بن عدي وغيرهم.

ولقد تأثر الأدب بالترجمة شعرا ونثرا ، حيث ظهرت موضوعات وأبعاد فكرية وفشت مصطلحات فلسفية كقول المتنبي :

يموت راعي الضأن في ضأنه ميتة جالينوس في طبه

وغيره كثير من الشعراء كالمعري وابن الفارض وابن الرومي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية وحكمة ــ الهند وثقافة الفرس وفي مستهل النهضة بالآداب الغربية وفنونها وجلب العلماء والمترجمين، وفي مصر أنشئت مدرسة الألسن لتخريج المترجمين لنقل الكتب الى العربية.

ولقد شهدت بعض العواصم العربية حركة رائدة في مجال الترجمة حيث وفرت للقارىء العربي مؤلفات وبحوثا كتبت بلغات شتى فأضافت بذلك مدا فكريا

وعطاء أدبيا وثقافيا.

وينبغى ان نذكر بالتقدير والعرفان ما قامت به دور الثقافة ومكاتب الجامعات العربية ومراكز البحوث ومكتب التعريب في المغرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فقد أصدرت جميعا عشرات الكتب والمؤلفات ذات القيمة العلمية والأدبية العظيمة.

وما زلنا نطمع في المزيد من العطاء والنشاط والدعم من قبل مراكز الترجمة والجهات المتخصصة بحيث تحظى حركة الترجمة بالمزيد من العناية والتقدم والتفاعل والاهتمام ، وتوفر ما يحتاجه القارىء لزيادة مفاهيمه ومداركه في مجالات العلم والأدب فتشبع حاجته وطموحه وتوفر للباحث مصادر المعرفة والثقافة.

الديباجة في الأدب العربي

يحفل الأدب العربي على تنوعه وتعدد أساليبه بمزايا عديدة، وتلعب الديباجة دوراً مهما في تحسين وتصوير احساس الأدباء ونفوس الشعراء. فهي تمهيد للغرض والهدف الذي يرمي اليه بغية ايجاد نوع من التجاوب النفسي بينه وبين القارئ أو السامع.

وتعتبر الديباجة عملا فنيا له مقوماته وقواعده وتأثيره.

فالديباجة هي المقدمة والبداية لما يود الكاتب او الشاعر ان يقوله فنجد البعض من الشعراء يبدأ في ذكر الأطلال وإثارة اللوعة والشجن فالشاعر بطبيعته وشعوره أرهف الناس حسا وأشدهم تأثرا بما يشاهده وما يعتمل في نفسه من نزعات متنوعة من تعلق بالارض وتمسك بالوطن ، وحب للمكان الذي طاب له الاقامة فيه فدفعه الشوق والوجدان الى ذكريات مضت وأيام سلفت فنجده يتذكر بين ثناياه ويفتش عن تلك المواضع ليجدد في نفسه ماضيا ولقد صور ذلك الشاعر جرير حيث قال:

ماذا أردت الى ربع وقفت به هل غير شوق واحزان وتذكير

وفي ذلك المعنى نجد زهير بن ابي سلمى يقول:

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أما النابغة الذبياني فنراه مناجيا ومناديا في قوله:

يادار ميـة بالعليـاء فالسنـد أقوت وطال عليها سالف الأبد

ونرى امرئ القيس يدعو صحبه ويطلب من رفاقه ان يقفوا معه للبكاء.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أما عنترة فنجده يقول:

يادار عبلـة بالجواء تكلمـي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

وقد قال طرفة في معلقته:

لخولـة أطـلال ببرقـة تهمـد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وغير ذلك كثير من الامثلة التي ما زالت شاهدا وصدى يدوي في الآذان ويتردد في الخواطر والوجدان.

ومن هنا فان الديباجة عنصر حيوي كان الشعراء يجعلونها البداية الاولى التي يعتمدون عليها في شعرهم كما يعتمد عليها الكاتب والأديب في مبتدأ قوله لتحريك النفس والهاب الهمم.

ولو تتبعنا ذلك في تراثنا الأدبي لوجدنا لها نماذج مختلفة وأساليب متنوعة وصور متباينة والوان جميلة ومواطن ابداع ومواضع حسن وامتاع.

ولقد كان الوقوف بالأطلال هو طريق ومنهج العديد من الشعراء الى جانب الغزل فكان ذلك تقليدا من تقاليد الشعر وسار على ذلك النهج الكثرة من الشعراء قديما وحديثاً.

ويقول ابن رشيق ان للشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في افواههم فهم كثيرا ما يأتون بها زوراً كنحو ليلى وهند وسلمى ودعد ولبنى ومية والرباب وغير ذلك.

وفي هذا الصدد يروى ان الأعشى سئل عن هريرة التي ذكرها في معلقته فقال: لا اعرفها وانما هو اسم القي في روعي ومن هنا يتبين بجلاء أن الاستهلال الذي يبدأ به الشعراء قصائدهم لا يشير الى واحدة بعينها.

وكذا نجد الأدباء في أحاديثهم وانشاءاتهم يمارسون هذا الأسلوب كعمل فني أدبي فتجيء رسائلهم قطعة فنية جميلة.

فهذه المقدمات أو الديباجة كما يطلق عليها تُصور احساسات الشعراء والأدباء وتجسد خيالاتهم ويستعينون بها في اقوالهم ولعلها عامل قوي في الهاب قرائحهم وعواطفهم وتوارد الخواطر والمعاني.

الأمثال في الأدب العربي

الأمثال حكمة الزمان وتجارب الحياة وخلاصتها وثمرة المعرفة تجري على الألسنة الموهوبة خلال قصة أو حديث أو رواية او في اعقاب رحلة إو حادث .. والأمثال لون من الوان الأدب العربي القديم ..

ويتركز المثل على البلاغة والوضوح والإيجاز ومن هنا سهل حفظه وترديده حتى قالوا أسير من مثل والشاعر يقول:

ماأنت إلامثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وللمثل خاصية وميزة على سائر ضروب القول في توضيح المعنى وتقريبه للمخاطب وترسيخه في ذهن السامع ...

ولقد ضرب الله الأمثال في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى «**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**» وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط المستقيم؟ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس والجوع والخوف بما كانوا يصنعون .. ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ...

ومن أمثال الرسول عليه الصلاة والسلام «إن مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا إلى آخر الحديث ..»

والواقع إن للمثل نكهته ومذاقه وتأثيره ودلالته يتدوله الناس في مجالسهم وسمرهم في حلهم وترحالهم وفرحهم وسرورهم وبؤسهم وعرسهم وتفاؤلهم اذ يجدون فيه الحكمة والحقيقة والتأثير والتسلية عما في النفس من آلام ومتاعب .. وكم في الأمثلة من نصح وتوجيه وارشاد ومعنى سديد وتقويم الأخلاق والحكمة والموعظة كما فيه بلاغة وإيجاز مفيد يجعله قريبا إلى ذهن القارئ أو السامع وأثره

بعيد في أعماق نفسه. . وتساق الأمثلة وتطلق في عدة مواقف لتقرير حال او تصوير واقع حسب مناسبتها وغرضها فتتناقلها الألسنة وتتوارثها الأجيال ويقول الباحثون إن نشأة المثل بدأت في الهند ثم انتشرت في الصين ثم انتقلت إلى فارس ثم إلى بلاد العرب ثم إلى بلاد الأغريق ولعل أشهر من تناولها من العرب ابن المقنع مترجم كليلة ودمنة وابن عرب صاحب كتاب «فاكهة الخلفاء» وسهل بن هارون والحريري والميداني وفي العصر الحديث برزت كتب عدة لبعض الأدباء في العالم العربي وفي مصر والعراق والشام والمغرب وفي بلادنا قام الأستاذان محمد العبودي وعبد الكريم الجهيمان برصد الأمثال الشعبية فكانت ذخيرة طيبة مهمة تحوي عملا أدبيا جيدا وشواهد الحكم والشعر الشعبي وهي تمثل بعدا فكريا ودراسة ميدانية لمن يريد أن يتعرف على هذه البلاد من نواحيها المتعددة وطباعها وعاداتها بل هي تاريخ لفترات قد أهملها التاريخ.

حقا كم في الامثال العربية من حكم تمتلىء بالقيمة الفكرية فهذه الأمثال التي تأتي في كلمات موجزة تمثل أسس التعامل وتجسد العلاقات الاجتماعية والأبعاد النفسية للتصرفات الإنسانية ومراميها ومعانيها ..إن هذه الامثال لثروة كبرى ينبغى أن نستفيد منها وبما تفيض به من حكمة وأدب وثقة ودعوة الى مواجهة المحن والخطوب.

مع الأدب الأندلسي

الأدب قريب الى النفوس حبيب الى الأفئدة لأنه منبع الواجدان والعاطفة والاحساس والشعور والذوق والفكر والرأي وما من أمة من الأمم بلغت شأوا رفيعا وتقدمت في الحضارة ونهضت في البناء الاجتماعي والعمراني والثقافي وتطلعت نحو المجد والسؤدد وتخلصت من الجهل والتأخر وتطلعت نحو المثل العليا الا كان الأدب بيانها ولسانها ومنطقها ونغمتها وقيثارتها .

والأدب عامل هام ووسيلة مثلى نحو تحريك العزائم وايقاظ الهمم ونشر الوعي ولا غرو ولا عجب فهو غذاء الروح وحلية النفس وكلما قرأنا في الأدب الأندلسي وجدناه حافلا بمواطن الحسن ومواضع الابداع – وفي الادب الأندلسي روائع وبدائع وبيان وبلاغة وصيانة واسلوب مع براعة التصوير وسحر اللفظ وقوة المعنى – وكلما امعنت القراءة في الأدب الأندلسي وجدتني أمام فيض زاخر وسيل جارف ونبع من البيان والفصاحة لا يحصى عدده ولا ينتهي مدده .. تلمس البلاغة واضحة ومعاني البيان والبديع مشرقة يقول الأستاذ أحمد ضيف مؤلف كتاب بلاغة العرب في الأندلس «امتزج المسلمون الذين دخلوا الأندلس بسكان البلاد وتصاهروا وتحا بوا ثم دخل كثير من غير العرب في الإسلام فظهرت صلة أخرى غير صلة الاجتماع في بقعة واحدة وهي صلة الدين وامتزجت كل هذه الاجناس بعضها ببعض امتزاجا يتسرب في عقولهم كما تسرب في دمائهم فكانت لهم نزعة عقلية جديدة ونمت مواهبهم الفطرية وساعدهم على ذلك انتجاعهم بلاداً واسعة غنية جميلة مختلفة المناظر متعددة النواحي . فكان أثر ذلك كله أن أصبحت لهم مميزات عقلية وصفات لم تكن لغيرهم من العرب الخلص فاشتغلوا بأنفسهم في نقل العلوم ونشرها ورحلوا إلى البلاد في طلبها ورحل اليها كثير من العلماء والأدباء فأخذوا عنهم كما أخذوا عن آثار اليونان والرومان والفرس ...الخ.

لقد حرص الاندلسيون على انشاء المكتبات وجمع الكتب في كل علم وفن كما كانت لهم مجالس للعلم والأدب والشعر يتصدر فيها العلماء والأدباء والرواة والنقاد والشعراء وكان يدير رحاها الخلفاء والأمراء ويخصصون أياما معينة لكل فن

من الفنون وتحفل كتب الأدب بنماذج رائعة وأمثلة من تلك المجالس التي كانت تضمهم في المنتديات التي كانت تجمعهم مما يدل على ازدهار الأدب في نفوسهم. والدارس للأدب العربي في الأندلس يدرك أن ذلك كان نتيجة جهود جبارة وداوفع قوية من بيئة غنية ومناخ ملائم فتسابقوا في ميادين الأدب والتأليف ويصف أحد الشعراء بلاد الأندلس بقوله :

قطر كأن نسيمه نفحات كافور ومسك
وكأن زهر رياضه درهوى من نظم سلك

ويقول ابن خفاجة:

يا أهل أندلس لله دركمو ماء وظل وأنهار وأشجار

ولقد كانت الصلات الأدبية بين المشرق والأندلس مزدهرة حيث كان يفد الى الأندلس العلماء والأدباء من بغداد والبصرة ومصر والشام كما كان الأندلسيون يرحلون الى بلاد المشرق للدراسة والأخذ عن أئمة الأدب والعلم والدين هناك لقد كانت عناية الأندلسيين واهتمامهم بالأدب تفوق كل اهتمام فأعطوه النصيب الوافي من عنايتهم مما ساعد على نموه وازدهاره ونضوجه ورقيه ..

ولقد برعوا في الخطابة حيث كان لها صولة ومهابة وصولجان وفي الكتابة النثرية برعوا في هذا الميدان وتميل كتاباتهم الى حسن العبارة وقوة التصوير وبيان الفصاحة. واما الشعر فقد بلغوا فيه رقيا عظيما حيث المعاني الجميلة وافتنان في الأساليب الخيالية كما أن بيئته الممتلئة بالأنهار والازهار والبساتين والأشجار زادته عذوبة ورقة. والشعر مسرح العقول وعنوا به عناية خاصة حيث كانوا يتبارون في قوله وينقشونه على جدران مساكنهم ودورهم وابنيتهم ووسع كل شيء من أحوالهم كما ابتكروا الأزجال والموشحات وغيرها من الاوزان التي كانت حركة جديدة في الشعر لقد ارتفعت منزلة الشعر والشعراء في بلاد الاندلس وظهر مجموعة كبيرة من الشعراء ولعل عصر ملوك الطوائف من أزهى.عصور الشعر والأدب حيث برز ابن زيدون وابن خفاجة وابن هاني وابن عمار وابن عباد ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من كبار الشعراء وبقي الشعر زاهيا مزدهرا في تلك الربوع حتى نكبة الأندلس وبعد : فالحديث عن الأدب في الأندلس نثرا وشعرا شهي وممتع وممتد طويل مداه وبعيد غوره ولا ينتهي أبدا.

بين الشعر والحياة

يحفل التراث العربي الإسلامي بروائع الآداب والحكم والأشعار . . وكم في تلك الأشعار من حكم بليغة بل هي واحات ظليلة يتروح القارئ في ظلالها ويزيل عن نفسه العناء . . وتظل عالقة بالذاكرة ويستشهد بها المرء في كثير من المواقف والمناسبات فتخفف عنه الكثير من المعاناة والمتاعب التي يصادفها في حياته . . فتطيب بها نفسه . . إن تلك القصائد ثروة أدبية وكم من بيت من الشعر يغني في لفظه ومعناه عن حديث طويل . لقد اشتمل الشعر العربي على الحكم والفخر والهجاء والوصف والغزل والرثاء والحلم والتفاؤل والتشاؤم والحث على مكارم الأخلاق والأصالة والكرم وآداب السلوك الاجتماعي ، كما امتد إلى ألوان شتى من الدعابة والمرح والفكاهة ولكم أشاعت تلك القصائد والأبيات الكثير من البهجة في نفوس قائليها والمتمثلين بها في المواقف والمناسبات ، ولله در القائل؟ :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى بناة الندى من اين تؤتى المكارم
وفي الناس من يستصغر الشعر رتبة وما الناس دون الشعر إلا بهائم

وفي كثير من المناسبات أقابل أشخاصاً من رواة الشعر فلا يكاد يمر بهم موقف أو معنى عارض إلا ولهم إنشاد فيه واستشهاد عليه .

حقاً لقد لعب الشعر دوراً هاماً في مجالات الحياة لما يحمله من المعاني الممتعة والمفيدة وربط الحاضر بالماضي، وكم في حكم زهير وطرفة والمتنبيء والمعري والبحتري وأبي فراس وجرير والفرزدق وغيرهم من روائع وآداب وحكم وأمثال ، وما أروع الشعر حين يكون تعبيراً صادقاً عن المشاعر والآمال في بيان ناصع وأسلوب مشرق مبين وينبع من عاطفة جياشة ومن شاعر متمكن في اللغة والبلاغة جامع لقواعد الأسلوب العربي البليغ من سعة أفق وذهن وبيان وأسلوب عربي رصين أصيل حافل بالصدق والموضوعية وصدق الحس ونضج الوعي والنسق الفني الرفيع.

الشعر ديوان العرب

كان للشعر منذ القدم دوره وتأثيره وفعاليته وقوته في إذكاء روح العزيمة والشهامة والنخوة والحماسة بين مختلف القبائل العربية حربا او سلما كما كان للشعر دور كبير في تصوير ذلك وتسجيله وحفظه ففي تلك الأشعار والقصائد تاريخ وذكر لأيام العرب وحروبهم وغزواتهم ولولا ما تفيض به تلك الأشعار لفقدنا الكثير من أيام العرب وغزواتهم ومواقعهم واسبابها وخاصة اشعار العصر الجاهلي ولا غرو فقد كان الشعر هو ديوان العرب كما قال ابن خلدون .. والى جانب الناحية التاريخية والجغرافية ففيه تصوير للبيئة وتعريف بالمجتمع وتجسيد لتلك الحياة التي كان يحياها والمفاهيم السائدة في ذلك العصر من عادات وتقاليد ومشاعر وأحاسيس كذلك في العصر الحاضر حينما نستعرض بعض القصائد الشعرية لبعض الشعراء الشعبيين خلال دراستنا للفترة ١١٥٠هـ نجد الشعر الشعبي .. يمدنا بمعلومات عن الماضي ورجاله ممن عاشوا في تلك الفترة وما كانوا يتميزون به من مفاخر ومكارم ومآثر وحسنات وقد كان محفوظا في صدور الرواة يتوارثونه وينشدونه في مجالسهم واماكن سهرهم ومضاربهم وحفلاتهم اثناء محاوراتهم وخلال مواسم الربيع والحصاد ينفسون به عن انفسهم وتجد النفوس راحتها في القول ويشعرون بالنشوة والنشاط كما يحس بذلك السامعون لهم إن الكثير من الكتاب والأدباء لا يرى أي قيمة لهذا النوع من الأدب وليس لدراسته أي أهمية تذكر، وعلى كل فهو جزء من معالم هذه البلاد وآثارها وتاريخها وامجادها ، ومفاخرها وخاصة في تلك الفترة التي انحسرت فيها اللغة العربية الفصحى عن دورها المتميز وقلة المتعلمين المتذوقين للشعر الفصيح.

وظيفة الشعر

للشعر هدف نبيل فليس كما يتصوره البعض مجرد موسيقى تلمس الآذان فتطرب لها النفوس لتحقق متعة حسية. بل إن غاية الشعر تسمو عن هذه الأهداف والمقاصد القريبة.. فهو اداة بناء وتوجيه وتقويم يصف مظاهر الحياة وجوانب الخير فيها في لوحة جميلة رائعة بريشة فنية مبدعة كما ينعت معالم الشر والرذيلة والسوء في صورة مقيتة مزرية.

فالشعر يتناول أوجه الحياة المختلفة ومظاهر الطبيعة المتنوعة وجوانب العلاقات الانسانية يتناول الحياة ويصف الطبيعة فالشاعر تستهويه الأحاسيس والمشاعر فيرسم بذلك لوحة متكاملة يصور بها واقعا..

فالشاعر يصور في شعره مظاهر الحياة وما فيها من بهجة وأنس وليل ونهار وسماء وبحر وجبال واودية وشجر وزهر وحزن والم وكآبة ومسرة ويصف بياض الصباح وجماله كما يجسد سواد الليل وعشاقه.

ان الكثير من الشعراء عندما تقرأ شعرهم في وصف جمال الطبيعة والسهول والوديان والهضاب والروابي والجبال تجد الارتياح في شعرهم كما تلمس الاحساس في تعبيرهم وتأثيره في السامع ان الشعر انعكاس الحياة على نفس الشاعر فالشعر أدب وفن وفكر. وتعبير جميل.

دور الشعر في تقويم الألسنة وتهذيب الوجدان

تحفل المكتبة العربية بتراث شعري تتوفر فيه الكثير من الخصائص والمزايا والمحاسن والروائع وللشعر في الادب العربي مكانة ومنزلة سامقة وظل شعراء العرب منذ القدم محافظين على نظام القصيدة الذي ورثوه من حيث بناء القصيدة ذات القافية الواحدة والوزن الواحد فكان له موسيقى عذبة وانغام حلوة بل كان مادة يستفيد منه المتأدبون وينتفعون به في تقويم الألسنة وتهذيب البيان.. واليوم نطالع بين الفنية والفنية من يردد لنا بعض كلمات وخواطر على انها شعر توحي بالهزال والضعف والتخلف اللغوي بل يحرص البعض من دعاة الشعر الحر الى الجري وراء المدرسة الغربية وتقليدها والأخذ عنها فجاءت تلك الاشعار غثة يمجها الذوق السليم إن الشاعر صاحب رسالة يجب أن يعيها بحيث يقدم عملا شعريا رفيعا ويعني بالقيم الاخلاقية والمثل الروحية والمعاني النبيلة ليؤدي بذلك رسالة على الوجه الصحيح..

والشاعر بالطبع هو مرآة عصره وعنوان لمجتمعه يعكس آمالها ويجسد طموحاتها وتطلعاتها.

لقد ارتقى الشعر العربي وبلغ غاية رفيعة. ولا شك ان لتشجيع الخلفاء أثر في حفز همم الشعراء وحثهم على الاجادة. لقد كان الاسلاف يعقدون المجالس للشعراء يستمعون فيها لقصائدهم ويمنحونهم الجوائز السخية على قدر عطائهم وابداعهم وانتاجهم فقد كان الشعر هو الدوحة الفينانة التي تهفو اليها الافئدة لأنه متعة للنفس بل كانت له رسالة في ايقاظ العزائم والهاب الهمم. اننا حين نقارن بين الشعر المنثور بالشعر المقفى ونتتبع تلك النماذج وما تحويه من صور متباينة نجد الفارق كبيرا ففي الشعر الموزون نتأمل مواطن الحسن ومواضع الجمال وبراعة التصوير وسمو الخيال.. ان للشعر صفات وسمات وصور وموضوعات داخلية ومعاني ولقد كان لأسلافنا القدم الراسخة والرصيد الضخم منذ امرىء القيس وزهير الى المتنبي وأبي تمام وأبي العلاء المعري وما زال يسير عبر الحقب التاريخية الى عصرنا هذا.. يأخذ بمجامع القلوب اعجابا به شامخا في تاريخ ادبنا العربي قديما وحديثا.

مع الشعر والشعراء

الشعر من الفنون الأدبية الجميلة المحببة الى النفوس لما يمتاز به من أخيلة وحلاوة لفظ وجمال قول، لأنه حديث العاطفة والوجدان والاحساس والشعور المرهف. والشعر العربي امتاز بمزايا متنوعة واستطاع ان يحتل مكانة في ركب الآداب لما له من اثر وتأثير وبلاغة وفصاحة وجمال وحسن وموسيقى عذبة وبالطبع فكل شاعر صورة للبيئة التي انحدر منها ودرج على أرضها.

والشعر يصور نفوس الشعراء ومشاعرهم وأحاسيسهم واتصالهم بالمجتمع وبالطبع فان البيئة هي التي ألهمت الشعراء والشاعر بطبعه صاحب عزيمة دائمة التوقد والوثوب.

ولقد وجد العرب في الشعر متنفسا لهم وتعبيرا عن عواطفهم وتجسيدا للمثل السامية، فحرصوا على رواية الشعر وتدوينه وليس أدل على هذا من ذلك البحر الزاخر والفيض الغزير الذي تمتلىء به المكتبة العربية وحينما نطالع كتاب الشعر والشعراء لابن قيتبة وطبقات الشعراء لابن سلام والطبقات والعقد الفريد والاغاني وغيرها نجد ان هؤلاء الرواة يمتازون بذاكرة قوية وحافظة واعية، فقد روي ان الأصمعي كان يحفظ ستة عشر الف أرجوزة وأن حمادا الراوية كان يحفظ ثمانية وعشرين الف قصيدة وحين امتحنه احد الخلفاء أن يسمعه على كل حرف من حروف المعجم قصيدة أنشده مئات القصائد حتى سئم الخليفة ثم وكل به من يسمعه ويروى انه قد أنشده ألفين وسبعمائة قصيدة، ويروى عن عمر بن العلاء قوله ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير..

ان من يلقي نظرة على كتب التراث سيلقي فيضا زاخرا كجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي وأخبار الشعر للصولي وأخبار أبي تمام وديوان الحماسة للبحتري والأمالي لأبي علي القالي وخزانة الأدب لابن حجة الحموي ودواوين الشعر الضخمة التي تمثل مئات الدواوين في الفنون المختلفة وبخاصة في العصر العباسي والأندلسي حيث راجت سوق الشعر والأدب اذ كانت بعواصم الخلافة

منتدبات أدبية يتداولون فيها الشعر ويتبارون في قوله.

وكثيرا ما كانوا يحتفلون في مجالسهم الخاصة بالشعر والشعراء ويفيضون عليهم من عطائهم وسخائهم فكان اعزازهم للأدب والشعر من اكبر الأسباب التي دعت الى ازدهاره بين الناس على اختلاف طبقاتهم.

وللشعراء ورواتهم أحاديث وأعاجيب وقصص؟ فقد كان وسيلة من وسائل التعبير الأدبي واحتفاء الناس بالشعر هو احتفاء بالفصاحة والبلاغة والبيان وتصوير العواطف والمشاعر وآلام الأمة وآمالها وقد احتفوا بشعرائهم كما احتفوا بأبطالهم وفرسانهم، حيث كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الاخرى فهنأتها فهم يتباشرون به لأنه يدافع عن اعراضهم ويذود عن احسابهم ويخلد مفاخرهم ويشيد بمكارمهم.

وكانت قصائد الشعراء تطير عبر الصحراء ويتناقلها الناس ويرويها الرواة فهي اسرع من الرياح في وصولها الى المواطن الاخرى فتحدث اثرها الكبير في قلوب الاصدقاء والاعداء.

وبعد .. فساحة الشعر ودواوينه واخبار روايته تحوي الوفير من الثروة الادبية واللغوية والبلاغية تشع منها عواطف متباينة وتحلق بنا في أجواء متعددة ذات صدى يتردد على مدى الزمان.

نظرة في ديوان شاعر

لقد عني كثير من شعراء النهضة الحديثة بمحاولة الارتفاع بمستوى اللغة العربية واحياء تراثها الفكري كشوقي وحافظ ابراهيم ومحمود سامي البارودي واسماعيل صبري والزهاوي والرصافي القائل:

ان جفتنا اوطاننا فهـي حب ومن الحب يستلذ الجفـــاء
إنمـــا هذه المـــواطن أم مستحق لها علينا الـــولاء

ومن أولئك الشعراء وهم كثر الشاعر محمد رضا الشبيبي الذي أسهم في وصف حالة بلاده الفكرية والعلمية والسياسية ولاغرو فالشعراء والأدباء هم الألسنة الناطقة المعبرة عن مشاعر وأحاسيس أممهم وعن أماني وخلجات مجتمعهم .. والشعراء حملة رسالة الوعي والثقافة والمعرفة والإصلاح فلا شك أنهم بذلك يخدمون أهدافا كريمة ويحملون رسالة عظيمة ويكون شعرهم نتيجة ذلك ترجمانا أمينا صادقا عن تطلعات أمتهم.

ولقد حرص الشبيبي في شعره على رفع لواء الثقافة الإسلامية ومقوماتها التاريخية والعمل على انقاذ أمته من الاستعمار ورفع مستواها الاقتصادي والاهتمام بالتراث العربي الإسلامي .. وقد كان يقيم في منطقة الفرات وهي منطقة ذات مناظر طبيعية خلابة فكانت وحي إلهامه وفيض شعره وكان يتأثر لما يراه في هذه المنطقة في تلك الأيام من قلة الوعي والجهل فيقول:

أين دمع يفيض من أي مقلة لوقـــوفي بين الفرات ودجلة
وحقيق إذا تألم عـــــضو أن تناجي الآمه الجسم كله

وكم يستثير همم بني قومه حين يرى مياه دجلة تذهب هدراً إلى البحر فيخاطب دجلة قائلا:

ياماء دجلة عذباً في موارده لأنت في كبد الفلاح يحموم

ولقد فاض شعره بالدعوة إلى الإصلاح فكان تجسيداً خياليا مر ببلاده من

أحداث حيث صور ذلك في شعره تصويرا دقيقا بليغا ووصفها وصفا صادقا.

ولكم ذكر في شعره الأمجاد الاسلامية القديمة والمآثر العربية العريقة كأيام سعد بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو وصلاح الدين وأخذ يلقي اللوم على ما أصاب المسلمين في عصره من فرقة وضعف حيث يقول:

أجدادكم متساندون وقد جنوا ثمر الوفـاق وأنتم أضداد
إنا بما نجني وهـم فيما جنوا بئس البنون ونعمت الأجداد

لقد كان شعره يمتاز بجزالة اللفظ ومتانة الأسلوب والقدرة على تصوير خلجات النفس كما أن تأثره بالشعر العربي القديم قد زاده قوة وأضفى على شعره الكثير من المعاني والألفاظ اللغوية الرفيعة فابتعد عن الضعف والركاكة وأعرض عن الأغراض الشعرية التافهة وفي شعره حث على مكارم الأخلاق:

وإذا لم تستقم أخلاقكـم ذهب العلم ذهاب الزبد

ويقول:

كفى الشعر ذما أن للشعر قائلا وما هـو إلا قائل غير فاعل

وحينما نستعرض شعره نجد آثار الشعر القديم بارزة في شعره كما نجد في الكثير من قصائده الروح الاخلاقية وحب الحرية الى جانب سمو المعاني.

وبعد : فهذا العرض ليس الا المامة سريعة بشعر هذا الشاعر الذي كنت اقرأ في ديوانه منذ أيام وأرجو ان اوفق إلى ابراز شعره في دراسة تكون أكثر دقة وتفصيلا وشمولا .

حول التيارات الشعرية الوافدة

تحفل المكتبة العربية بتراث شعري تتوفر فيه الكثير من الخصائص والمزايا والمحاسن والروائع وللشعر في الادب العربي مكانة رفيعة ومنزلة سامقة وظل شعراء العرب منذ القدم محافظين على نظام القصيدة الذي ورثوه من حيث بناء القصيدة ذات الثقافة الواحدة والوزن الواحد فكان له موسيقى عذبة وانغام حلوة بل كان عادة يستفيد منه المتادبون وينتفعون به في تقويم الالسنة وتهذيب البيان.. واليوم نطالع بين الحين والاخر من يردد لنا بعض كلمات وخواطر على انها شعر تجريبي حديث ويملأون الساحة الادبية بها باسم الحداثة توحي بالهزال والضعف والتخلف اللغوي بل يحرص البعض من دعاة الشعر المنثور الى الجري وراء المدرسة الغربية وتقليدها فجاءت تلك الأشعار غامضة غثة يمجها الذوق السليم مغلفة بالضباب الكاتم.. ولقد عرف الشعر علماؤنا القدامى انه قول موزون مقفى يدل على معنى ان الشاعر صاحب رسالة يجب ان يعيها بحيث يقدم عملا شعريا رفيعا ويعني بالقيم الاخلاقية والمثل الروحية والمعاني النبيلة ليؤدي بذلك رسالته على الوجه الصحيح..

والشاعر بالطبع هو مرآة عصره وعنوان لمجتمعه يعكس آمالها ويجسد طموحاتها وتطلعاتها..

لقد ارتقى الشعر العربي وبلغ غاية رفيعة. ولا شك ان التشجيع الذي كان يلقاه الشعراء له اثر في حفز هممهم وحثهم على الاجادة والابداع. لقد كان الاسلاف يعقدون المجالس للشعراء يستمعون فيها لقصائدهم ويمنحونهم الجوائز السخية على قدر عطائهم وابداعهم وانتاجهم. فقد كان الشعر هو الدوحة الفينانة التي تهفو اليها الافئدة لأنه متعة للنفس بل كانت له رسالة في ايقاظ العزائم والهاب الهمم.. اننا حين نقارن بين الشعر المنثور بالشعر المقفى ونتتبع تلك النماذج وما تحويه من صور متباينة نجد الفارق كبيرا ففي الشعر الموزون نتأمل مواطن الحسن ومواضع الجمال وبراعة التصوير «سحر الخيال» ان للشعر صفات وسمات وصور وموضوعات واخيلة ومعاني ولقد كان لاسلافنا القدم الراسخة والرصيد الضخم منذ أمرىء القيس وزهير الى المتنبي وابي تمام وابى العلا المعربي وما زال يسير عبر

الحقب التاريخية الى عصرنا هذا.. يأخذ بمجا مع القلوب اعجابا به شامخا في تاريخ ادبنا العربي قديما وحديثا .. وبعد فان الناقد الادبي عليه واجب كبير في تمييز الجيد من الردىء والخبيث من الطيب ولكنه للاسف في غياب كامل وبعد تام عما يجري في الساحة الادبية وما تبتلي به من عجر وبجر وطلاسم وغموض وتهويمات.

فنحن في حاجة الى الناقد الذي يفيد النقد الادبي في جوانبه البناءة المثمرة ويتولى بالصقل والتوجيه والتفاعل مع الحياة الادبية فيملأ الحلبة ويسد الفراغ الذي نحس به في هذا الجانب المهم في حياتنا الادبية. فالناقد يرسم الطريق الامثل ويوضح ويبرز الاثر الادبي بتجرد ويضع المقاييس التي يزن بها الاعمال الادبية والفكرية بين يدي ما يكتب مع مراعاة لمناهج البحث النقدية الحديثة.

حول جائزة الدولة التقديرية في الأدب

جائزة الدولة التقديرية في الأدب عمل عظيم ووسام شرف لرجال الأدب وعشاق الحرف : فهي تكريم للأدب وتشريف للأدباء يتجلى فيه معان كثيرة وأهداف نبيلة وغايات سامية من معاني التكريم والتقدير لرواد الادب والفكر والعلم الذين أشعلوا وأضاءوا بفكرهم وعلمهم معالم الطريق ، كما يدفع بالطاقات الأدبية الى العمل والانتاج والإبداع مما سيكون له أثره وفعاليته في حقل المواهب والعطاء الفكري ومضاعفة النشاط وبذل المزيد من البحث والدراسة والمعرفة في شتى المجالات الفكرية، وفي ذلك حفز ودعم للنشاط الأدبي وإسهام فعال في دفع موكب الحركة الفكرية في هذه البلاد التي كانت بالأمس موطنا للفكر وموئلا للشعر والبيان. وكان لها تراث حافل في ميادين الفكر والمعرفة يتناقله الأخلاف عن الأسلاف في شتى مجالات المعرفة .. وينبغي ألا نقف عند ذلك ونتغنى بأمجادنا السالفة : بل نتخذ من هذا التراث منطلقا وأساسا نقيم عليه أساس تطورنا ودعائم نهضتنا وان نبتكر ونطور ونضيف ما وسعنا ذلك مع اهتمامنا بقيمنا الخالدة واحتفاظنا بمثلنا المجيدة.

إن اهتمام الأمم بأدبائها دليل وعي وموضع فخر، ولقد استقبلت الأوساط الأدبية والثقافية في بلادنا الموافقة السامية التي صدرت بإنشاء جائزة الدولة التقديرية للأدب بالغبطة والترحاب والاهتمام البالغ، وذلك دليل يعود الى التفاؤل بمستقبل أدبي زاهر، إذ الأدب مظهر من أبرز مظاهر حياة الأمة وعنوان على رقيها وتطورها، وبه يقاس مدى تقدمها ونهوضها. فالأدب في حقيقته الصورة الحية للأمة، يجسد شخصيتها ويحدد ملامحها، وفوق ذلك هو عنوان رقيها وتاج تطورها وصدى صوتها يهذب العقول ويثقف النفوس.

ولا شك أن كل أديب اغتبط بهذه الخطوة وهذه البادرة الكريمة التي من شأنها أن تحفز الكثير من الأدباء على العطاء والانتاج ومواكبة التطورات الفكرية المعاصرة، فما أشد حاجتنا اليوم الى أعمال أدبية جيدة على المستوى الفكري والفني يتجلى فيها الواقع وتتمثل الرؤية الصادقة والوعي والاخلاص.

وقد أخذت بلادنا اليوم مكانا حضاريا رائدا في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم وغير ذلك من النشاطات وبقي أن يأخذ الفكر والأدب دوره ومكانته، وأن نتساءل في جدية بين واقعنا اليوم وكيف كانت بلادنا بالأمس منطلق الأدب وموئل الفكر والمجد البياني، حيث اضاءت أرجاء الدنيا بشعاع الفكر والروح، وانطلق منها فحول الشعراء وأساطين البيان وتفجرت منها ينابيع الأدب والمعرفة والفكر، وأسهمت بنصيب كبير في إغناء التراث العربي والاسلامي، وتوارث أبناؤها الميراث كما قال شاعرنا القديم:

إن فاتنا نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

ولقد حفل الشعر العربي بكل ذلك وسجله، وواجبنا اليوم أن نعمل على تشجيع المواهب الأدبية وأن نأخذ مكاننا في مسيرة الأدب والفكر وأن يكون لنا دور رائد مؤثر أشد ما يكون التأثير على الفكر الانساني في مختلف مجالاته.

ان جائزة الدولة التقديرية خطوة رائدة، تدل على حرص الدولة على تكريم الادباء وتشجيعهم وقد جاءت في وقت يتطلع الكثيرون فيه الى مثل هذه اللفتات التي من شأنها أن ترفع من معنوية الأديب وتحفزه الى مضاعفة الجهد والنشاط ... ومتى تبوأ الأدب مكان الصدارة من اهتمامات المسئولين، فان ذلك دليل على نجاح وفعالية ودفع الحركة الأدبية والفكرية في طريق النماء والازدهار للوصول الى بلوغ مستوى من التطور الفكري الرفيع.

فالأدب فن يساهم في تطوير القيم ويؤثر في حياة الاديب لانه تعبير صادق يمتد اشعاعه الى الافاق البعيدة.

إن علينا أن نواكب التطورات الحضارية، وعلى الأدب والأدباء مسئولية كبيرة في التوعية والمشاركة في مسيرة النهضة التي تسيرها بلادنا اليوم في تطورها الحضاري، ولكي يكون أدبنا بارزا ومنتشرا ومقروءا فلا بد من تضافر الجهود لتكوين دار نشر ذات إمكانات كبيرة تتولى تسويق الانتاج وطبعه وتوزيعه، وتتناسب مع الانتاج الفكري والأدبي وتبرز هذا الانتاج في الداخل والخارج لينطلق أدبنا انطلاقة واسعة قوية ويسهم في بلوغ الهدف الأسمى .. ومتى عرف الأديب أن المصاعب والعقبات التي تقف في طريقه ستتلاشى وتزول فانه سيضاعف الجهد بعطائه وانتاجه، لأنه سيجد اهتماما بنشاطه وتقديرا لجهوده واعترافا بعمله وعطائه..

وبذلك تنشط الحركة الأدبية ويثمر أدبنا الثمرة الطيبة ويعطي اثراء لفنون الآداب الأخرى وبذلك تتفتح المواهب وتنشط القرائح وتبرز ما لديها من امكانات في عرض جميل وتصوير رائع تأخذ بيد المجتمع نحو التطور والازدهار.

إن الاخلاص لرسالة الأدب هو أسمى ما نتطلع اليه جميعا : بل إن ذلك خير ضمان لبلوغ الهدف الأسمى .. وأخيرا فان الجائزة الأدبية وغيرها من وسائل التشجيع للأخرى سيكون لها نصيب في السمو بأدبنا ودفع الحركة الأدبية والابداع الفني ومجاوزة الكسل والجمود. والتطلع نحو مستقبل أدبي زاهر، وان يشق أدبنا طريقه بين الآداب العالمية المعاصرة، والانطلاق الى عالم النور والفكر والطموح والفن، وفي مجال النشاطات الثقافية والأدبية والاجتماعية والاسلامية، ومن هنا لا بد أن يلتفت الأدباء بأنظارهم الى الجوانب المغفلة ويملأوا الفراغ بجهدهم الأدبي.. ومن المؤمل ونحن نقف اليوم على قمة مرحلة جديدة من حياتنا وتاريخنا الحافل بالامجاد أن ندرك أن للأدب دورا كبيرا يتعاظم باستمرار، وان على الأدباء مسئولية تتضاعف على الدوام، وهم يقدرون ذلك، فالأمانة الملقاة على عواتقهم تتطلب منهم مواصلة العطاء والامتداد والتطور بما يتلاءم ويتناسب مع واقعنا وطموحنا وتاريخنا وتراثنا الحافل بالأمجاد.

ولعل من نافلة القول ألا يغيب عن أذهان المفكرين أهمية إبراز الأدب السعودي المعاصر ليكون قادرا على الاشعاع والنفاذ والحيوية، ويعبر حدودنا الى العالم العربي والاسلامي حيث الملايين من أبنائه يتطلعون اليه، ونحسب أنه قد بدت تباشيره في التألق والبروز والامتداد.

ولهذا تجيء الجائزة اليوم تجسد تقدير الدولة وحرصها على تقدير أولئك الذين أثروا حركة الأدب والفكر في المملكة بأعمالهم ونتاجهم مما ينبغي أن يكون له في نفوس الأدباء أثر عميق وتطوير العمل الفكري في مسيرة الحياة والمجتمع.

إن تكريم الأدباء والعلماء والمبرزين والنابهين من مواطنينا في مجال العلم والأدب والدين والتعليم وسائر فروع العلم المختلفة وتشجيعهم وتفريغهم للعمل العلمي المثمر سيكون له أثره وصداه في نشر وازدهار العلم والمعرفة والثقافة في هذه البلاد العريقة الأصيلة.

والله ولي التوفيق وهو الهادي الى سواء السبيل.

شخصيات أدبية

الأستاذ أحمد امين من القمم الثقافية في أدبنا المعاصر فهو أحد أولئك الرعيل الرائد الذي خدم المسيرة الأدبية واثرى بحياته الفكرية فيما قدم من عطاء وانتاج وكتب وبحوث ودراسات ومحاضرات.

لقد دخل ذلك الرعيل باب الشهرة الأدبية الخالدة من أوسع أبوابها وسيظل أدبهم وفكرهم متألقا يسير به جيل إثر جيل.

لقد امتاز أحمد أمين بدقة بحوثه التي يتناولها وتقصيه وتحليله وبحثه عن المعاني التاريخية والفكرية وحرصه على استنباط الفكرة وكشف الحقيقة.

لقد صور أدبه في صدق ويبدو ذلك فيما قدمه من مؤلفات وبحوث متنوعة في الأدب والاخلاق والاجتماع والفلسفة والدراسات الاسلامية .. لقد كان عالما متعدد المواهب والجوانب واخرج عدد كبيرا من المؤلفات من ابرزها يوم الاسلام فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وفيض الخاطر والنقد الأدبي . وفقه الفلسفة اليونانية . وكتاب الى ولدي . وحياتي الى غير ذلك من الكتب والمؤلفات العلمية المفيدة ذات الأثر الفكري في مجال الثقافة وديوان الأدب والاجتماع.

ولقد عمل استاذا في الجامعة وعميدا لكلية الآداب وعضوا في مجامع اللغة العربية حيث اتاحت له الوقوف على المشاكل اللغوية والأدبية وتمكن من الاطلاع على آراء الباحثين والمفكرين.

لقد كان صريحا وواضحا في كتابه تاريخ حياته حيث اخرج كتابه «حياتي» فكان يعتبر صادقا عن حياته وظروفه ومدى جد والده في توجيهه ووضع برنامج مرهق يسير عليه في دراسته ولقد شارك بالكتابة في مجلة الرسالة بمقال اسبوعي وكانت تغلب على كتاباته الصبغة الأدبية والاتجاه الاصلاحي ثم صار مديرا لمجلة الثقافة حيث صار يكتب فيها المقالات والبحوث الفكرية والافكار الخصبة المثمرة الى جانب الاسهام في نشر ذخائر أدبنا القديم كشرح ديوان الحماسة وخريدة العصر للعماد الاصفهاني .. كما كتب طائفة من المقالات بعنوان رسائل الى والدي ضمنها نصائح ابوية للناشئة وما ينبغي أن يكونوا من جد ومثابرة وعلم وطموح

وقد طبعت في كتاب صغير.

ولقد كان لكتابه في النقد الأدبي اهتمام لدى الأدباء حيث اشتمل علي بحوث في النقد واصوله عند الغربيين كما دار بينه وبين النقد في الأدب العربي وقد جاء الكتاب في جزئين وفيه يركز على وجوب الاهتمام بالمعنى وتقديمه على اللفظ كما كان يحمل على مذهب الفن للفن ..

لقد استمر يكتب ويؤلف ويحاضر ويتحدث رغم شيخوخته وعدم قدرته على الكتابة حيث استعان بكاتب يملي عليه احاديثه ومقالاته حيث كانت يداه ترتعد وترتعش الى جانب ألمه في عينه ..

وهكذا بعد عمر مديد امضاه في خدمة العلم والأدب والمعرفة مضى الى ربه بعد ان ترك ميراثا ثقافيا نفيسا من الآثار الأدبية مما جعله من رواد الأدب في العالم العربي.

حال المقامات الأدبية وخصائصها

لقد تقدمت المعارف والآداب في العصر العباسي وكان أن اهتم العلماء والادباء بدراسة وترجمة آداب الامم الأخرى حيث نشطت حركة الترجمة الى اللسان العربي من الفارسية واليونانية وغيرهما فاطلع الأدباء على انتاج وابداع الأمم المختلفة في مجالات الأدب وكان لهذا اثره الكبير في ازدهار الأدب في العصر العباسي شعرا ونثرا وبلاغة ونقدا فكان لهذا التفاعل والاحتكاك دوره في النشاط والازدهار أخذا وعطاء وانتعاشا ويقظة وكان الخلفاء يستقدمون العلماء للانتفاع بأفكارهم والاستعانة بآرائهم والاستفادة من جهودهم واحلال جهابذة اللسان والبيان كل تقدير واحترام ولقد شاع في ذلك العصر ضمن فنون الادب ظهور المقامات الادبية.

والمقامة قصة قصيرة تدور حول حادثة خيالية وتنتهي بعظة او فكاهة او ملحة ولا يستغرق القاؤها اكثر من مقامة

وكان ظهور المقامات تقليدا لما في الاداب الاخرى من قصص واساطير وتمتاز بكثرة السجع والتزام المحسنات البديعية واشتمالها على غرائب اللغة وأمثال العرب وآثارها.

وأول من الف المقامات بن دريد المتوفي ٣٢١هـ وقد اشتهر في كتابة المقامات أديبان بارعان هما الحريري الذي ولد في البصرة وبها نشأ وتخرج على علمائها وأدبائها وقد لقب بهذا اللقب لاشتغاله بتجارة الحرير ولكنه انصرف عن ذلك الى العلم والأدب حتى صار إماما من ائمة عصره ومن كتبه «ملحة الإعراب في النحو» و «درة الغواص في أوهام الخواص» ومقاماته التي اشتهر بها خمسين مقامة وكذا بديع الزمان الذي حذق اللغة وبرع في آدابها وعظم شأنه واستوطن بنيسابور وبها كتب مقاماته حتى توفي سنة ٣٩٨هـ وقد اجاد وبرع في كتابة المقامات وقد كتب اربعمائة مقامة وان كان لم يعثر له منها الا على ثلاث وخمسين مقامة ومما تمتاز به مقاماته سهولة اللفظ وسلاسة الاسلوب..

لقد اهتم كتاب المقامات بالسجع الذي ترتاح اليه الاسماع والاهتمام بالالفاظ

اللغوية الغريبة والامثال والحكم والمبالغة في الزخارف اللفظية. والاوصاف الخيالية التي تدل على براعة كتاب المقامات في انتقاء الالفاظ وعلى الامعان في الصناعة وضروب الخيال . لقد تفنن كتاب المقامات فيها حتى كادت ان تكون شعرا منثورا ولا شك ان الحس الادبي والذوق الفني والموهبة والابداع . كلها كانت مدعاة للقدرة والاجادة عند اربابها.

وجملة القول فان المقامات رسائل ادبية بل خزانة معارف وعلوم وآداب وحكم وامثال وسعة خيال رغم ما فيها من سجع متكلف فهي اسلوب قصصي حافل بالموضوعات المختلفة والاساليب المتعددة.

المكتبات مفتاح العلم ومعقل الأدب

للمكتبة دور حيوي عظيم فهي تحوي أمهات الكتب والمصادر والمراجع وغير ذلك مما يحتاجه القارىء في حياته العلمية والعملية وتشجع مواهبه وتكون شخصيته العلمية وتفتح مداركه وتكشف عن ميوله وتنمي قدراته وتوسع آفاقه ولذا يجب الاهتمام بحصة المكتبة لاطلاع الطلاب على كل جديد في عالم الكتاب وحسن استعماله واستخدامه ويجب على معلمي هذه المادة أن يجعلوها حية عملية جذابة تجذب الحريص على المطالعة والعلم ومعرفة نظام المكتبة ومصادرها وأصول البحث ليتضح السبيل أمام الطالب ومعرفة أهداف المكتبة وآثارها التربوية وطرق الاستفادة منها في يسر وسهولة.

لقد كانت المكتبات في العصور الماضية تقوم بمهمة المدارس والمعاهد والكليات وكان أسلافنا يحرصون على إعارة الكتب وتداولها ويكرهون حبس الكتاب ويحرصون على اقتنائه والمحافظة عليه يقول الشاعر العربي:ـــ

جل قدر الكتب يا صاح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرا

لن أعير الكتاب إلا برهنٍ من نفيس الرهون تبراً ودرا

إن الهدف من المكتبة هو تهيئة الغذاء الفكري والزاد الروحي وبناء الفرد الصالح وتنمية قدرة الدارس في الاعتماد على نفسه في كسب العلم والمعرفة والبحث وعدم الاعتماد على الأستاذ في كل شيء.

إذ المكتبة هي معقل الفكر وحصن المعرفة وراعية لكنوزها تحافظ عليها وتقدمها من جيل إلى جيل ، إذ ازدهار الفكر والثقافة مرتبط بانتشار المكتبات في جميع الأمم والعصور التى تميزت بحضاراتها، ونلمس في عصرنا هذا أهمية الدور الذي تلعبه المكتبة في حياتنا منذ الطفولة وحتى الكهوله، ولا نهاية لهذا الدور، ذلك أننا مهما تعلمنا في المدرسة أو الجامعة، فلا يكفي ما ندرسه لمواجهة متطلبات الحياة المتجددة والمتطورة باستمرار وبسرعة فتقوم المكتبة بدور المدرسة والجامعة في توفير المعرفة التي لم تشملها المقررات المدرسية أو الجامعية لكل من يريد وبدون مقابل.

لقد استشعرت الأمم أهمية هذا الدور العظيم الذي تقوم به المكتبة في حياة المواطنين فعملت على توفير المكتبة في كل مدرسة وفي كل مرحلة تعليمية ابتدائية ومتوسطة وثانوية لتمكين التلميذ من الاتصال بالكتب منذ مرحلة مبكرة من العمر ولتنمية العلاقة بينه وبين الكتب، تلك العلاقة التي تظل تنمو وتنمو وتتحول إلى عادة تلازمه طوال حياته وهي عادة القراءة والبحث في الكتب. بل كثيرا ما اشتملت العملية التربوية في تدريس الكثير من المواد على افتعال المواقف التى تدفع بالتلاميذ إلى التوجه إلى المكتبة لتحصيل المعرفة بانفسهم وجمع المعلومات حول موضوع معين بدون مساعدة الأستاذ حتى إذا انتقل التلميذ إلى الجامعة اصبح مؤهلا لان يثقف نفسه بنفسه بدون مساعدة احد فقد حصل على التدريب الكافي على استخدام الكتب والمكتبات طوال سنى التعليم في مراحل ما قبل الجامعة – وبعد الجامعة – فقد ملك زمام الوصول إلى اية مادة يريد معرفتها في أية مكتبة سواء كانت المكتبة العامة أو مكتبة الجامعة أو مكتبة الوزارة أو المصلحة أو المدرسة أو مركز البحوث الذي يعمل فيه.

من هنا نقول إن المدرسة أو الجامعة إذا كانت تعطي مفتاح العلم فإن المكتبة تعطي العلم كله حرا لمن يشاء وبدون مقابل.

في الواقع أننا لا نستطيع أن نعيش اليوم بدون مكتبات ذلك لأن الفيضان العلمي الذي يقدر بملايين الصفحات يوميا – حيث تقذف به المطابع يوميا كل صباح من الفكر الجديد في كافة فروع المعرفة – ومعنى ذلك أن كل مثقف عليه أن يسارع لتحصيل المعرفة ومواكبتها بصورة مستمرة وهنا تبرز أهمية المكتبة في حياتنا وبذلك نستطيع أن ندرك الدور الحيوي الذي تقدمه لنا من زاد علمي مفيد.

فالمكتبة خير سبيل لتعميق الوعي ووسيلة لتطوير المفاهيم ومن الواجب أن نعمل على تطوير المكتبة إلى مستوى رفيع لتستطيع مواجهة ومواكبة التطورات العلمية والتقنية التي صارت من سمات هذا العصر لتكون وسيلة للنهوض والتقدم والتطور وإيصال الكتاب للقارىء بسهولة ويسر إذ المكتبة هي حجر الزاوية في نشر العلم والثقافة ودعم المعرفة في جميع مستوياتها فهي عامل مهم في تنشيط العملية التعليمية والتربوية وتكوين الأفراد الصالحين وتربية النشىء وإعداده إعدادا سليما ليكون مواطنا صالحا مؤمنا قادرا على النهوض بما يفرضه ديننا الكريم من

واجبات ومسئوليات وما يوجبه وطننا الغالي من خدمات تعلي شأنه وترفع من مكانته وتجعله يتبوأ المكانة الرفيعة التي هو جدير بها في هذا الوقت الذي ننطلق فيه بقوة وعزيمة لمواكبة الحضارة والتقدم والانطلاق نحو الغايات المنشودة التي تتبلور في قول الله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ومن أجل هذه المقاصد فلا شيء أقوى من العلم والمعرفة والكتاب أداة ذلك به تصفو الروح وتهدأ النفس وتزداد حبا للعلم وللمعرفة.

حول القصة والمسرحية

القصة والمسرحية من فنون الادب والقصة هي الحكاية المعبرة والمسرحية هي الرواية التمثيلية.. وهما من الفنون الحديثة حيث لم يكن لهما وجود في الأدب العربي القديم وقد بدأت المحاولات من جانب الأدباء والشعراء لمعالجتهما منذ القرن الماضي نتيجة الاحتكاك بالثقافات الغربية وترجمة الاثار الغربية ولقد انبرى عدد من الادباء الى وضع تمثيليات ومسرحيات تعالج أحوال المجتمع وقد كان لذلك أثره في بروز هذا الفن الادبي وكثر الانتاج في هذا المجال أما القصة فقد مارس كتابها أدباء عديدون وحظيت باهتمام الكثيرين من القراء والكتاب وزخرت الصحف والمجلات حتى لا تكاد تخلو مجلة أو جريدة منها وخاصة القصة الصغيرة مع تفاوت حظوظهم في القدرة والاستعداد والنجاح .. اذ القصة تحتاج الى براعة في التصوير وقدرة على التعبير وتحليل للمواقف والمشاعر والاحاسيس.. وان محاولات الكثير من كتاب القصة في بلادنا أضافت الى الحصيلة القصصية جهودا لا تنكر.

إن القصة والمسرحية من ضروب الانتاج الأدبي وما زال اهتمامنا بهما ضئيلا إذ أن جهود الأدباء تتوزع بين المقالة والشعر وغير ذلك من الالوان الاخرى للادب. لان كتابة القصة تحتاج الى استعداد وتجارب ومعاناة ومناخ معين ولهذا فان القصة والمسرحية في أدبنا ما زالا في طور التكوين.

أما المسرحية الشعرية فقد وقع الاقبال عليها كثيرا منذ أن رفع رايتها أمير الشعراء أحمد شوقي ولم يفتأ الادباء والشعراء يقدمون ويحاولون النظم فيها كالشاعر عزيز أباظة وخليل مطران ومعروف الرصافي وبعض الشعراء الاخرين والشعر المسرحي انما انتشر بفضل المسرح الذي ذلل العقبات وتغلب على الصعوبات فان الإلقاء الصحيح وتشخيص اعمال الرواية مما أعان على تذوقه ونجاح تجربته.. ولا شك أن الإذاعة المسموعة والمرئية وتقديمها للمشاهدين تلك الفصول من الشعر التمثيلي مما أعان على تذوقه ونجاح تجربته..

وبعد فإن المحاولات في هذا المجال حسنة وتدل على مستقبل زاهر يتوافر مع ما حققناه من تقدم وتطور في الميادين الأدبية الاخرى.

وبجمل القول فالعمل المسرحي من أصعب الأعمال الفنية الابداعية فهو عمل جماعي يعتمد على أفراد كثيرين من نص ومخرج وممثل ومنتج وديكور واضاءة وتسجيل وأزياء وغير ذلك من الأعمال التي تتطلب الاستعداد والرغبة والموهبة .. وبعد فليتنا نهتم ونحاول توظيف تراثنا العزيز وتاريخنا المجيد وبطولات اسلافنا الميامين في اعمال مسرحية مبدعة بدلا من محاكاة المسرحيات الغربية وترجمتها.

ومهما كانت الصعوبات فانه بالعزيمة والاصرار والرغبة سوف يتحقق العمل المسرحي الذي يتميز بالاجادة والابداع والوعي العميق واختيار المناسب من المعارك والاحداث التاريخية التي تمثل تاريخا مجيدا يبعث على الاعتزاز بهذا التاريخ والتراث العريق.

نظرة إلى المخطوطات

تطالعنا بين لحظة وأخرى تساؤلات بالغة الأهمية عن مدى العناية بالمخطوطات وحمايتها والعناية بالتراث وصيانته من الإهمال والضياع والاندثار لما له من إسهام مباشر في إثراء ثقافتنا وتدعيم أسس ومد انطلاقتها والواقع أن هذا الموضوع يحتاج إلى وعي موضوعي عميق للمساهمة الفعالة ، وتضافر الجهود لتبادل المعلومات مع مراكز البحوث والمخطوطات للعمل على استرجاع تلك المخطوطات التي تحفل بها اليوم مكتبات في الشرق والغرب ، وذلك للاستفادة من هذه المخطوطات بروح إيجابية فعالة من شأنها أن تشجع الباحثين والدارسين وتدفعهم إلى استقطاب جهودهم في هذه المجالات الحيوية وبث روح النشاط للبحث المتواصل بكل ما يختص بالمخطوطات وحمايتها والعناية بها في أماكن تواجدها ومحاولة التعرف عليها وتجميعها والإستفادة منها بروح علمية جادة ودفع طلبة الدراسات العليا للبحث والتنقيب والتحقيق وإعداد الفهارس العلمية وشرائها وتصويرها من مختلف المتاحف والمكتبات في مختلف أرجاء العالم.

إن تشجيع الباحثين والمحققين للعناية والاهتمام بهذا التراث سيكون عاملاً حيوياً في الحفاظ عليه مع رصد الحوافز التشجيعية في هذا الخصوص والعمل على توفير المتطلبات التي يحتاجها هذا العمل العلمي الهام.

ولعل مما يبعث على الثقة والإطمئنان أن مراكز البحث والجامعات في بلادنا وفي أنحاء العالم العربي ماضية في اتخاذ الخطوات والرغبة الجادة في العمل العلمي وتذليل الصعاب في طريق إحياء التراث وجلب المخطوطات وإجراء مسح شامل للمخطوطات في العالم ووضع الخطوط العريضة ورسم الأهداف الواضحة لذلك ، وإن الاهتمام بهذا الجانب رسالة علمية وثقافية فهو معلم من معالم الثقافة العربية الإسلامية ومقوماتها الحضارية والروافد الثقافية المضيئة ووصل الحاضر بالماضي نحو بناء مجد فكري وعلمي وثقافي.

ولذا فإن المسئولية لاتحملها الجامعات ومراكز البحوث وحدها وإنما هي مسئولية تضطلع بها كافة المؤسسات العلمية والثقافية ودور النشر والأجهزة المعنية بالتراث وشئون المخطوطات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي مع إتاحة كافة التسهيلات التي تمكنها من تأدية هذه الرسالة العلمية الهامة التي حملت إلى الإنسانية علماً ومعرفة ومثالية وحضارة ويقيني أن معهد المخطوطات العربية وبما لديه من خبرة وتجارب لقادر على الإسهام الفعال والتقويم العلمي لأوضاع المخطوطات العربية وأماكن تواجدها بالتكاتف مع المؤسسات الثقافية المعنية للبحث عن تلك المخطوطات التي أخني عليها الدهر وتعرضت للأرزاء والفناء . . وهي ثروة علمية نفيسة.

وبعد :

فإن الاهتمام بالتراث من أجل الأعمال ومن أولاها فالعودة إلي التراث رجوع إلى المثل الروحية والقيم الأخلاقية ولقد تميزت أمتنا الإسلامية بتراث مجيد اهتم به الغرب ووضع له فهارس تسهيلا لدراسته . . فعلى باحثينا أن يتجهوا إلى تراثهم وينفضوا عنه غبار السنين والانفتاح على ما يحفل به من آفاق واسعة في مجالات العلوم والآداب والفنون . . ولقد عكف المستشرقون عليه سنين طويلة مقتنعين بفائدته ومدركين أهميته وقد انحسر في السنوات الأخيرة الاستشراق والمستشرقون ولذا فعلى أبناء الأمة العربية الإسلامية العناية به والعمل على تحقيقه ودراسته بجد متواصل وعزم قوي حثيث وصبر طويل في جمعه وفهرسته وتحقيقه وطبعه لنستمد منه الفائدة والعون على إرساء قواعد نهضتنا العلمية الطموحة على أساس مكين من القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية وإبراز صفحة جديدة في المعرفة الإنسانية ومواصلة السير نحو التقدم العلمي متخذين من الماضي نبراساً نضيء به دروب المستقبل وحافزاً لإدراك الشأن واستعادة التاريخ المجيد . . والأمل كبير بإذن الله بتحقيق ذلك مردداً قول الشاعر العربي :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

مع فكر العقّاد وأدبه

لقد كان العقاد شخصية علمية وادبية ولقد لقب بالشاعر والمؤرخ والفيلسوف والسياسي والناقد والعبقري . قضى حياته في البحث والمعرفة واخذ من كل علم بنصيب لقد ولد في عام ١٣٠٦ وتوفي ١٣٨٣هـ.

لقد ترك العقاد ثروة علمية وذخيرة فكرية هامة من كتبه ومؤلفاته وبحوثه ودراساته التي ما زالت في رفوف مكتبته لم ينفض عنها الغبار. لقد اشتهر بالمؤلفات الدسمة العميقة موضوعا ومحتوى ولعل كتبه عن العبقريات والتي استهلها بكتابه الموسوم عبقرية محمد والذي كان له صدى وتقديرا من العلماء والباحثين حيث ابرز فيه الشمائل والصفات المحمدية العظيمة بأسلوب ناصع وبيان قوي وبرهان ساطع وكذا عبقرية عمر وعبقرية الامام وابو بكر الصديق وخالد والصديقة بنت الصديق وذو النورين عثمان وغيرها من كتب العبقريات التي فتح بها ابصار الكثيرين على عظمة هؤلاء وما لهم من فضل كبير حيث قادوا العالم الى صراط الله الحميد.

لقد حرص العقاد على ولوج باب البحث العلمي يبحث عن الحقيقة وينشد الحكمة والمعرفة بعين الشمول والاستقصاء والتعمق بهمة لا تعرف الكلل فأخرج عددا من المؤلفات الباقية مدعما بذلك البناء الثقافي للثقافة العربية الاسلامية .

وتبدو قيمة تلك المؤلفات في تباين الموضوعات التي طرقها وانتج فيها في ميدان الفكر حيث اثرى المسيرة الفكرية والادبية والثقافية بما قدم من فكر ولقد كان لكتابه حقائق الاسلام واباطيل خصومه وما يقال عن الاسلام دور كبير في التعريف بحقيقة الاسلام والعقيدة الاسلامية وايمانه العميق وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي يقع فيها الكثيرون ممن يجهلون حقيقة الإسلام وجوهره وبذلك أوضح قواعد الاسلام على أساس من مبادىء القرآن الكريم وتعاليم الشريعة الاسلامية.

وإلى جانب تلك الكتب الاسلامية فهناك عشرات الكتب ذوات الموضوعات المتنوعة من شعر وأدب ونقد ومساجلات فكرية ونقدية وغير ذلك من العلوم والفنون حيث أثرى جوانب الحياة الفكرية والعلمية وكان في نقاشه راسخ القدم مبسوط الحجة قوي البيان .

كما أصدر عددا من الدواوين الشعرية وان كانت شهرته في كتابته النثرية تفوق بل وتنسى البعض مكانته وشاعريته الفياضة ولذا غلبت صفة الكاتب على الشاعر عند العقاد كما يقول النقاد وان كانت له في الواقع اشعار رائعة بديعة حوتها دواوينه حيث طرق مختلف أبواب الشعر وغاص في شتى بحوره.

والواقع عندما يريد المرء ان يدرس شخصية العقاد فسيجد أنه من الصعب ان يلقاه في جانب من الجوانب فهو ذو شخصية علمية عميقة متعددة الجوانب فهو عملاق من عمالقة الأدب والفكر والبحث والدراسة والتأمل يبرز في اسلوبه الطابع الفلسفي والفكر العبقري فهو بحق دائرة معارف أحاطت بمختلف الفنون والمعارف والعلوم فكان عالمي الثقافة.

وبعد فان ما ورد على خاطري في هذه العجالة لا يفي هذا العالم حقه الذي شق طريقه الى العلم والمجد بقوة نفسه وصدق عزمه ومثابرته والتفاني في طلب المعرفة وخلف من روائه تراثا نفيسا في العلم والأدب والفكر.

في مكتبة الملك عبدالعزيز

منذ أن أشرقت من هذه البلاد أنوار التوحيد وهى تزخر بالخير والعطاء والفضيلة ولا غرو فهي مهبط الوحي ومهد الرسالة ومنطلق النور وموئل الإشعاع ومقدسات الإسلام ومنبت لغة الضاد وركيزة المفاخر والمآثر ومنبع الهدى والبيان ولقد مرت بمراحل تقوض فيها صرح تلك المآثر في فترة من الزمن . .

ولقد قيض الله لها من أبنائها من المصلحين من رزقهم الله إيمانا وعزيمة وجلدا وصبرا وهبوها بعد توفيق الله كل تضحية وإصلاح وعمل وصبر وجهاد على مدى التاريخ ولقد سلك الملك عبد العزيز رحمه الله طريق الدعوة الى الله ومناصرة الحق والعدل والذب عن العقيدة واتخذ القرآن منهجا وسلوكًا وعزة ورفعة وانطلق يحمل شعار التوحيد ويحكم القرآن والسنة يطبق شريعة الله الخالدة واستمرت تلك الخطوات الموفقه على قواعد من الإيمان يخفق في سمائها لواء التوحيد فأسس مملكته الزاهرة وقاد سفينتها نحو الخير والإصلاح والإنشاء والاستقرار ونشر العلم وبث أنوار المعرفة وحفلت سيرته وحياته بالجهاد والبناء والعطاء . . فلقد سخر جهوده في خدمة الدين والأمة وركز اهتمامه على قضايا الإصلاح والأمن والوحدة والنهضة والبناء والتعليم ونشر الثقافة واحياء تراث السلف الصالح بالتحقيق والطبع والتوزيع والاهتمام بالعلم والمعرفة وان الجانب الثقافي في حياة الملك عبد العزيز لعظيم جدا فهو جانب مضيء مفعم بالأخلاق والمباديء والثوابت.

وإن تاريخه لهو تاريخ أمة وستظل سيرته معينا ينهل منه الباحثون والمفكرون والمؤرخون أمدًا طويلاً

فهو علم شامخ ورائد من رواد الحضارة الإسلامية وقائد من قادة التاريخ الإنساني وإن تاريخه من الثراء والتنوع والامتداد يتطلب دراسات وافيه شاملة

تقف علي حقائق تاريخه وتتعرف علي خصائص شخصيته ولعل هذا التاريخ الثري جدير بأن يأخذ حقه من برامج الرسائل العلمية في الدراسات العليا ودراسة الجوانب المختلفة من تاريخ الملك عبد العزيز ونهضته ابتغاء تعريف الأجيال بذلك التاريخ وإبرازه. لقد أقام الملك عبد العزيز دولته على أسس راسخة ونشر الأمن والطمأنينه في أنحاء المملكة ، كما أصبح العدل شريعة تطبق في كل شبر من أرض المملكة ، ولم ينس فضل العلم بل كان حريصاً على أن يتزود به كل فرد من أبناء شعبه.

وإذا كان رحمه الله قد أرسى دعائم دولته على العلم والإيمان، فإنه يسرنا أن نلقي الضوء علي مكتبته وهي خير شاهد علي مدى اهتمامه بالعلم ، وتعكس لنا حبه ومنزلته بالنسبة له وإرساء قواعده ونشر العلم وخدمة العقيدة والدعوة.

ولقد لقيت مكتبته اهتماما بالغا ، وعندما انتقلت المكتبة إلى دارة الملك عبد العزيز وضعت في مكان لائق بها وهى قاعة الملك عبد العزيز التذكارية ، ورتبت موضوعاتها كما استكملت فهارسها.

وتحتوي المكتبة على الكثير من الكتب والمجلات في شتى فروع المعرفة الإنسانية . وبنظرة سريعة إلى مجموعات الكتب نجد أن الدين الإسلامي بعلومه المختلفة من القرآن والحديث والفقه وأصول الدين والسيرة النبوية قد نال النصيب الأوفر فزادت نسبة تلك المصنفات فيه عن ثلث المكتبة ، وهذا يعكس لنا مدى اهتمامه بعلوم الدين ودعوته المستمرة إلى التمسك بمبادئه والعمل بأحكامه والالتزام بشريعته ، كما كان لعلماء الدين المقام الأول يقدمهم على غيرهم ويصغي إلى آرائهم ويبالغ في إكرامهم.

كما نال التاريخ نصيبا وافراً من اهتمام جلالته إذ بلغت نسبة عدد كتبه أكثر من خمس مجموعات المكتبة ، معظمها عن التاريخ الإسلامي والعربي في عصوره المختلفة ، وكذلك تاريخ الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية.

أما الأدب العربي فقد لقي مكانا رحبا في مكتبة جلالته ، إذ بلغت نسبة عدد الكتب الأدبية ما يقرب من خمس المكتبة ، فهي تحتوي على دواوين الشعر الجاهلي ، وكذا دواوين الشعر الحديث ، إذ كان رحمه الله يحب الشعر ويتمثل

بابيات كثيرة منه من عيون الشعر وفنونه يستدل به على حكمه بارعة يرويها أو مثل شارد يدلي به يستشهد به قولاً وفعلا ، ويقال إن له قصائد كان يرتجلها بعد كل معركة ، ومنها ماتزيد أبياتها على المائة.(١)

ولا يقل اهتمامه رحمه الله بكتب التراجم عن غيرها، كما تضم المكتبة مجموعات نادرة من الكتب في السياسة والقانون الدولي والعلوم العسكرية والطب والاقتصاد ، كما ضمت كتبًا عن رياضة ركوب الخيل التي كانت محببة إلى نفسه وإلى نفس كل عربي ومسلم.

هذا بالإضافة إلى أن المكتبة تضم عددًا من أمهات الكتب ونوادرها ، مثل كتاب صحيح البخاري في أحاديث رسول الله ، أقدم هذه الكتب طباعة ، إذ طبع في الثاني والسبعين والمائتين بعد الألف من الهجرة في دلهي.

كما تزخر المكتبة بعدد كبير من الكتب التي طبعت في أوائل عهد الطباعة كما تحتوي على بعض المخطوطات ، ومنها نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب المسماة المقصد الجليل في علم الخليل، وقام الشيخ الأسنوي بوضع شروح عليها ، وصحح عباراتها وكتبها محمد بن حسين الأنصاري اليماني في شهر رمضان سنة ١٢٠٢ هـ . ولقد نشر الملك عبد العزيز رحمه الله على نفقته مجموعة كبيرة من الكتب وقد أشار الزركلي إلى أنه قد طبعت على نفقته كتب كثيرة لم يذكر عليها اسمه ولعل من أقدمها تاريخ ابن غنام في بومباي ١٣٣٢هـ.(٢)

ونأمل أن نكون بهذا العرض الموجز ، قد كشفنا النقاب عما تضمنته هذه المكتبة الزاخرة ، في شتى فروع العلم والثقافة والمعرفة.

وفي الختام فإن تاريخ الملك عبد العزيز صفحة ناصعة ومضيئة من صفحات التاريخ العربي والإسلامي.

أجزل الله مثوبته وجزاه بما قدم للإسلام والأمة من خير وإصلاح والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) انظر أمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث» وكتاب عبد العزيز في التاريخ» حمد الحقيل، و كتاب من شيم الملك عبد العزيز ، فهد المارك.

(٢) سبق أن نشرت مجلة الدارة في العدد الرابع للسنة الحادية عشرة رجب ١٤٠٦ هـ ، بيانًا بالكتب المطبوعة على نفقة الملك عبد العزيز «رحمه الله.»

الموسوعات وأهميتها في التطور الثقافي والعلمي

للموسوعات أهمية عظمى ودور بالغ في التطور الثقافي والعلمي وللباحثين الذين يسعون إلى الدراسة العميقة المستوعبة بل هي من الركائز المهمة للنهضة والمعرفة لأنها تتسم بالشمول والاحاطة الدقيقة بكل جوانب وأبعاد الموضوع محل البحث والدراسة وعمل الموسوعات يحتاج الى جهد شاق وعمل متواصل ونشاط فعال يتميز بالدقة والبحث ووضع الاطار السليم للتنفيذ لأنها تقدم للباحث والدارس ما يريد أن يصل اليه ويتعرف على جوانبه وتفاصيله .. وقد تبين من الدراسات التي تناولت هذا الجانب أن عمل الموسوعات يطول مداه، وربما تطوى فيه أعمار دون أن تدرك غايته ومنتهاه، ومن أجل ذلك فلا بد من تقدير وادراك الأبعاد المتعددة وتجميع المعلومات والدراسات وتحديد اهداف العمل من خلال البحث ووضع الخطط اللازمة لذلك، ورسم اطار التنفيذ.

ولتحديد مفهوم الموسوعة على مصنف فلا بد ان يكون ذلك المصنف جامعا شاملا لكل مصطلحات المعارف الانسانية، أو على الأقل شاملا لأكبر مجموعة منها، بمعنى أن يكون ذلك المصنف شاملا للتعاريف والمصطلحات لكل المعارف والعلوم والفنون والآداب التي تتداولها الأمم والشعوب في مراحل تاريخها وحضارتها وهذا يتطلب المتابعة المستمرة والسريعة لملاحقة ذلك التطور المذهل في شتى فروع المعرفة والعلوم..

وبهذا المفهوم فان الموسوعات اشمل في موضوعها من المعاجم وأوسع إطارا، ذلك لأن المعاجم تقتصر في منهجها على توضيح مصطلحات وتعاريف علم معين دون غيره من العلوم كمعاجم البلدان او اللغة او التاريخ..

اما الموسوعة فهي تقدم للباحث زادا موفورا من المعرفة وقد تغني القارىء عن السعي الى الحصول على مراجع اخرى لاستكمال معرفته بها..

ولكي تكون الموسوعة هدفا للعلماء فلا بد من جهد علمي صادق وبحوث ودراسات متواصلة الى جانب شمولها لروافد المعرفة والمتابعة المستمرة والسريعة لملاحقة ذلك التطور العلمي ورصده وتسميته ومراجعته من قبل الباحثين ولقد

صدرت في الأعوام الأخيرة الكثير من دوائر المعارف في موضوعات متخصصة وتتميز من بينها دائرة المعارف البريطانية .. ودائرة المعارف ماكجروهيل :

في العلوم والتقنية Mcgrow Hill Encyclopedia of Science and Technology.

ودائرة معارف الفلسفة «Encyclopedia of Philosophy»

ودائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية «International Encyclopedia of Social Sciences..»

ودائرة معارف فنون العالم «Encyclopedia of Would Art..»

وسوف يتوالى صدور العديد من دوائر المعارف المتنوعة.

ولقد أخذ العرب يحاولون اليوم أن يأخذوا دورهم في اللحاق بالركب، فبدأت مجموعة من العلماء في نهاية القرن الماضي في التأليف على نمط دوائر المعارف كدائرة المعارف التي اصدرها البستاني، وواصل ابناؤه من بعده اصدارها .. ودائرة معارف القرن الرابع عشر لمحمد فريد وجدي وأحمد زكي باشا، حيث اصدر موسوعة العلوم العربية وقد طبعت في مصر عام ١٣٠٨هـ.

كما أن المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية تزمع اصدار الموسوعة العربية الكبرى.. وكذا المجمع العلمي الأردني يعتزم اصدار موسوعة الحضارة الاسلامية وتراثها وكذا الموسوعة العربية في سورية وغيرها .. وتقديم ذلك تقدمة علمية ومنهجية.

والى جانب ذلك فقد صدرت الموافقة السامية في هذه البلاد لوضع دراسة لانشاء دائرة المعارف العربية الاسلامية وهو حدث علمي على جانب من الأهمية.

وندعو الله ان يعين الجميع على تحقيق هذا الهدف العلمي العظيم فما زال الفراغ في المكتبة العربية قائما والحاجة ماسة الى دائرة معارف يكتب مادتها علماء متخصصون في شتى فروع المعرفة والحضارة العربية الاسلامية وتراثها الفني الغزير.

وهذا ولا شك يستدعي التعاون، وتوثيق الصلات مع اقطار العالم العربي والأجنبي لتحقق دائرة المعارف المزمع انشاؤها ـــ قريبا ان شاء الله الهدف المنشود، وتولي اهتماما خاصا بالحضارة العربية والاسلامية، من شاركوا في ازدهارها ولتقدم روائع المعرفة وخلاصة البحوث العلمية المتعلقة بالحضارة العربية والاسلامية.

رحلات أدباء وعلماء نجد طلبًا للعلم

لهذه البلاد ماض علمي عريق فهي منارة العلم وقلعة المعرفة ومهد الفصاحة وموطن البلاغة ومنطلق الأدب ومأزر الفكر ومهوى أفئدة العرب والمسلمين . .

عرفت شبه الجزيرة العربية من قديم بصعوبة اجتياز صحاريها وبواديها ، وفي سبيل التغلب على تلك الصعوبة ، استغلت الأبل كوسيلة للانتقال ، نظرا لقوة تحملها لحرارة الشمس ، وندرة الماء ، وتخطي الحصى والرمال والأشواك على حد سواء ، حتى قيل في وصف الجمل إنه سفينة الصحراء .

وكان الناس يتحملون متاعب اختراق الصحاري والمفاوز بحثًا عن الرزق ، إما في صورة طلب مرتع أفضل وأخصب ، أو في تجارة يحملونها للأسواق والتجمعات العمرانية ، أو للهجرة لمكان أوفر أمانا ومرتعًا . . أو غير ذلك من أسباب ، كما كانت قوافل الحجيج التي تشق طريقها إلى البيت العتيق قد اتخذت لنفسها الطرق والدروب عبر الصحاري ، تسلكها كل عام ، حتي عرفت تلك الطرق في بعض أجزاء منها باسمها ، فقيل درب الحاج الشامي ، أو العراقي ، أو المصري أو غير ذلك . .

كان هؤلاء الذين يجوبون المناوز ، ويعبرون الصحراء ، على اختلاف أغراضهم في ذهابهم وإيابهم ، هم وسيلة نقل المعرفة الإنسانية من مكان لآخر . . بما يروونه من أخبار . . أو يحملونه من كتب مصنفة ، إما للقراءة ، أو للاتجار فيها . . كما كان لتجار نجد دور بالغ الأثر في ذلك ، إذا وطئت أقدامهم ، أرض الشام ، والعراق ، ومصر ، وفلسطين ، والسودان ، وغيرها من دول أفريقيا . . بجانب شهرتهم بالتجارة في شرق آسيا . . وشبه القارة الهندية بالذات . .

كان البعض من هؤلاء العابرين للصحراء يمرون ببلدان نجد فيستريحون من عناء السفر ، فيفيدون ويستفيدون ، وكان يوجد بجانب هؤلاء فئة تجوب الصحراء لغرض أنبل وأسمى ، وتستلذ المتاعب في سبيل غايتها النبيلة ، هذه الفئة

هم طلاب العلم ، الساعون إليه أينما كان ، لاتعوق الصحراء بما فيها من مخاوف ومهالك حركة سعيهم، أو تحول بينهم وبين مايشتهون من نهم للعلم..

كان الرواد الأوائل من أبناء نجد ، يقطعون صحراء شبه الجزيرة العربية ، ذهابًا وإيابًا .. إلى العديد من بقاع الأرض طلبًا للعلم ، يبدأ في تلقي العلم أولاً في بلده ، مسقط رأسه ، فإذا أراد المزيد انتقل الى بلدة مجاورة اشتهرت بعلمائها ، فإذا لم تتحقق رغبته ، وفهمه للعلم لم يزل ، انتقل الى بلدة أخرى تموج بالعلماء .. وهكذا حتى يحقق طموحه ورغبته ، ثم يعود لموطنه ، ومسقط رأسه.. يحمل فيها رسالة العلم، بالتدريس والافتاء والوعظ والارشاد ، والبعض من هؤلاء كان يستمر في البلدان التي أخذ عن علمائها ، ويتصدى فيها للتدريس ، والإفتاء ، لفترة طالت أم قصرت ، يعودون بعدها لموطنهم في نجد..

العجيب أنهم كانوا لايملون من كثرة الترحال والتنقل داخل بلدان نجد ، وخارجها ، سعيًا في طلب العلم ، يبحثون عن العلماء ، ليأخذوا عنهم في مختلف العلوم والفنون ، فإذا مارغب أحدهم في المزيد ، جمع همته وشد رحاله الى بلد اشتهرت بوفرة علمائها .. كل ذلك مع صعوبة الحياة المعيشية وقتها ، وقلة ذات اليد ، والمعاناة في الانتقال من مكان لآخر ، وفي الحصول على الكتب والمراجع وأدوات الكتابة وغيرها .. وكانت الشام تحظى بالنصيب الأوفر من تلك الرحلات العلمية..

ومع قسوة الحياة ، والمعاناة التي واجهت هؤلاء ، فقد ارتقى العديد منهم مرتقًا عاليًا ، وصاروا من مشاهير العلماء ليس في نجد وحدها وإنما في البلدان التي سعوا إليها طلبًا للعلم ، كالشام ، ومصر وغيرهما .. وكانوا همزة الوصل بين نجد وغيرها من البلدان ، وشعاع المعرفة ، والصلة العلمية والثقافية المتدفق من قلب شبه الجزيرة العربية إلى اجزاء العالم العربي والإسلامي.

ومعروف أن قسوة الحياة المعيشية ترغم الناس علي توظيف كل أفكارهم وجهدهم بحثًا عن الرزق إما أن يكتفوا باليسير منه ثم يسعون في طلب العلم فتلك شيمة أصحاب الهمم العالية .. أحد هؤلاء العلماء تلقى العلم في بلده القريبة من بريدة بالقصيم ، ثم رغب في المزيد فانتقل الى الرياض وأخذ عن علمائها ، ثم علت همته طلبًا في المزيد فسافر إلى الشام ، وجد واجتهد حتى أجيز في كثير من

العلوم ، وأصبح مؤهلا للتدريس والإفتاء . . فقرر العودة الى بلده لينشر فيها شعاع العلم ، فكان كل همه أن جمع مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع ، وجعلها في صناديق حملها بعير اشتراه وسار به ضمن قافلة كانت قادمة من الشام الى نجد.

وعلم أهله بقرب وصوله اليهم بعد غياب طال أمده ، فكانوا في انتظاره على شوق ، ولما وصل استقبلوه في سعادة غامرة ، ثم وقفت راحلته المثقلة بما حملت ، وحطت رحالها أمام بيته ، وكان أبوه في استقباله ، فظن أهله أن ماحملته الراحلة هدايا ومؤنًا ونفقة ، فقد كانوا في غير ميسرة ، لكنهم فوجئوا بأنه يخرج من الصناديق كتبًا وورقًا ، فالتفت اليه والده قائلا : كنت أظن انك تعاطيت التجارة خلال إقامتك في الشام ، وأن هذه مليئة بالمؤن والكسوة والنفقة . . فإذا بها قراطيس لاتغني من جوع . . فقال الإبن ، وهو يبتسم في وجه والده : يا أبي ان في هذه القراطيس خيري الدنيا والآخرة . . وكان بالفعل كما قال : فما هي إلا فترة يسيرة إلا وجلس الإبن للتدريس ، فاقبل الطلاب إليه من كل ناحية ، وذاع اسمه ، وتولى القضاء في بريدة والوعظ والإرشاد . . وخرج أهله من ضائقتهم المعيشية ، بنور العلم وهدايته . . إنه الشيخ سليمان بن علي بن عقيل ، المولود حوالي عام ١٢٢٠ هـ بإحدى القرى القريبة من بريدة . . وهو واحد من عشرات غيره ، بل مئات . . لاقوا المتاعب والصعاب ، وجدوا واجتهدوا . . وتنقلوا من بلدة لأخرى سعيا في طلب العلم ، متغلبين على كافة العوائق ، حتى أصبحوا من مشاهير العلماء في نجد . . ويصعب أن نقوم بحصر لأسماء هؤلاء العلماء الذين جابوا البلاد طولاً وعرضًا ، طلبًا للعلم ، وكان في مقدمتهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي تنقل في مرحلة طلبه للعلم بين العيينة والحجاز والبصرة والبير والأحساء ، كما هو معروف لكل دارس لتاريخه الحافل ، كما كان منهم العلماء الآتية أسماؤهم :

الشيخ إبراهيم بن أحمد بن يوسف ، الوهيبي ، التميمي ، النجدي ، المولود في بلدة أشيقر عام ١١٤٦ هـ ، حيث نشأ فيها ، وقرأ على علمائها ، حتى حصل جانبًا وافرًا من العلم ، ثم رحل لأداء فريضة الحج ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة سافر من مكة المكرمة الى دمشق عام ١١٨١ هـ . بصحبة الركب الشامي الذي

كان يؤدي فريضة الحج نفس العام ، فاستقام في دمشق لطلب العلم حتى علا شأنه ، واجيز للتدريس ، فجلس يدرس للطلبة في الجامع الأموي ، وأصبح مرجعًا في الفقه الحنبلي ، وأصوله، واحتل مكانة مرموقة بين علماء دمشق ، وظل فيها هكذا إلى أن توفى فيها عام ١٢٠٥هـ ، وهو يعتبر من ذوي المحاولات الأولى في كتابة تاريخ نجد.

الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف ، ، الوهيبي ، المتوفي عام ١٠١٢ هـ، فقد ولد في بلدة أشيقر ، وقرأ على علمائها ، ثم لما جد في طلب العلم رحل الى دمشق ، وأخذ عن علمائها ، ولازم الشيخ موسى الحجاوي ، مصنف كتاب «الإقناع» وغيره من الكتب المفيدة ، ولما أجيز من بعض علماء دمشق ، وأصبح مؤهلا للتدريس والإفتاء ، عاد لموطنه في نجد ، وجلس يدرس لطلاب العلم ، حتى اشتهر شأنه ، وانتفع به خلق كثير ولم يزل كذلك الى أن توفى عام ١٠١٢ هـ في بلده أشيقر.

الشيخ أحمد بن يحي بن عطوة بن زيد ، التميمي ، ولد في العيينة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري ، ونشأ فيها ، وقرأ على علمائها ، ثم رغب في المزيد من طلب العلم ، فجمع همته ورحل الى دمشق ، وسكن في مدرسة أبي عمر المنسوبة إلى الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة ، شقيق موفق الدين بن قدامة، حيث كانت حافلة بالعلماء في ذلك الوقت ، لازم فيها أكابر العلماء ، وأخذ عنهم ، وتزامل هو والشيخ موسى الحجاوي في طلب العلم والدراسة ، حتى حصل على قسط وافر من العلوم الدينية واللغوية ، ثم عاد الى نجد ، وسكن بلدة الجبيلة ، وتصدى للإفتاء والتدريس ، وذاعت سمعته العلمية ، وتوافد إليه العديد من طلاب العلم ، وصار عين علماء نجد في زمانه ، وظل هكذا الى أن توفى في شهر رمضان عام ٩٤٨هـ.

الشيخ حسن بن علي بن عبد الله بن بسام ، المتوفي عام ٩٤٥ هـ ، فقد ولد في بلدة أشيقر ، ونشأ فيها ، وتلقى العلم من علمائها ، وقرأ على الشيخ معين الدين محمد صاحب التفسير المسمى «جامع البيان» وذلك أثناء مروره على بلدة اشيقر في طريقه لأداء فريضة الحج عام ٩٠٣ هـ. . ثم لما جد في طلب العلم سافر الى الشام ، وأخذ عن علمائها ، وكان من بينهم الشيخ موسى الحجاوي ، ثم لما أصبح

مؤهلاً للتدريس والافتاء عاد إلى بلده اشيقر وجلس فيها للتدريس والفتوى ، وظل هكذا الى أن توفى عام ٩٤٥ هـ .

الشيخ زامل بن سلطان الخطيب آل يزيدي ، من بني حنيفة ، ولد في بلدة مقرن في مطلع القرن العاشر الهجري ، ونشأ فيها ، وقرأ على علمائها ، وعلى علماء البلدان المجاورة، ثم رغب في طلب المزيد فرحل الى دمشق ، فأخذ عن علمائها ، ثم انتقل الى مصر، فأخذ عن علماء الجامع الأزهر ، ولازم الشيخ الفتوحي قاضي الحنابلة في زمنه ، ثم عاد الى موطنه في نجد ، فتولى القضاء في الرياض ، وجلس للتدريس والافتاء ، وظل يزاول عمله هذا إلى أن توفي في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري .

الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ، السناني ، السبيعي ، ولد في عنيزة ، ونشأ فيها ، وتلقى العلم عن علمائها ، ولما رغب في طلب المزيد انتقل إلى الشام ، وأخذ العلم من علمائها ، لازم الشيخ جمال الدين القاسمي ، ثم انتقل إلى العراق فأخذ عن الشيخ نعمان الألوسي ، والشيخ شكري الألوسي ، الذي أثنى عليه ثناء عظيماً ، نظراً لما لمسه فيه من جد واجتهاد ، وذكاء وسرعة إدراك ، وقد ظل بها يَتَلَقَّى العلم ، وفي نفس الوقت يمارس أعْمال التجارة كوسيلة يتعيش منها ، حتى وافاه أجله المحتوم بها عام ١٣٢٧ هـ. .

الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف ، الوهيبي ، التميمي ، ولد في بلدة بريدة بالقصيم عام ١٢٩٢ هـ، ونشأ فيها ، وبدأ يطلب العلم على علمائها ، ثم على يد غيرهم من علماء البلدان المجاورة ، وحين رغب في المزيد سافر إلى دمشق ، فأخذ عن علماء الحنابلة ، وجد واجتهد في تحصيل العلم حتى أجيز في بعض العلوم ، وانتهز فرصة وجوده بدمشق وأخذ ينسخ كثيراً من الكتب ، وبخاصة كتب الحنابلة التي كانت تزخر بها المكتبة الظاهرية ، وأصبح لديه أكبر مكتبة خاصة في زمنه . . ثم عاد لموطنه بالقصيم ، لكنه مالبث أن رحل إلى المدينة المنورة ، وأخذ عن علمائها ، ثم انتقل إلى عسير ، ثم حضرموت حيث تولى فيها القضاء عام ١٣٢٩ هـ ، حتى عام ١٣٤٦هـ ، ثم انتقل إلى مسقط فأقام فيها عامين ، ثم انتقل عام ١٣٤٩ هـ إلى بلدة جعلان بعمان بناء على طلب أمرائها من آل حمود ، وكانوا حنابلة المذهب ، فظل بها الى عام ١٣٥٩ هـ، حيث وافته منيته

وهو في عمله بالقضاء في بلدة جعلان.

الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف ، الشمري ، من آل و يبار من بطن عبده ، من قبيلة شمر ، جده عبد الله الشمري هو الذي أنشأ بلدة المجمعة عام ٨٢٠ هـ وسكنها هو وذريته من بعده ، ثم انتقل والد عبد الله الى المدينة المنورة ، وأقام فيها طلبًا للعلم ، وولد أبناؤه فيها ، ولما أدرك ابنه عبد الله وشب عن الطوق شرع في طلب العلم ، فأخذ عن والده ، وعن غيره من علماء المدينة المنورة ، ثم أراد المزيد فرحل إلى دمشق ، وأخذ عن علمائها ، وكان من أشهر من أخذ عنهم الشيخ أبي المواهب ، شيخ الحنابلة فيها ، ثم على الشيخ فوزان بن نصر الله النجدي ، ثم عاد الى المدينة المنورة ليكمل طلبه للعلم ، فواصل جلوسه إلى أساتذته ، وجد واجتهد حتى أصبحت له مكانة علمية مرموقة بين العلماء ، فجلس للتدريس ، والافتاء ، واشتهر أمره ، وعلا شأنه ، حتى عد من أكابر علماء المدينة المنورة ، وعندما حل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالمدينة المنورة ، وقت طلبه للعلم ، جلس إليه ، وأخذ عنه ، وأشاد بعلمه ، توفي بالمدينة المنورة عام ١١٤٠ هـ .

الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن حميد ان بن تركي ، الخالدي نسبًا . . العنيزي مولدًا ونشأة ، ولد في بيت علم ، فجده لأبيه وأمه من العلماء المبرزين في عصرهما ، فنشأ هذا على الاستقامة، والهمة في طلب العلم ، فأخذ عن علماء بلده عنيزة ، ودفعته همته إلى المزيد ، فأنتقل إلى الزبير وبغداد ، وأخذ عن علمائها ، حتى أجيز في كثير من العلوم . . وقد ترجم له صاحب السحب الوابلة ، ضمن ترجمة جده حميدان ، ثم رجع إلى بلده عنيزه ، فجلس فيها للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ، وظل هكذا إلى أن توفي فيها . .

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، ولد في عنيزة عام ١٣٠٠ هـ ، ونشأ فيها ، في بيت علم وصلاح ، ولما شب عكف على طلب العلم ، فجلس إلى علماء عنيزه ، وأخذ أيضًا عن علماء بريدة ثم رغب في طلب المزيد فسافر إلى بغداد ، وأخذ العلم عن علمائها ، وبخاصة العلوم العربية ، والفرائض ، والحساب ، ثم انتقل إلي مصر فأخذ عن علماء الجامع الأزهر ، وبالذات العلماء الحنابلة ، ثم انتقل إلى دمشق فأخذ عن علماء الجامع الأموي ، ثم انتقل إلي بغداد ثم البصرة حيث أقام فيها ، وأخذ عن علمائها ، ثم عاد لموطنه بعد أن صار من أكابر العلماء

وقد تولى عدة مناصب ومهام علمية عديدة في المملكة ، وفي بعض دول الخليج العربي ، وعندما أنشئت أول مديرية للمعارف عام ١٣٦٥ هـ، أسندت إليه رئاستها ، إلى أن أصبحت وزارة فأسندت إلى خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز ، حفظه الله ، حيث كان أول وزير لها . . فأطلق المسيرة التعليمية في البلاد وتوسعت المدارس والمعاهد وأنشئت الجامعات . .

الشيخ عثمان بن أحمد بن قائد ، النجدي ، ولد في بلدة العيينة ، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وأخذ عن علمائها الذين كانت تحفل بهم في ذلك الوقت ، كما أخذ على غيرهم من علماء البلدان المجاورة ، ثم رغب في طلب المزيد من العلم فرحل إلي دمشق ، وأخذ عن علمائها ، وجد واجتهد حتى حصل جانبًا وافرا من العلوم الشرعية واللغوية، ومهر في الفقه والأصول والنحو ، حتى أرتقى الى مرتبة الفتوى والتدريس ، فتصدر لهما ، وحدث أنه حصل بينه وبين مفتي الحنابلة بدمشق خلاف حول مسألة فقهية ، طال فيها الجدل والخلاف بينهما بشأنها ، واشتد أمره ، فكان من أثر ذلك أن ترك ابن قائد دمشق ورحل الى القاهرة ، وواصل تلقى أخذ العلم في بقية العلوم الأخرى ، وكذلك الفقه الحنبلي حتى احتل مكانة علمية مرموقة ، واشتهر أمره ، وأطلق عليه لقب المحقق ، وأثني عليه العلماء ثناء عاطرًا ، وانتهت إليه صدارة الافتاء على المذهب الحنبلي في مصر ، كما انتفع بعلمه العديد من طلاب العلم من مصر ، والقادمين من نجد والشام وغيرهم . . وكان له جهد واضح في تصنيف الكتب ، فقد أورد الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» أسماء مصنفاته . . وقد ظل مقيمًا بمصر إلى أن توفي بها مساء الأثنين ١٠٩٧/٥/١٤ هـ . .

الشيخ فوزان بن نصر الله بن محمد بن عيسى بن صقر بن مشعاب ، من المشاعيب ، من آل جراح ، ولد في بلدة الجادة بالقرب من عنيزة ، ثم انتقل وهو صغير ، مع أهله الى حوطة سدير ، فنشأ فيها ، وأخذ العلم عن علمائها ، كما جلس إلى علماء اشيقر ، وإلى غيرهم من علماء نجد ، وذلك أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، وأجازه الشيخ أحمد القصير ، ثم رغب في المزيد من طلب العلم فرحل الى الشام ، وأخذ عن علمائه ، حتى صار مؤهلا للافتاء وبالتدريس والوعظ والارشاد ، فعاد الى موطنه في حوطة سدير ، وجلس فيها للتدريس ،

وتوافد إليه الطلاب ينهلون من علمه ، وظل هكذا إلى أن توفي عام ١١٤٩ هـ.

هذه نماذج قليلة من أعداد كبيرة يصعب حصرها ، من طلاب العلم ، وراغبي المعرفة ، وناشري عبق الطيب ، ورحيق العرفان ، فيما بين نجد وغيرها من البلدان ، وبخاصة بلاد الشام التي ارتبطت مع نجد بعلاقات علمية منذ زمن بعيد، ومازالت جذور تلك العلاقات ممتدة إلى عهد قريب ، حين انتشرت المدارس والمعاهد العلمية ، والكليات ، والجامعات ، وازدهرت مدن نجد وقراها ، وسائر بلدان ومناطق المملكة بحركة علمية زاهية زاهرة لم تشهدها من قبل ، وهذا بفضل الله ثم بفضل حكومتنا الرشيدة . . التي نقلت أبناء هذه البلاد إلى مرحلة متقدمة من التطور الحضاري وأصبحت دور العلم من أبرز المعالم في المدن وازدادت مرحلة التطوير والتكامل في مسيرة العلم والمعرفة. .

حقق الله لهذه البلاد ماتصبو إليه من عز ومجد وسؤدد . . فقد كانت ذات حضارة شامخة وتاريخ مجيد وتراث حافل بالعطاء والأمجاد، والأهداف السامية والمثل العليا.

البحوث الأدبية في جامعاتنا

تحفل جامعات المملكة ومراكز المعلومات في بلادنا ببحوث علمية وأدبية ودراسات قيمة وجيدة اعدها مجموعة من الاخوة الحاصلين على المؤهلات العليا مثل رسائل الماجستير والدكتوراه الى جانب بحوث الطلاب في السنوات النهائية من دراستهم الجامعية ولقد واجه اصحاب هذه البحوث الكثير من العناء والجهد والتعب والجمع والترتيب والتنسيق والرجوع للمصادر والموسوعات والقواميس سواء من طلاب الدراسات العليا او الجامعية ــ وهذه البحوث ولا شك تحمل بين طياتها ثمرات شتى من الوان المعارف والعلوم والاداب والحضارة الاسلامية ولذا فاني آمل من الجهات المعنية الا تهمل تلك البحوث بل يجب الحفاظ عليها وطباعتها ووضعها في المكتبات للاستفادة منها وان تكون في متناول القراء والباحثين كما يجب ترجمة تلك البحوث التي كتبت باللغة الانجليزية والتي تزخر بها مكتبات الجامعة والتي لم يتح لأغلبها ان تترجم وتنشر باللغة العربية ... فهناك بحوث ودراسات ممتازة في التربية والتعليم وعلم الاجتماع والتاريخ والادارة والاقتصاد والنقد فيجب الا نقلل من أهمية تلك الرسائل فيكون نصيبها الاهمال بعد ان واجه اصحابها صنوفا من المتاعب والعناء .. وعالجوا موضوعات حيوية معينة . ومهما قيل عن مستوى هذه البحوث او عدم اتسامها بالتكامل الا انها سوف تسهم الى حد بعيد في توفير المعلومات لطالبي المعرفة والمهتمين بالبحوث والدراسات وفي طباعة تلك الرسائل تشجيع لمواهب اصحابها والاخذ بيدهم الى الامام وبناء قاعدة عريضة تحمل بين طياتها مجموعة من المعارف والمهارات تكون اداة للبناء والمعرفة والامل كبير في تجميع تلك الدراسات والبحوث المتوزعة في المكتبات ومراكز المعلومات الى جانب وضع تلك الرسائل امام الاضواء والنقد لتقويمها تقويما هادفا بناء يضمن لها التكامل على النحو الذي يجعلها ذات فائدة . ان علينا ان نستفيد من البحوث والدراسات الميدانية والاستفادة من الاتجاهات والممارسات الحديثة وتطويرها بما يلائم احتياجاتنا وخاصة في مجالات الادب والتربية والادارة التعليمية والتراث الحضاري والمناهج التي تراعي الاتجاهات التربوية الحديثة وفي اطار العصر الذي نعيش فيه ومما يتفق مع

القيم والمفاهيم الاسلامية والمثل العليا .. والانطلاق على ضوء ذلك نحو افاق العلم والتكنولوجيا والتقدم الفكري..

ان الهدف من البحوث العلمية والادبية هو الاستفادة مما تحويه من أنواع المعارف الانسانية النافعة وتوجيهها بما يعود بالخير والتقدم وتطوير الاجهزة التعليمية والثقافية حتى تقوم بواجبها في متابعة النشاطات الحضارية والمشاركة الايجابية فيها .

ان تشجيع البحث العلمي من قبل الجامعات ومراكزه التطبيقية واساتذتها والعمل على ايجاد هيئة من الباحثين وتبادل الخبرات والخبراء والمعلومات والتجارب العلمية والتربوية والثقافية وتنسيق ذلك بالصورة الملائمة كل ذلك سيسهم في الحفاظ على المعرفة وتقدمها ونشرها والله المسئول ان يحقق الآمال. ويهب للعاملين الاخلاص والنية الصادقة.

في محيط الثقافة ومفهومها

جميل جدا أن نتناول كلمة الثقافة التي تتردد على الألسنة وتشنف آذاننا ونسمعها كل يوم وهي «الثقافة» وتقول كتب الموسوعات إن الثقافة اسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري وان الاستخدام العلمي للكلمة لا يتضمن التهذيب أو تقدم المعرفة ومنذ البدايات الأولى للجنس البشري والثقافة أهم ما يميز المجتمع الانساني عن المجتمعات الحيوانية فعادت الجماعة وأفكارها واتجاهاتها تستمد من التاريخ وتنقل تراثا اجتماعيا الى الأجيال المتعاقبة، واللغة هي العامل الرئيسي لنقل الثقافة وان كانت بعض أنماط السلوك والاتجاهات تكتسب بوسائل أخرى غير اللغة. . وحينما حاولت استعراض القواميس لمعرفة هذه الكلمة وجدت نفسي في طوفان ضخم ليس من السهل استيعابه.

ان الثقافة جهد مشترك وسبيل من سبل المعرفة فالجميع يسعى الى الثقافة ليتعرف من خلالها على ما يرغب المثقف أن يستوعبه ولا سيما في هذا العصر الذي اتصل العالم بعضه ببعض وهذا الاتصال يتوثق يوما بعد يوم عن طريق وسائل الثقافة والمعرفة في كافة المجالات والميادين والثقافة هي حجر الزاوية في نهضة وتطور أي أمة وفي بناء مستقبلها وكم تعرضت ثقافات الأمم من جانب أمم أخرى الى المحاربة والتشويه والقهر من خلال التسلط الاستعماري وفرض ثقافته بدعوى نشر الحضارة والمدنية .. ولا شك ان لوسائل الاعلام دورا حيويا في هذا الميدان وهكذا فالثقافة تحتل مكانة بالغة الأهمية في مختلف العصور وهي تقوم بدور فعال مكمل لدور الوسائل الاعلامية والتربوية الأخرى وللثقافة دور كبير في حياة الأمم فبواسطتها تنتقل المعارف والقيم والمثل من جيل الى جيل..

وللثقافة ايضا تأثيرها على الصعيد الاجتماعي فالكل يتأثر بها فنحن نقضي الساعات في مطالعة الصحف والمجلات والكتب والاستماع الى اجهزة المذياع. ومشاهدة التلفاز ـــ وهذه الوسائل عوامل فعالة في ثقافة الانسان بفضل ما تتيحه من وعي ومعرفة وما تخلفه من فكر وعلم وأدب وفن. فمن خلال الثقافة يتعرف الانسان على الدنيا وما فيها من بحار وأنهار وعلم وعلماء وعادات وتقاليد وشعوب

وأمم فهي تختصر له العالم وتقرب له كل بعيد ..

إن الثقافة تطالب الانسان أن يقرأ ويكتب ويتابع ويخرج من دائرة الجمود الى عالم الجد والنشاط والصبر على الطلب والتعليم وبعد فكم من المثقفين من اضاء حياتنا بمعارفه وعلومه وخدم في امانة واخلاص وقدم الأعمال الجليلة واستطاع مواصلة المسير في الطريق الصعب ووعي المعلومات الواسعة.

إن الثقافة تؤثر في الأمة وتتأثر بها فهي تجمع بين الأمم وكل أمة تضيف إلى الثقافة ثروة جديدة من ثرواتها الفكرية والعلمية والإبداعية تتعلم منها الأجيال جيلاً وراء جيل وبعد هذا وذاك فإن الثقافة هدف ينشده الجميع.

وفي السنوات الأخيرة جرى تنظيم ما يسمى «بالأسبوع الثقافي» وأخذت المؤسسات الثقافية سواء في بلادنا أو خارجها تهتم بهذا الموضوع وتنميه وتعد البرامج المنظمة لذلك. وهذه الأسابيع الثقافية فرصة للتعارف والتعريف بالنشاطات الفكرية والمطبوعات الثقافية وأعلام الفكر والأدب والنشر والفن والتطور الحضاري والثقافي. إن الكثيرين من أبناء الوطن العربي يجهل الكثير عن ثقافة وأدب أشقائه في البلاد الأخرى فهو مقيد ومرتبط بثقافته الاقليمية وذلك لأن ثقافة الآخرين لم تصل إليه أو لم يتح لها الانتشار والذيوع والتعريف. ولا شك أن دور الاعلام حيوي وهام في هذا المجال لإزالة ما وضعه الاستعمار من اقليمية ضيقة وخاصة ان المسافات في الوقت الحاضر التي كانت تفصل بين البلدان قد تلاشت وتقلصت امام الصلات القوية والروابط الروحية المتينة والتراث المشترك.

فالأسابيع الثقافية عامل من عوامل تنمية الوعي الثقافي وإذابة الحواجز الفكرية والثقافية وبلورة المفاهيم والتعريف بالتطور الثقافي .. ومنذ مدة كنت مشاركا في معرض الكتاب الخليجي في مدينة فاس وكان عاملا قويا في الربط بين جناحي الوطن العربي مشرقه ومغربه مؤكدا أهمية الثقافة العربية الاسلامية كعنصر من عناصر القوة والتعاون وتمتين الاتصال الثقافي والعلمي. فقد كان لهذا الأسبوع قيمته العلمية والفكرية ودلالته القوية على ابراز الثقافة وابراز تراثنا الحضاري الفني المتمثل في عرض الكتب وإثارة الاهتمام نحو ذلك ووجدت إقبال اساتذة الجامعات وطلابها يمعنون النظر ويدققون في تلك الكتب ويتناولونها بطريقة تنبض بالحب والعاطفة والرغبة في التعرف على ثقافتنا ونشاطنا العلمي والأدبي والتعرف على

خصائص ذلك والثقافة بالطبع هي انعكاس للعادات والتقاليد والأخلاقيات والمعرفة والعلوم .. ومن خلال الحوار والنقاش تبدلت النظرة الفكرية للبعض مما كان يحمله في ذهنه وأصبح البعض يكتب عناوين الكتب والبحوث للحصول عليها.

وبعد فإن الأسابيع الثقافية عامل على تعزيز الخبرات والتجارب والروابط الثقافية في إطار القيم الدينية والأخلاقية الاسلامية وصيانة التراث الثقافي وإحيائه وجمع مخطوطات التراث العربي الاسلامي وفهرستها والتعريف بها ونشرها ودراسة الثقافة الاسلامية لما لها من دور عظيم واسهام ضخم في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة كما ان الثقافة الاسلامية تشكل احد المكونات الهامة لثقافة البلاد الاسلامية.

كما أن معارض الكتب لها أهمية كبيرة في جذب القراء وتزويدهم بالكثير من المعارف والعلوم والفنون والثقافات وحفزهم الى الاطلاع والقراءة وتشجيع الشباب على الاطلاع والبحث والتثقيف الذاتي والتحصيل العلمي وتزويدهم بالمعلومات والكتب الجديدة النافعة المفيدة.

الملاحق الأدبية تثير همم الأدباء

للصفحات الأدبية دور بارز وأثر بالغ في دفع العطاءات الفكرية إلى الأمام وهي تحتل في صحفنا منزلة رفيعة وتحتل مكانا رحبا مما شجع القائمين عليها والمشاركين فيها في بذل المزيد من العطاءات الفكرية واستمراريتها.

ولا شك أن هذه الملاحق من شأنها أن تحرك الأدباء وتثري روافد الحركة الأدبية والبحث عن كل مفيد وجديد وتثير عزائم الأدباء وهمم الشباب للعطاء المفيد النافع والمشاركة الأدبية المستمرة.

إن هذه الملاحق الأدبية سواء كانت يومية أو أسبوعية أو شهرية تحوي مواضيعها الكثير من الاهتمامات الأدبية والثقافية بكل ألوانها وأشكالها من نقد أو دراسة أو قصيدة أو شعر أو قصة وقد أسهمت بدور بارز في ميدان الأدب ونود ان تتطور هذه الملاحق لتجسد الثقافة والأدب المحلي وتعكس تطوره ونموه كما تسهم في التعريف والقاء الضوء على الآداب العربية والعالمية دراسة ونقدا وتقويما فذلك اسهام عملي في خدمة الثقافة والأدب والفكر ضمن ما تطمح اليه نحو عملية البناء وخطة التطوير والارتفاع بمستواها فلذلك أثر بالغ في تقديم ثمار العقول والأفكار وإذكاء الحركة الأدبية وإنعاشها وتوهجها صدقا .. وعمقا .. وعطاء .. هذه اللمحات العابرة عن دور الملاحق الأدبية إذ هي قنوات واسعة وروافد فكرية ومنافذ أدبية للإطلال والاطلاع على فكر وثقافة هذا البلد والعالم الآخر.

ونتمنى لصحافتنا المزيد من التوفيق وأن تعطي من اهتمامها وحرصها الشيء الكثير نحو الحياة الثقافية والفكرية إذ هما الركيزة والأساس المتين إذ يقوم عليهما مجد الأمة وتاريخها.

عناية الأدباء والمؤرخين والرحالة بالجزيرة العربية

لقد حظيت الجزيرة العربية باهتمام كثير من الأدباء والمؤرخين والرحالة من القدماء والمحدثين الذين قاموا بتأليف كتب تاريخية وبحوث ودراسات تتعلق بتاريخ جزيرة العرب وإبراز معالمها وما خفي من تاريخها وآثارها، وقد تصدى لذلك طائفة من الباحثين والمستشرقين والمؤرخين والرحالة، فحقق كثير منهم الكتب والمخطوطات والمؤلفات القديمة مثل كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ، و «معجم البلدان» لياقوت وغيرها .ولا يخفى على القاريء الكريم الجهد والمعاناة في تحقيق ونشر المخطوطات و كتب التراث والمراجع التاريخية . ومن واجبنا أن نتعرف على كل ما يكتب عن بلادنا وتاريخنا وآدابنا وتراثنا لننتفع بما يكون منه مفيد ونافعا ونعيره الاهتمام اللائق به ونخرجه منشورا نشرا علميا.

والى جانب كتب الجغرافيا والتاريخ هناك عدد من الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية بقصد الحج أو التعرف على المعالم والآثار، فسجلوا ما شاهدوه ودونوا انطباعاتهم ومشاهداتهم في كتب قديمة وحديثة، وبذلك تركوا لنا ثروة أدبية من المعلومات التاريخية والجغرافية . ومن ذلك عدد كبير من علماء الغرب من مستشرقين وغيرهم ممن استهوتهم الرحلات لهذه البلاد رغم صعوبتها وقسوة الحياة فيها، فهاموا في صحرائها رغبة في التعرف على وهادها وشعابها وجبالها وأماكنها التاريخية.

وكذلك لا ننسى في هذا المقام بعض الرحالة من الرواد المسلمين الذين حاولوا التعرف عليها والكتابة عنها، فقد اشتملت رحلة ابن بطوطة على الكثير من المعلومات خلال مجيئه لأداء فريضة الحج، فهو أول رائد في هذا المجال، وذلك في عام ٧٢٥هـ. ولقد لاقى وهو في طريقه الكثير من المواقف والمتاعب، إذ ذكر أنه وصل للحج بعد رحلة مفعمة بالمشاق في المغرب والشام وكان يتنقل في جزيرة العرب ويطوف بين أرجائها ثم يحج بعد ذلك، فلقد أمضى خمسا وعشرين سنة يتجول فيها في ربوع العالم ويطوف بالممالك والأمصار ويصف مختلف أنواع الحياة من قرى ومزارع وطرق وجبال وحياة الناس، ويصف كل شيء رآه وشاهده من

بيوت ودكاكين كما ذكر لقاءاته مع القضاة والأمراء والعلماء والأدباء والحكماء.

ومن هنا تأتي رحلته ووصفه لجزيرة العرب من المصادر العلمية والتاريخية لأنها تحمل في طياتها وبين ثناياها وصفا تفصيليا للحياة في تلك العصور إذ كان يصف كل ما يراه ويعلق على كل ما يشاهده من غرائب وعجائب.

ولقد زار اليمن وتحدث عنه بشيء من التفصيل والوصف الطويل كما قام بزيارة لعمان وتجول في ربوعها وتحدث عن جبالها وبلدانها ومرابعها ومياهها وآثارها العريقة ومعالمها التاريخية، كما زار منطقة الخليج وتحدث عن الغوص على اللؤلؤ وعن الغواصين وحياتهم، وعن سفنهم ومراكبهم كما زار نجدا وتحدث عن مرابعه وتاريخه وآثاره وأطال الحديث عن الأماكن التي زارها وقدم معلومات ومشاهدات مختلفة .

ومن الرحالة المشهورين ابن جبير فقد قام برحلته المعروفة سنة ٥٧٩هـ حيث قدم لأداء فريضة الحج، وقد وصف في رحلته مبتدئا بمدينة جدة ثم ارتحل منها الى مكة المكرمة ووصفها بإسهاب وتفصيل وغادرها الى المدينة المنورة ووصفها وصفا شاملا حيث مكث بها عدة أيام، ثم تجول في بلاد نجد حتى وصل الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

وكذلك من الرحالة المشهورين محمد بن محمد العبدري سنة ٦٧٩هـ، وقد كان قدومه لتأدية فريضة الحج وغيرهم من الرحالة والجغرافيين ممن تشتت كتبهم وضاعت في مختلف مكتبات العالم.

ما أجدر جامعاتنا اليوم ومراكز البحث والتوثيق والمخطوطات أن تعمل على تجميع ذلك التراث وتحقيقه كما أن هناك كتبا مخطوطة قديمة وحديثة هي في حاجة الى النشر والتحقيق، ووضع الفهارس الكاملة لها وتبويبها وشرح غامضها وتحقيق نصوصها وغير ذلك مما يتوخى من نشر الكتب التاريخية لأنها بمثابة وثائق تاريخية وجغرافية واجتماعية عن الجزيرة العربية في تلك القرون السالفة حيث أن أولئك الرحالة قد تجولوا في سائر أنحائها وعنوا بوصف ودراسة معالمها الجغرافية وعلمائها ومآثرها وآثارها وما هم عليه من علم ومعرفة وإدراك.

وبعد .. فلقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديما وحديثا، وعني به أعلام بارزون عبر أطوار التاريخ فتركوا لنا ثروة تعتبر من

أهم روافد الثقافة والمعرفة من خلال تطوافهم في البلاد وما قضوه من سنوات طوال بين الفيافي والوديان والشعاب والآكام وسط الأهوال والمخاوف والمتاعب والمعاناة في بعض المواقع والبقاع والجبال.

ومع هذا وذاك فتاريخنا يحفل بعدد كبير من الرحالة كالبكري والمسعودي والأصمعي وياقوت وغيرهم ممن حرصوا على وصف أحوال الأمم وتاريخها وبقيت آثارهم معالم يستفاد منها. ولا يفوتني ان أشيد بجهود من أسهم في هذا المجال في العصر الحديث ممن أسهم في وضع المعجم الجغرافي لبلادنا.

وشكرا جما لمن يخدم تاريخنا وتراثنا وينشره ويفي به درسا وتحقيقا وتدقيقا وتصويبا.

في أدب الرحلات

لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديمًا وحديثًا وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ، ومازالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدرا للتعرف على أحوال الأمم وثقافة الشعوب كما أن للرحلات أهميتها في أكتساب الخبرات واقتباس المعارف في شتى المجالات.

والرحلات مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وفيها قدوة للمغترب بحيث يستفيد منها العظة والعبرة والفائدة ويترك الأثر الحسن بما شاهد ورأى.

ويحرص كثير من الناس على الاهتمام بأدب الرحلات . . حيث أن الرحالة دائمًا ينقل للقارئ صورًا وقصصًا وطرائف ومشاهدات لكل ما شاهد وسمع ورأى وما أكثر ما حفل به ا لتراث العربي الإسلامي من أخبار الرحلات والرحالة كرحلة ابن فضلان إلى اسكندنافيا ، التي اعتبرت أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة ومجتمع «الفايكنج» فهي وثيقة فريدة تصف بدقة أحداثًا وقعت منذ أكثر من ألف سنة . . ولقد وصفت تلك الرحلة بأنها المصدر الوحيد لتاريخ روسيا وبلغاريا وتركيا في تلك الفترة من القرن العاشر الميلادي . . كذلك رحلة الأمام الشافعي من مكة إلى المدينة ورحلة أبي دلف ورحلة ابن جبير ورحلة العبد ري ورحلة ابن بطوطة ورحلة ابن خلدون ورحلة العياشي وغيرهم كثير مما يضيق المجال عن استعراضه . . فكم فيها من الصور والمشاهدات والتي أصبحت تاريخًا ومعرفة وفائدة للباحثين والدارسين بل وثائق تمثل نشاط أسلافنا وطموحاتهم وارتيادهم للمجهول ومعرفة العالم وطلب العلم والمعرفة، ورواية الأخبار والأحاديث من أفواه الرجال وكم تفيض كتب التاريخ والحديث بالروايات والأخبار والقصص عن المحدثين الذين قاموا برحلات بصدد جمع الأحاديث وتدوينها وكذلك كان الرحالة يذهبون ويرتحلون من أجل التجارة والالتقاء بالعلماء والأدباء والمؤرخين والأطباء ووصف طريق الحج والمشاعر المقدسة

والحرمين وما بهما من آثار ومعالم وثوابت ومخطوطات، وأماكن ومساجد ومكتبات وما أعظم ما كتبه الرحالة ابن بطوطة في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأشعار»..

ولقد حفل التراث العربي بالأقوال والأشعار والحكم والأمثال حول السفر والرحلات وإن أدب الرحلات حينما يتصدى له العلماء والمفكرون فإنه يظل مخصباً ومفيداً وذا عطاء علمي غزير بحيث يبرز فيه الجانب التصويري والسياق الأدبي والتحقيق التاريخي والبحث الاجتماعي مع تطعيمه بمأثور الشعر والحكم مما تقتضيه المناسبة..

ولقد أوصى حكيم عربي صديقًا له أراد سفرًا فقال :

«إنك تدخل بلدًا لاتعرفه ولايعرفك أهله فتمسك بوصيتى تكتب لك السلامة ، عليك بحسن الشمائل فإنها تدل على الحرية ونقاء الأطراف فإنه يشهد بكرم المنبت والمحتد ونظافة البزة فإنها تنبئ عن النشأة في النعمة وطيب الرائحة ، فإنها تظهر المروءة .. والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والألفة فإنك ان استحييت من الفضاضة اجتنبت الخساسة وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة..

ويروي لأحد الشعراء قوله :

يزين الغريب ما أغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه وثالثة في اجتناب الريب

ويروي عن الإمام الشافعي قوله :

تغرب عن الأوطان في طلب وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولقد أوصت اعرابية ابنها في سفر فقالت : يابني انك تجاوز الغرباء وترحل عن الأصدقاء ولعلك لاتلقي غير الأعداء .. فخالط الناس بجميل البشر واتق الله في العلانية والسر .. ويقول أحد الشعراء في الأسفار:

سفر الفتى لممالك وديار وتجول في سائر الأمصار
علم ومعرفة وفهم واسع وتجارب وراوية الأخبار

ويقول المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» : ماتم لي جمع

(هذا) الكتاب إلا بعد جولاتي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائى العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي الثقاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد وحضور مجالس القصاص والمذكرين ، مع لزوم التجارة في كل بلد ، والمعاشرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي .. حتى عرفتها ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ، ودوراني على التخوم حتى حررتها ، وتنقلي على الأجناد حتى عرفتها ، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها ، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها ، وتدبري في الكور (بقصد المحافظات والولايات) حتى فصلتها ، وبحثي عن الأخرجة (بقصد الضرائب) حتى أحصيتها ، مع ذوق الهوان ، ووزن الماء وشدة العناء..

ولقد أمد الكثير من الرحالة الثقافة العربية بثروة فكرية وتاريخية وجغرافية وجمعوا قدرًا كبيرًا من المعلومات وكتبوا الرحلات التي قاموا بها والرحلات كما يقال شيء ثابت لايأكله الدهر وتظل لها طابعها .. فرحلة ابن جبير وابن بطوطة زادها الدهر خلودًا ورونقًا وإعجابًا وترجمت الى لغات شتى لأن النفس البشرية بطبيعتها تواقة الى المعرفة واستطلاع ما كان عليه العالم قديمًا وكيف كانت حياته وتقاليده .. فالرحلات من أهم مصادر دراسة التاريخ وتتحول الى وثائق علمية وذكريات لها خصائصها وسماتها.. ولقد قيل «إن من يسافر كثيرًا يتعلم ويعرف أكثر».

والمهم أن يستفيد الرحالة من رحلته بحيث يكتسب الخبرة والمعرفة وتهدف أيضًا إلى الأسوة والقدوة الحسنة والعبرة مما يشاهد ويرى وأن يترك الأثر الحسن لدى الرحالة في تعامله وسلوكه وأخلاقه .. ولاسيما في هذا العصر الذي تعج به الحياة من المغريات ومايفيض به سطحها من سلوكيات.

ولقد قال الرحالة ابن جبير الذي تعب كثيرًا من رحلاته :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كمـا قرعـينا بالإياب المسافر

رحم الله أسلافنا من الرحالة الذين كانوا ينشرون العلم والدين والمعارف والآداب والفضائل خلال رحلاتهم ومازالت آثارهم باقية خالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية وكم نحن في حاجة في هذا الزمان الى إعادة قراءة كنوز تراثنا الفكري والتاريخي والتأمل والنظر فيه والإفادة منه..

حقق الله الآمال ووفق الجميع.

في أدب الأطفال

أصبحت الطفولة في العصر الحديث تمثل مرحلة مهمة في تكوين الإنسان وبنائه وتغذية جوانب عقله وفكره وخياله . . ومرحلة الطفولة هي أهم مرحلة من عمر الإنسان لأنها بمثابة الأساس الذي يرتكز عليه بناء نفسه وشخصيته من جميع نواحيها الروحية والجسمية والفكرية.

والطفل أثناء تلك المرحلة يبدأ في التعرف على معالم الحياة، على أساس أن معرفته سبيل إلى فهم أعمق للحاضر والمستقبل أيضًا . . وإن الاهتمام بأدب الأطفال أقوى وسيلة يعرف بها الأطفال الحياة بأبعادها المختلفة إذ يحتاج ذهنه وعقله إلى الألوان والأجناس الأدبية لتغذية فكره وخياله ووجدانه . . ومن هناك كان أدب الأطفال من أهم الركائز في التكوين السليم للإنسان ويسهم بنصيب كبير في تكوين الفرد حيث يجسد الخبرات والتراث والآداب من جيل إلى جيل . .

لقد اهتمت التربية الحديثة بالطفل وبصحته وتعليمه وتغذيته وتقويمه وتربيته وتنشئته التنشئة السليمة ، كما حث الإسلام على العناية بالطفل وحسن توجيهه وتربيته ومراعاة حقوقه وحسن سلوكه وتأديبه . . ولو ألقينا نظرة على اهتمام الأدباء بالطفل لوجدنا ذلك قليلاً بل يكاد يكون الطفل محرومًا من ألوان الأدب الموضوع له خاصة . . ولعل الذين يهتمون بالدراسات الأدبية يدركون ذلك ويعرفونه. إذ أن أدب الكبار قد أستأثر باهتمام وأقلام الأدباء والكتاب قديمًا وحديثًا ولو ألقينا نظرة على تاريخ الأدب العربي لوجدنا ذلك واقعًا إذ لم يلتفت إلى أدب الأطفال ولم يدون ويؤلف له الكتب والقصص والروايات وفي هذا العصر بدأ الاهتمام بأدب الأطفال بكتابة القصص العربية ورصدت الجوائز وكتبت بعض البحوث والدراسات في هذا الميدان . . ومع ذلك فمازال هناك تقصير من جانب الأدباء والباحثين في حق الأطفال وإن الكتابة للطفل تحتاج الى ثقافة واسعة وموهبة ومقدرة ، وإن أدب الأطفال ناحية حيوية وفن متميز يربط

العلاقة بين الأدب والطفولة ويؤصل العقيدة السليمة والأخلاق الكريمة والسلوك الرشيد.

فالطفل أحوج ما يكون الى غرس العادات الحسنة والتربية المستقيمة وتوضيح الأهداف التربوية من خلال القصص والروايات مع ملاحظة المضمون المناسب لهذا اللون من الأدب فالقصة والرواية وسيلتان من وسائل التعليم والمشاركة في الخبرة والتجربة والتسلية وأن تكون مرآة صادقة للحياة وابراز أهمية المثل العليا والأخلاق والعادات والتقاليد وتوضيح الأهداف التربوية من خلال القصص والروايات مع ملاحظة المضمون المناسب لهذا اللون من الأدب. فالقصة والرواية وسيلتان من وسائل التعليم والمشاركة في الخبرة والتجربة والتسلية وأن تكون مرآة صادقة للحياة وابراز أهمية المثل العليا والأخلاق والعادات والتقاليد وتوضيح أحداث التاريخ الإسلامي خاصة وأن تراثنا الإسلامي حافل بثروة ضخمة من الروايات والملاحم والحكايات وسيرة القادة والعلماء. والأدباء والمفكرين المسلمين في العصور الإسلامية المزدهرة للدولة الإسلامية وسيكون لذلك أثره في تربية الأطفال وتعليمهم وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصحيحة.

لقد أصبح أدب الأطفال مادة حيوية مهمة وفرعًا جديداً من فروع الأدب العام وظهرت دور نشر متخصصة في طبع ونشر كتب الأطفال واختيار الكتاب المناسب وحسن طباعته وتصويره بالألوان الجذابة والمشوقة للطفل وليستمتع بكل مافيها .. ولعل المهم أن يلاحظ الكاتب اهتمامات كل مرحلة من مراحل الطفولة وميولها وحاجاتها النفسية والوجدانية ومقدرتها واستيعابها .. لكتابة الأدب المناسب بالأسلوب المناسب واختيار الأدب الذي يربطهم بالحياة ويهئ لهم فرص المعرفة والادراك والطموح والآمال وتنمية الوعي وروح التعاون والاحساس والمثابرة والاخلاص وتقوية نواحي الدين والأخلاق وتنمية ادراكه الروحي والفكري وتوسيع آفاقه وتقوية إيمانه بالله وقيامه بواجباته طبقًا لأهداف التربية الإسلامية المثلى.

الوثائق ودورها في خدمة الأدب

للوثائق دور كبير في حفظ التراث والنصوص والتاريخ والروايات ، وفي العصر الحالي أصبحت الوثائق علما يدرس، فالعلوم الوثائقية والأرشيفية تحتل اليوم مكانة رفيعة، فالوثائق والمستندات لها دور كبير في عملية البحث التاريخي، فعندما يقوم الباحث والدارس بجمع مادته العلمية ومصادر بحثه ومن ضمن ذلك الوثائق التي يستعين بها وترتبط بموضوع الدراسة تحليل الوثائق ودراستها ومعرفة ما يرتبط بها مما يريد تحقيقه.

إن دراسة الوثائق ليست بالأمر السهل كما قد يتصور البعض، فهي تحتاج الى ثقافة وخبرة ومعرفة بالخطوط واللغة وكثيرا ما يحتار الباحث عندما يواجه مجموعة من الوثائق المختلفة المتفاوتة فيما بينها المتباينة في أساليبها ومعانيها، فيضطر لتمضية وقت طويل في التحقيق والمقارنة بين النسخ المتعددة للوثيقة والتدقيق والتمييز بينها لمعرفة الصحيح من المحرف حتى يطمئن الى معرفة الصحيح منها .. إن الكثير من الوثائق يثار حول صحتها الكثير من النقد والجدل والاعتراض من قبل الباحثين، وهذا يجعل الباحث يتحرى الدقة والتحقيق والنظر، لأن الوثيقة تعتبر من الأصول التاريخية التي يعتمد عليها كاتب التاريخ، ولذا ينبغي إخضاعها للمنهج العلمي والبحث التاريخي ان توثيق النصوص والروايات قد سبق المسلمون الأمم الأخرى إليه، وقد برز ذلك في علم مصطلح الحديث حيث حددوا القواعد والضوابط التي تثبت صحة النصوص والأحاديث والأخبار المروية.

وهكذا يتبين دور الوثائق ، ولقد قيل: «لا تاريخ بدون وثائق». لذا فإن المؤرخ والباحث لا يستغني عن الوثائق ودراستها إذ بها يستعين في فهم مصادره ومناهج بحثه وتقدير قيمة ذلك.

وبعد .. فلقد تطور علم الوثائق في العصر الحاضر وازداد تقدما في بعض البلدان على أيادي نخبة من العلماء المتخصصين الذين أحبوا هذا العلم وانقطعوا له بغية خدمة الوثائق والحفاظ عليها.

إن هناك الكثير من خزائن الوثائق والمخطوطات تزدان بها المكتبات في الشرق

والغرب يرجع تاريخها الى عهود قديمة وذات صلة بالآداب والعلوم والفنون والتاريخ، وما زالت مصدرا ثرا ومنهلا غزيرا يستقي منه الباحثون والدارسون على الدوام.

وبهذه المناسبة فإني أدعو جامعاتنا الى افتتاح قسم للدراسات الوثائقية لاعداد الخبراء والمتخصصين اللازمين للعمل في الوثائق وتصنيفها وتنظيمها ورعايتها والعناية بها وفك رموزها وحل غوامضها وترميمها لتبقى سندا وعونا للباحثين والدارسين لما تمدهم به من المعلومات المفيدة والمهمة.

التعريف بأدبنا

لقد أصبحت المكتبة السعودية تعطى نتاجا كريما وتسهم إسهاما فعالا في تنشيط الحركة الأدبية والعلمية، فقد صدرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الكتب والمؤلفات العديدة في شتى الفنون الأدبية والآثار الفكرية إلى جانب بعض الدواوين الشعرية وتحقيق جزء من كتب التراث التي لها صلة بالتراث الأدبي والثقافي .. ولكي يستمر العطاء ويتضاعف الإنتاج فلا بد من بذل المزيد من التشجيع والدعم لذلك، وإلى جانب ذلك فلا بد من العمل على تسويق الإنتاج السعودي والتعريف به خارج المملكة، فليس القصور في الأدب، وإنما القصور بسبب عدم التعريف به عدا القلة النادرة وليس هذا في نظري بسبب ضعف وقصور أدبنا وإنما بسبب عدم التعريف به.

كما أن وسائل الدعاية وعدم وجود من يقوم بتوزيع الكتاب السعودي خارج بلادنا من الأمور التي تساعد على انطواء أدبنا على نفسه ومهما يكن فإن أدبنا بدأ يحتل مكانا مناسبا وإنا لنطمح بفضل الدعم والتشجيع للنشاطات والنوادي الأدبية وجميعة الفنون والثقافة إلى تفتح طاقات جديدة ومواهب كامنة تملأ الفراغ وتسد الاحتياج والنقص الذي نشعر به في هذا الجانب كما أن وجود دار نشر في بلادنا على نطاق واسع تتولى المؤلفات والكتب السعودية وطباعتها طباعة جيدة وبأسعار محدودة حتى يتمكن كل قارىء في الداخل والخارج من الحصول على الكتاب عامل هام في نشر الثقافة ..

إن الكثير من الأدباء والشعراء ليتساءلون كثيرا في خارج بلادنا عن الأدب السعودي ويتوقون إلى قراءته والتعرف على معالمه ولعل النوادي الأدبية تسعى إلى التعريف بأدبنا ليكون في طليعة الآداب العربية وإبرازه في حلة قشيبة وطباعة أنيقة تليق بمكانته.

فالأدب واحد من أوجه نشاطات الأمة وإطار تاريخي لحضارتها ورقيها ورافد من روافد نهضتها وأدبنا اليوم يحمل الكثير من الخصائص والمقومات مما يتيح له

القدرة على مواكبة آداب الأمم الأخرى كما كان بالأمس غاية في القوة والثراء والإنتاج والقيم الرفيعة ...

لقد آن الأوان وبلادنا اليوم تنطلق الإنطلاقة الرائعة في مختلف المجالات أن ينطلق إنتاجنا الأدبي إلى مختلف الآفاق والأبعاد.

من مصادر الثقافة والأدب بيت الحكمة

تحرص الأجيال على أن ترتبط بتراثها وهذا يحتاج الى يقظة ووعي واهتمام اذ هو منهل عذب ودعامة من دعامات المعرفة والعلم.

ولقد كان الاهتمام بالعلم في مختلف عصور الحضارة العربية الاسلامية شعارا للحياة حيث كانت مهمة العلماء البحث والترجمة والكشف عن كل جديد كما هو حال الأمم المتطورة في هذا العصر.

ولقد كان لأسلافنا فضلهم الكبير في بناء الحضارة والتقدم الانساني ودفع مواكب العلم وركاب الثقافة وخطى المعرفة الى غايات حضارية بعيدة.. في مرحلة من ازهى فترات التاريخ حيث كان لهم دورهم المجيد في بناء الحضارة والنهضة العلمية والثقافية والأدبية منذ انبثاق الاسلام الى العصر الثامن الهجري حيث انهارت الأندلس وسقطت في أيدي الاسبان.

ويحفل التراث العربي الاسلامي برصيد ضخم من ذخائر المعرفة والثقافة والآداب والفنون حيث أخذت الأمة الاسلامية دورا قياديا في الحضارة البشرية فكانت نهضتها العلمية والفكرية من دعائم هذه الحضارة وكان اهتمامها بالمعرفة وحرصها على تشييد دور الكتب التي شع نورها على مختلف الآفاق ومن يلق نظرة على كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان وكشف الظنون لحاجي خليفة واحصاء العلوم للفارابي، تراجم الأدباء ورسائل اخوان الصفا ومفاتيح العلوم للخوارزمي وهداية العارفين في اسماء المؤلفين وجامع التصانيف الحديثة لسركيس وغيرها من الفهارس والكتب والسلاسل والمجموعات التي ينبغي الرجوع اليها باعتبارها من مناهل الأدب والتراث.

ومن يلق نظرة على ذلك فانه سيجد رصيدا ضخما وكنزا هائلا من التراث والمعرفة في شتى ميادين العلم والثقافة والمعرفة في التوحيد والفقه وفي التاريخ والجغرافيا وفي الفلك والجبر والهندسة والنبات وغيرها من فنون المعرفة لأن الحضارة الاسلامية كانت في أوج عطائها وابداعها.

علما بأن المطبعة لم تكن معروفة أو موجودة في تلك العصور بل تكتب الكتب بخط اليد والقلم ويتكلف نسخها جهدا ووقتا ومالا ومع هذا فقد كانت بعض المكتبات تحتوي على اكثر من نصف مليون مخطوط الى جانب دورة تنظيمها وتنسيقها ووضع الفهارس والقوائم لها الى جانب احتوائها على الخرائط الجغرافية والأجهزة العلمية مما أخترعه علماء المسلمين الذين كانوا ملء السمع والبصر لعدة قرون متتالية ولالقاء نظرة وتعريف بمكتبة بيت الحكمة في بغداد فقد اسسها الخليفة الساسي هارون الرشيد وكانت مكانا للعلم والدراسة والقراءة والتأليف والترجمة والمحاضرة وغير ذلك من الاهداف.

وكان تأسيسها في عام ١٧٠هـ حيث لاحظ ان قصر الخلافة قد امتلأ بالكتب والمخطوطات ودفاتر المعرفة حيث كانت تحفظ في قصر الخلافة فعمل على اخراجها من القصر لتكون في مكتبة عامة وسماها بيت الحكمة فكانت من اضخم المكتبات واقدمها .... وقد خصص في هذه المكتبة جناح للترجمة خيث جلبت كتب الفلك والطب من مختلف البلدن وعهد بها الى المترجم يوحنا بن ماسويه ومعه مجموعة من المترجمين والخطاطين كما جيء بمختلف الكتب التي ألفها علماء العربية والاسلام الذين كانوا على احاطة بمختلف الروافد الثقافية المتنوعة.

ولقد كانت هذه المكتبة فخر العاصمة وزينتها حيث كانت مزارا للعلماء والباحثين ومقصدا لطلاب المعرفة والدارسين، وحينما ولي الخلافة «المأمون» بذل جهودا جبارة في سبيل تطويرها وامتداد نشاطها وبعث الرسل الى مختلف العواصم لجلب الكتب اليها وتزويدها بنفائس المخطوطات فأمتلأت بتراث ضخم وأصبحت مركزا من مراكز المعرفة والتوجيه في مختلف فروع المعرفة وميادين العلم.

ولقد تولى الاشراف على هذه المكتبة سهل بن هارون ومعه المئات من المترجمين والخطاطين والنساخ والمجلدين وقد ذكر بن النديم في كتابه الفهرست اسماء عدد منهم ممن برعوا في الخط والتجليد... ولقد استمرت هذه المكتبة تؤدي رسالة جليلة وتسهم بدور فعال وكانت مفخرة من مفاخر ذلك العصر الذهبي الزاهر ومقصدا لأئمة العلم وأقطاب المعرفة الذين حملوا مشاعل الفكر ورفعوا لواء العلم في تلك العصور.

وواصلت هذه المكتبة دورها الثقافي كالسراج الوهاج حتى واجهت المصير

المؤلم والنكبة السوداء مع سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ، فالحقوا بها الخراب والدمار وطارت في مهب الاعصار التتري الذي نسف ودمر ذخائر الحضارة الاسلامية وتركها رمادا.

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل ،،،

الميراث الثقافي

لكل أمة من الأمم ميراث ثقافي تعتز به وتحرص على الاهتمام به ودراسته وتحليله والوقوف من خلاله على العادات والتقاليد والبيئات ووصف الأحوال ودراسة الكثير من الأمور الاجتماعية التي تنير الطريق أمام الباحثين والدارسين للأدب الشعبي وللاسف فانهم قلة أولئك الذين قاموا بالدراسة وتصدوا للبحث في هذا المجال دراسة تقوم على الاستقصاء والاستيعاب والبحث الدقيق والفنون الشعبية في بلادنا مرآة تعكس بجلاء الكثير من الموضوعات الاجتماعية والمادية والفكرية فهي تصوير لتلك الحياة التي يعيشها الاسلاف وطبيعي ان يكون الشعر من أبرز السمات والملامح في تصوير هذه الحياة بمآثرها وآلامها وسعادتها .. وافراحها وأتراحها وسرورها وحزنها وبؤسها وشظفها ..

لقد لعب الشعر الشعبي دورا بارزا في ذكر الكثير من المسميات الشعبية التي اختفت اليوم ولولا تلك القصائد والاشعار لصارت في عالم النسيان ...

ان الكثير من الفنون الشعبية والمأثورات والتراث الشعبي يكاد ينقرض وهو رمز سامق يمثل تراثنا وامجادنا ويجسد الكثير من الاخلاق والمثاليات التي كان يتحلى بها ابناء هذه الصحراء الطيبة الذين عاشوا على الأرض وكانوا يواجهون صعوبات الحياة وقسوتها فكانت لقمة عيشهم مغموسة بالكثير من عرق الصبر والكفاح والعزيمة وكانوا مثالا رائعا في التعاون والتراحم والشهامة والمروءة والكرم رغم قلة الموارد وشحها آنذاك ولكن ما طبعوا عليه من اصالة وصفات نبيلة وأخلاق كريمة جعلهم أقوياء .. فالقوة ليست بالثروة المادية وانما بالاخلاق والايمان والمثاليات الكريمة والتي هي سمة لهذه الأمة ذات التراث الغزيز والامجاد الشامخة .. وبعد : فان الحفاظ على فنوننا الشعبية يحتاج الى عمل وجهد شاق ونشاط فعال يتميز بالجد والدأب والبحث ووضع الإطار السليم لذلك وخاصة في هذا الوقت الذي تتطور فيه بلادنا إلى أوج عال شامخ وفي وقت وجيز من عمر التاريخ حقق الله الآمال ..

الفن في خدمة الأدب

لست من الذين يجيدون الكتابة في الفن ويحذقون مناهجه ويعرفون مدارسه ويتابعون شجونه ولكن استجابة لرغبة أخي العزيز رئيس تحرير مجلة المنهل يسعدني المشاركة في هذا العدد المخصص عن «الفن» وكأحد المتتبعين لما يكتب عنه ويطمح كغيره من المواطنين في الرقي والتقدم والازدهار لهذه البلاد في كافة الميادين ومختلف المجالات العلمية والفكرية والثقافية ...

وأن يكون لنا فن متميز ينطلق من واقعنا وتقاليدنا وظروفنا وأدبنا وحياتنا قديما وحديثا ولا ينطلق بعيدا عن تلك المسارات ولا يتوه في لجج بعيدة عن هدي ديننا وتقاليدنا وتاريخنا العريق بل ويبقى مرآة صافية نقية ولسانا معبرا يعكس بصدق وموضوعية تقاليدنا وتراثنا .. ويعالج الواقع وينطلق من الحقيقة ولا أريد أن أقلل من شأن الفن في هذه المرحلة التي نمر بها فله دوره الحضاري الذي ينبغي ان يعمل من أجله ويكون له بعده وغاياته النبيلة ودوره في الحضارة الانسانية وتنشيط الحياة الثقافية بالأعمال الفنية الرفيعة في مستواها الفكري والفني واثراء التعبير الفني والارتقاء بمستواه مستلهما في ذلك تراثنا الثقافي والفكري الغزير قديما والفن مجموعة أعمال تجسد نوعية ميادين النشاط الانساني الذي يكون التراث البشري للأمم على مر العصور ومختلف الأزمان .. ولقد كان ميدان الفن في السابق مقتصرا على الميادين الضرورية للحياة حتى تبلور وتطور الى آفاق أوسع شملت شؤن الفكر ومجالات المعرفة .. فأصبح الفن بهذه الصورة غذاء للفكر وراحة للعقل ومتعة للنفس وجلاء للهم وليس أدل على ذلك من أن قصة من القصص أو رواية من الروايات أو قصيدة شعرية أو منظرا بديعا أو لوحة فنية الى غيره قد تجلي عن النفس من الهم ما تنوء به الجبال .. كما أن الرسم له ملامح فنية جميلة توحي بالمعاني المتنوعة والأفكار الهادفة .. والمشاهد الجمالية المبدعة.. والفن تاريخ للعادات والتقاليد وطرق العيش وفن العمارة والتجارة وغير ذلك من مرافق الحياة.

من ذلك ما نشاهده خلال جولاتنا وزياراتنا للبلدان حيث نشاهد معالم عمرانية ومتاحف فنية تفيض بكنوز وذخائر تنبيء عن أمجاد وحضارات وإبداع.

وفكر. وعالم . ونشاط.

ولقد شاهدت خلال زيارتي لباريس متحف «اللوفر» وما به من مآثر تعود الى أعرق العصور وتحدث عن أخبار لم يذكر التاريخ الا عبر ما تبقى من هذه المآثر المعروضة ومجموعات من مختلف ما تبقى من حضارات شتى قديمة حتى أنه ليكاد يكون نسخة مصغرة ممن سبقونا من الاجيال من مختلف البلاد والعصور..

كذلك شاهدت في المتاحف الاسبانية أصنافا شتى للحضارة العربية الاسلامية تنطق بما وصلت اليه هذه الحضارة من مجد ورقي في الفن المعماري والذوق المتطور في فنون الابداع والزركشة والتجميل مما يدل على حضارة سابقة وصلت في زمانها الى أوج رفيع وقمة عالية يعسر ان يضاهيها في ذلك العصر سواء من حضارات الأمم الأخرى...

كذلك خلال زيارتي لتونس شاهدت في مدينة القيروان روائع الفن المعماري والمتمثل في أول مسجد بني في افريقيا وهو جامع القائد العربي المسلم عقبة بن نافع رحمه الله وما يمثله على قدم تأسيسه من فن معماري بديع وأصالة عربية اسلامية شامخة باقية الى الآن..

كما شاهدت في المتحف البريطاني نماذج تبين الحضارة العربية الاسلامية تمثلت في ادوات ومخطوطات ونقوش وفيها مما يعطي للمشاهد فكرة وانطباعا جيدا عن هذه الحضارة العربية الاسلامية.

وهكذا دواليك فالفن اصبح في عصرنا هذا عنصرا من عناصر اثبات التاريخ وتعريف الاجيال به عبر العصور..

وفي بلادنا لا تخلو من فنون مآثر عمرانية تتمثل في طابع متميز يجب العناية به والحفاظ عليه .. ان الكثير من المدن العربية الاسلامية ما زالت حافلة بالتراث الفني الحضاري العريق والمآثر الفنية المعمارية التي يجب الحفاظ عليها وضمان استمرارية ما تمثله من قيم وعادات وتقاليد.

وجدير بنا ان نستلهم ما تحويه فنوننا وما تمثله من تاريخ وقيم وحضارة تدعم لدى الشباب بالقيم الاخلاقية والمبادىء الاسلامية والشعور بالانتماء للوطن واشباع الحاجات الروحية والمادية والاجتماعية والاخلاقية..

وهكذا فالفن عنصر من عناصر تثبيت الحضارات وترسيخ المفاهيم .. وبلورة المشاعر وتهذيب الاحساس..

المطابع ودورها في بعث ونشر كتب التراث

تراث الأمة هو عنوانها وصورتها وأصالتها ونهضة كل امة لا تقوم إلا على أساس من فكر عميق ومستنير، وان عظمة الأمم تعتبر بتاريخها وعلمها. وإن الحديث عن التراث واحيائه لهو وفاء للماضي ودعم للمستقبل واستنباط العبرة منه لما يزخر به من معطيات حضارية ولعل من نافلة القول الإشارة إلى بيان قيمة التراث العربي الاسلامي إذ هو غني في نوعيته وكمه ويعتبر في قمة الانتاج الفكري وذروة العطاء العلمي رفعة ومجدا .. حيث انه حافل بالوان من جوانب المعرفة الأنسانية إلى جانب مصنفات الفقهاء وكتب المفسرين والمحدثين وكم أبدع اسلافنا من علوم ألفوا فيها كتبا لا تزال مصدر اشعاع في العالم حتى يومنا هذا رغم مرور القرون الطويلة عليها..

فهناك نماذج من أمهات كتب الأدب واللغة لمؤلفات الثعالبي وابن جنى والنويرى وبن قتيبة والقلقشندي والراغب الأصفهاني وابن النديم وياقوت .. وغيرهم وقد كان هؤلاء قبل أن توجد المطابع. فالمقريزي يذكر انه كان في خزانة العزيز بالله اكثر من ثلاثين نسخة من تاريخ الطبري .. لقد كان اسلافنا ينسخون كتبهم بايديهم فيروى عن احد النحاة انه كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب في بغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ويبيعه بعد ذلك بنصف دينار والروايات في هذا المجال كثيرة ومعروفة وطريفة.

إن التراث العربي الأسلامي لا يقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة الأنسانية بل يمتد ليشمل كل فروع الحضارة والفكر والتاريخ واللغة والجغرافية والعلوم التطبيقية بشتى أنواعها ومازال جزء منه رهين الخزائن والرفوف والأقبية المعتمة يتطلع إلى من ينفض عنه الغبار ويخرجه إلى ساحات النور.

وفي هذا العصر وبفضل اختراع المطابع التي كانت عاملا قويا وفعالا انتشرت الثقافة والمعرفة ومن ذلك كتب التراث بشكل سريع وفي أشكال وصور شتى.

ووصل الينا الكثير من كتب التراث مطبوعة ومحققة وموثقة وسيذكر التاريخ

فضل مخترع المطبعة جوتنبرج الالماني..

لقد انتشرت مئات الكتب من أمهات كتب التراث في الأدب والدين والتاريخ واللغة واستمرت تلك المطابع في نشر طائفة من كتب التراث كان لها دورها وفعاليتها في نشر الوعي والمعرفة والفائدة .. وهو جهد عظيم وعمل كبير فمن يقرأ المخطوطات القديمة ومقارنتها ودراستها ووضع الفهارس والتعليقات والاضافات والهوامش لها على قدر طاقتهم وامكاناتهم ليعجب كل العجب .. لقد كان لأولئك المحققين الرواد الفضل الكبير للمحققين والناشرين في العصر الحاضر .. فمن يطالع صبح الأعشى وكتاب الأغاني والقاموس المحيط وخزانة الأدب ولسان العرب وكتاب سيبويه وشرح الحماسة وغيرها من أمهات الكتب يدرك ويعترف بالجهود الكبيرة للمحققين والناشرين الأوائل.. وبهذه المناسبة فكم نحن في حاجة إلى مجموعة من المحققين المختصين بتحقيق الكتاب بوجه وطريقة علمية وعملية ولعل قسم المكتبات في جامعاتنا مسؤول عن ايجاد ذلك والأمل معقود عليهم في تحقيق الآمال والعناية بتراثهم المجيد الذي أثرى حقول المعرفة وهدى البشرية إلى النور.. فيقبلوا على تحقيقة وجمعة ونشره على أوسع نطاق..

الشعر والأدب في خدمة الجغرافيا

لقد قدم الرواد الأوائل من علماء الجغرافيا المسلمين ثروة علمية كبيرة ومن الانصاف تقدير دورهم بعد ادراك الظروف التي عاشوها وضآلة الامكانيات المتاحة لهم في السفر والبحث والتنقل والمتاعب التي تكبدوها في تجميع المعلومات والحصول على الأخبار ومعرفة الطرق والمناخ والمسالك وغير ذلك مما يحصلون عليه وما يكابدونه من شقاء وعناء وبلاء في سبيل معرفة الأماكن والبلدان وما أودع الله الأرض والجبال والبحار من العجائب والغرائب ومن يستعرض قصص الرحالة الجغرافيين وتنوع اساليبهم وقصصهم وكتاباتهم سيدرك بلا شك معاناتهم.

والواقع انهم قدموا للعلم عصارة اذهانهم وافكارهم ضمن مؤلفات ضخمة ما زالت موضع الاكبار والاعجاب. وكما هو معروف فان للعرب ولعا بالجغرافيا ومن يستعرض اشعار القدامى يدرك اهتمامهم بالمنازل والديار وذكر الاطلال والمعالم والمرابع والمناهل والجبال والأودية والشعاب والأكام والسهول وغير ذلك من المسالك والمرتفعات والمنخفضات والهضبات ووصفهم لأحوال الأمم وطبائع الشعوب ومناخ البلدان.

وما اخال جامعاتنا اليوم حين استعراضها واهتمامها بعلماء الجغرافيا من اسلافنا ممن أسدوا جليل الأثر الا وهي حريصة على الاستفادة من دراسات اسلافنا والتي ستبقى متجددة بتجدد الأيام والسنين والازمان.

وينبغي ان تبذل الجهود النافعة وان يتصدى الباحثون الجغرافيون من علمائنا الى نشر تلك المخطوطات الموجودة في المكتبات الأوربية والتي تنتظر نشاط الباحثين للافصاح والكشف عنها والى تطوير ما كتبه اولئك وتمحيص وتحليل ما ورد في تلك الدراسات.

فان احفاد اولئك العلماء والاسلاف هم أقدر الناس على معرفة الدروب في الصحراء والسهول والجبال والوديان بدلا من أن يحقق ذلك شكسبير وفيلبي وهاملتون وغيرهم ممن حرفوا النطق الصحيح لاسماء مدننا وجبالنا وأرضنا .. وبهذه المناسبة فقد قرأت منذ فترة ترجمة لكتاب يوميات هاملتون في رحلته من الكويت

الى الرياض فقد ذكر الاسماء العديدة للمدن والقرى وموارد المياه. ويعلم الله اني لم أعرف تلك الاسماء التي أوردها وقرأتها على بعض العارفين فأنكرها. والسبب انه حرف الاسماء وكتبها مغلوطة ومحرفه.

والواقع ان هذا الموضوع يحتاج الى عناية واهتمام من جانب باحثينا الجغرافيين ان الكثير من الدروب والمسالك والأرض والمياه والأودية ما زال الكثير من مثقفينا ناهيك عن العامة يتجادلون ويتنافسون بشأنها ومدى صحة تسميتها دون الوصول الى حل معين او محدد رغم ان العلماء القدامى قد وضعوا لها تعريفا وتحديدا.

ان وضع المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية هو بلا شك عمل جدير بالتقدير لما له من دور كبير في تحديد الكثير من المواقع والمدن والمعالم بصورة دقيقة.

وبعد فان تراثنا الجغرافي لا يقف عند حد وما زالت كتب علمائنا موردا ثرا تحتوي على معلومات موسوعية جديرة بالعناية والاهتمام.

السيرة الذاتية

نشرت مجلة الفيصل الغراء في عددها المرقم ١٧١ لشهر رمضان ١٤١١ هـ مقالة حول كتابة المذكرات وتزوير الروايات . . للاستاذ أسامة الألفي . . وذكر انها تستهدف غرضين هما الربح المادي وتقديم بطولات زائفة.

وتعليقًا على ذلك فليست كل المذكرات على هذا المنوال وإن كان جزء منها قد تنطبق عليه تلك الأغراض إلا أن قسما كبيرًا منها لايخلو من الفائدة فكل شخص في هذه الحياة لابد له من ذكريات في أي ناحية من نواحيها العلمية والاجتماعية أو الفكرية أو السياسية . . هي حصيلة تجربة في الحياة التي لاتخلو من تجارب وعطاءات وعبر ، وخاصة من بلغوا مرحلة الشيخوخة وتوقفوا عن العطاء وكان لهم دور مؤثر ومتميز . . ومن الخير إلا نبخس الناس أشياءهم والجزاء من الله.

إذ المذكرات أو السير الذاتية سجل للأحداث لأنها تتحدث عن تاريخ عصر من العصور وتصوير حقبة من الزمن مما يجعل في قراءتها متعة وفائدة لما تدل عليه من ملامح الحياة وماتحمله من أفكار وكشف لحقائق النفس بحيث يتجلى فيها صدق التعبير وتكوّن السيرة الذاتية فنًا من أجمل فنون الأدب وأكثرها قبولاً ورواجًا وأصبحت فنًا يزداد الاهتمام به في العصر الحاضر إذا يقبل عليه القراء إقبالا شديدًا وهذا النوع من الفن لايحتل مكانته وخاصة لدينا وفي العالم العربي قاطبة . . بينما نرى أدب السيرة الذاتية يتميز ويزدهر في الغرب وتحفل به دور النشر والصحافة والإعلام في البلدان الغربية محمود تيمور لقد حالت المعوقات النفسية دون ازدهار أدب السيرة الذاتية في الشرق بما ينطوي عليه من اعترافات صريحة . . أما ميخائيل نعيمة فيقرر في سيرته الذاتية «سبعون» إن حكاية ساعة واحدة من ساعات العمر أمر صعب فكيف يمكن حكاية سبعين سنة . .

إن مجال السيرة الذاتية نوع من أنواع الأدب وتتميز بأن كاتبها يكشف عن خبايا نفسه ويعرض حياته وتربيته وأساليب تعامله وما اعترى حياته من تجارب وخبرات وذكريات وممارسات ومواجهه من متاعب وما صادفه من مواقف طريفة ومثيرة وكذا توضيح الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى

لازمت مسيرة عمله بحيث يكون عرضه لتلك السيرة متسما بالوضوح والصراحة التي تعينه أن يخرج من ذاته ويقف من نفسه موقفًا موضوعيًا ولايخشى مواجهة تلك الأشياء التي مرت في حياته مهما كانت صغيرة أو كبيرة فهي تعبير عن موقف كاتبها واتجاهه ومايدور في مجتمعه من أمور وقضايا.

وتتباين السير الذاتية من فرد إلى آخر وبما تنطوي عليه من أفكار وتجارب وذكريات وأخلاق ومثل وعادات وغير ذلك مما يبرزها بشكل جلي..

ومن يستعرض التاريخ العربي الإسلامي يجده زاخرًا بالسير الذاتية لعدد كبير من العلماء والأدباء والمفكرين والرحالة والساسة والأمراء وغيرهم حيث قاموا بتسجيل وسرد سيرهم وابرازه في مؤلفاتهم وذلك في وصفهم لنشأتهم وتعليمهم وسلوكهم ورحلاتهم وما صاد فوه من مشاق ومحن وما شاهدوه من آثار وبلاد وأحداث وماتركوه من عطاء وانتاج ومؤلفات كالجاحظ وابن حزم والغزالي وابن خلدون وابن بطوطه وياقوت الحموي وابن فضلان والمقريزي.

كما نشر العقاد ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، والمازني ، والزيات وغيرهم فصولاً عن سيرتهم الذاتية . . حيث تحدثوا ووصفوا ماجرى لهم وما أحاط بهم من ظروف وحوادث فسجلوا ذكرياتهم وسيرتهم العلمية والشخصية واهتماماتهم الفكرية ومشاهداتهم في البلدان التي زاروها . .

إنها تجسيد لصورة الحياة والعصر الذي عاش فيه كل منهم وشكلت حياته وماتميز به من علم وفنون فكرية.

وفي العصر الحاضر ظهرت مجموعة من الكتب تتسم بالاعترافات والمذكرات واليوميات والرسائل وهي ترجمة لحياة كاتبيها وتصوير لعصرهم واماطة اللثام عما كانت عليه حياتهم وتعاملهم مما قد لايعرفه سواهم من أسرار حياتهم ووجهات نظرهم . . وتنطوي بعضها على تجربة وخبرة وفائدة وتجارب عاشها أصحابها وخاصة من كان لهم دور بارز ومؤثر في مجرى الأحداث..

وهكذا تظل صورة من الصور التاريخية والأدبية لها أثرها في إثراء الفكر والأدب والمعرفة ويجد فيها القراء دروسًا وعبرة وفائدة ومتعة.

من الأحاديث الأدبية العابرة

في جلسة أدبية التقينا .. مجموعة من الأدباء والشعراء ولا أدري كيف التقينا وسرعان ما تحول اللقاء الى حوار أدبي ونقاش فكري وتبين لي من خلال النقاش اختلاف مفهوم الأدب عند البعض ، فمنهم من يرى ان الأدب جد وتفاعل ، وآخر يرى أنه ضرورة للحياة وآخرون يرون أنه لهو وترف وحرفة ، ولقد قلت إنه رسالة يضطلع بها الأديب نحو أمته ووطنه ومجتمعه ، هو عطاء واحساس وشعور واستقراء ، فالادب متعة مجلسنا ويتشعب بنا الحديث في افانين شتى من الأدب والشعر والنقد ، وكنا نختلف مع بعضنا في الرأي وهذا شيء طبيعي وكل يدلي بحجته ورأيه في منطق حتى يقنع زميله . إن اختلاف الرأي في قضايا الأدب أمر طبيعي . ولقد طرح أحد الأخوة سؤالا حول المسرحية في الشعر العربي فقلت ان المسرحية لم تكن معروفة في العصر القديم رغم أن العرب درسوا علوم اليونان وفلسفتهم وترجموها فانهم لم يتأثروا بذلك وعلق أحد الزملاء على أن شوقي الشاعر هو الذي أوجد المسرحية وجرى على نهجه كثير من الشعراء كعزيز أباظة ، وقلت لا تنسى الملحمة ، فقد كان للشعراء العرب بعض المحاولات كما فعل أحمد محرم في الالياذة الاسلامية ويجب ألا نغفل دور المعلقات فهي أشبه ما تكون بالملاحم ولقد ضاع شعر كثير أقرب ما يكون الى الملاحم ولا أعتقد أن دانتي وملتون هما أصحاب الملاحم فقط فعوادي الزمن والحروب والاهمال والنكبات التي حلت بالعرب أضاعت الكثير من الأشعار ولا أستبعد أن يكون في جملة ما ضاع شعر أقرب ما يكون إلى الملاحم. يقول عمرو بن العلاء «ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافر لجاءكم شعر كثير.

وأخيرا ليس الأدب ترفا كما يحلو للبعض قوله فهو تعبير عن العواطف والمشاعر وتصوير للمثل النبيلة وتجسيد للمعاني العالية وزاد غني وافر الأحاسيس والعواطف يحملك على أن تجعله في طيات الصبر إنه خواطر وهمسات العواطف فالأدب تعبير وبيان وإبداع يوقظ الشعور ويثير النفوس ويلهب العزائم ويأخذ بمجامع القلوب.

وفي نهاية هذا الحديث الأدبي اسمعنا البعض شيئًا من تراثنا من النثر المشرق وتباري الإخوة في صناعة القوافي ونوادر من فيض الذاكرة وكأننا في عكاظ أو في ناد من أندية الأدب وانفض السامر الأنيس وقد امتلأت المشاعر بالأدب وازدادوا حبا، وجنوا فوائد أدبية، وتلك بلا ريب سيرة الأدب وسموه.

حول أهمية الكتب تأثيراً في الثقافة العربية (*)

شكراً لجريدة الشرق الأوسط على اهتمامها بالثقافة والفكر مما يدل على ما للثقافة والفكر من قيمة في نفوس القائمين عليها وإن طرح مثل هذا الموضوع لما يبهج النفس ويستثير الوجدان بمعاني الفكر وأهميته في ذاكرة الأمة العربية .

وإن أهم الكتب تأثيراً في الثقافة العربية خلال القرن العشرين كتب عدة ليس من السهل حصرها في هذه العجالة فهي ذات ألوان شتى تجسد رؤى عدة وكان لها دور ريادي فاعل في مجالات العلم والأدب والمعرفة ونشر الوعي والثقافة وكان لها أثر في مسيرة المجتمع العربي وتطوره، ويمكن الإشارة إلى كتب التراث التي جرى طبعها وتحقيقها وتوثيقها وهو جهد عظيم وعمل كبير فمن يقرأ صبح الأعشى وكتاب الأغاني والقاموس المحيط وخزانة الأدب ولسان العرب وكتاب سيبويه وشرح الحماسة وغيرها من أمهات الكتب التي كان لها تأثير في الثقافة حيث قام محققوها بالطباعة ووضع الفهارس والتعليقات والهوامش لها يدرك الجهد الكبير الذي بذل في سبيل اخراجها واستفادة القاريء منها بل إنها أثرت حقول المعرفة في مجالاتها وكان لها تأثيرها ، كذلك لاننسى ما قامت به دور الثقافة ومراكز البحوث والجامعات والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجامع اللغوية ، فقد أصدرت جميعاً عشرات الكتب والمؤلفات ذات القيمة العلمية والأدبية وإلى جانب تلك الينابيع الثرة من أمهات الكتب فنجد من أهم الكتب دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي وعبقريات العقاد وفي ظلال القرآن لسيد قطب وكتب الأستاذ محمد عبد الله عنان عن الأندلس وزكي مبارك وكتبه الأدبية ، وأحمد أمين في التاريخ الإسلامي.

وكتب الدكتور طه حسين وخاصة كتابه الأيام الذي ترجم إلى عدة لغات ، ووحي القلم للرافعي وغيرها من الموائد الشهية كذلك كتاب « حضارة العرب»

(*) وجهت جريدة الشرق الأوسط سؤالا للمؤلف حول أهمية الكتب تأثيراً في الثقافة العربية فكانت هذه الإجابة.

لمؤلفه جوستاف لوبون فكلما قرأه المرء أنبهر وامتلأ إعجابًا وإكبارًا لأسلافنا الذين نشروا ضياء العلم وقد تحدث عن المفكرين العرب ودورهم في نشر المعرفة وإشادته بابتكاراتهم فهو كتاب يثير الإعجاب.

إن مجال القول ذو سعة في هذا الميدان فالكتب متعددة والمهم أن يصحبها نقد موضوعي ملتزم بقواعد النقد ومناهجه ويعطى الرأي الصحيح في الكتاب وأهميته ، فالناقد الموضوعي يظل عامل بناء وتقويم يضئ الدروب ويشعل الشموع ليغمر شماعها كل طريق وخاصة في هذا العصر الذي نشهد فيه تراكمًا معرفيًا في تاريخ الأدب والثقافة والفكر وهي كتب ذات ثروة فكرية تستطيع من دراستها وتقويمها ونقدها أن ترتفع بمستوى الفكر والثقافة العربية خلال هذا القرن وتحقيق ما نطمح إليه من تطور ايجابي فاعل في مجالات الثقافة الرحبة الواسعة بحيث يخصب في ظلها الفكر وتتبلور فيها الثقافة والمعرفة ورحم الله أسلافنا الذين كانوا يحرصون على الكتب ويهتمون بها ويقول أحدهم:

جل قدر الكتاب ياصاح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرًا

بقى أن أقول إنه لشئ جميل أن ينشط حماسنا وإحساسنا إلي أهمية الكتب تأثيرًا في الثقافة العربية خلال القرن العشرين فتجسد ذلك من خلال أهتمامنا بالكتب والإقبال على القراءة بكل قدرة ورغبة واستيعاب وتحريك الركود الثقافي في الساحة العربية والتي تواجه اليوم هجمة شرسة وغزوًا فكريًا للسيطرة على العقول والأفكار والعواطف ، وكم نحن بحاجة إلى المحافظة على شخصيتنا الفكرية المتميزة وتقويتها وبعث الثقة في قدرتنا على العطاء الجيد مع الاستفادة من مصادر الثقافات الأخرى.

في مفهوم الأدب والنقد

للأدب رسالة جليلة وأهداف نبيلة اذ هو كما يقال خلاصة عناصر متعددة من لغة وأساليب ومعاني ومن يلق نظرة على كتب تاريخ آداب اللغة العربية في العصور المتعددة منذ صدر الاسلام الى العصر الحديث يدرك الثراء اللغوي والأدبي يتجلى في مجموعة من الكتب ومن الكتب الحديثة كتاب أدب اللغة العربية للمرصفي وخلاصة أدب اللغة لابراهيم عبد الخالق وتاريخ علم الأدب ـــ للخالدي وتاريخ آداب اللغة العربية لمحمود ذياب وأدبيات اللغة العربية لمحمد بركات وغير ذلك من الكتب التي ألفت في هذا الميدان وهي تكملة لجهود أدباء العرب القدامى في هذا المجال ولا ننكر في هذا المجال ما قام به المستشرقون حيث بادروا الى ولوج باب دراسة الأدب دراسة تقوم على الاسلوب المنهجي كما أن كتاب تاريخ التراث العربي لمؤلفه محمد فؤاد نركبن قد صنف التراث وسيكون مرجعا مفيدا في هذ المجال.

ولقد عالج الأدب والأدباء أغراضا متعددة مع اختلافهم في الطريقة والأسلوب وفي تصوير المعاني وما يتفاضل به البعض ويمتاز به من تجارب وخبرات وقد رات وتفاعل وأخيلة وعواطف واجادة وابداع .. ولذا نجد الأدب الموضوعي الرصين يكتب له البقاء والخلود.

ان الاستعداد الفطري ضروري جدا لأنه الأصل والأساس الذي يدفع صاحبه الى ممارسة هذه المهنة ..

ولقد ركز ابن الأثير في كتابه المثل السائر على هذه الناحية فأوضح أدب الكتابة والشعر لمن يريد أن يتعلمهما مع أهمية الذوق الأدبي والطبع الفطري ..

وليس هنالك من شك في دور الناقد الأدبي في بعث النشاط الأدبي والعمل على النهوض بالأدب ودفع موكبه الى الامام .. فالنقد ضرورة أدبية اذ الناقد هو الذي يقيم الأعمال ويحاول الكشف عن حقائقها وما يراه نافعا ومفيدا .. فهو مصلح وقف قلمه في سبيل خدمة الأدب والمجتمع ويرسم الطريق الأمثل ويضع

المقاييس الأدبية وفق مناهج البحث النقدية، ان الأدب فن من الفنون الأصيلة العريقة التي حظيت باهتمام الأمم وحفاوتها في مختلف عصورها واحلتها المحل الرفيع والمكان اللائق وما النقد الا عامل على ابراز نواحي الضعف والقصور في الانتاج والعمل الأدبي ..

ان نقاد الأدب تقع عليهم مسئولية كبيرة في تسليط الأضواء وتمييز العمل الجيد واصدار الأحكام بتدبر وامعان بعد دراسة متأنية وفحص دقيق وقياس وتمييز ومعرفة واعية وفهم عميق بأصول النقد واتجاهاته وغاياته ومقاصده ولعل مما يؤسف له أن نقرأ بعض الأحيان نقدا .. بعيداً كل البعد عن الطريق والمنهج السوي .. ان الالتزام بقواعد النقد وأصوله أمر على جانب من الأهمية لمن يمارس ويزاول فن النقد الأدبي ومن هنا كانت أهمية الأدب رفيعة ودور الناقد وقدره كبير وعليه ان يرتفع بها الى آفاق واسعة مع مراعاة الصفات الخلقية واحترام الآخرين حتى يظل الناقد جديرا باحترام وثقة القراء والأدباء.

في ديار الغرب

قمت برحلة إلى بعض البلدان الأوروبية فكانت هذه الأبيات:

رأيت بلاد الغـرب في كل صـورة تجلت بأنواع من الحـمـد والذم
لئن راقني رأي جـمـيل منسق فـمـا راعني إلا مـزيداً من العلم
ففي «لندن» شاهدت فيها حضارة من العلم والتنسيق فيها على وسم
وإن تك «باريس» عن العلم أسفرت على مـركز عـال ومجد بها ضخم
تؤم من الشـبـان من كل دولة منابعـهـا في العلم لاشك كـاليم
«سـويسـرة» دار المناظر والرؤى «فيينا» بها دور المتاحف والنظم
و«أسبانيا» أرض السياحة والهناء ولكنني فـيـهـا شـقـيت من الغم
تذكـرت أمـجـاداً وعلماً وحكمـة لأسـلافنا أهل المكارم والعظم
رعى الله أيامـا لهم برحـابهـا فكانوا مصابيح الحضارة والحكم
ومـهـمـا يكن حسن وأي جواذب فـإني لتطلابي العـلا وهي لي همي
ولكن غـريب الدار مـاعـز هين يصـاول أهوال المتـاعب بالعـزم
ولافـخـر للإنسـان إلا بصـبـره وخلق تحلى منه بالدين والحلم
ولكن وإن سلّتك فـيـهـا مناظر وتاهت على الدنيا بوعي على فهم
فـإنني إلي ربعي ومنشـأ أمـتي نبت بها فكراً وشاب بها عظمي
رعى الله في أرضي كـراماً أحـبـة على الوطن الغالي كغيث بها يهمي
وكل بلادي في المكارم وحـدة فـمن رائد بأن إلى قـائد شـهم
تفـانوا بتكريم الغـريب طبـيـعـة لإنسـانهـا للحب في قلبـه ينمي
رأيت بلاد الغرب فيـهـا مـساوئا تمازج فـيـهـا الخـير بالشر والإثم
لقـد غـرقـوا فـيـهـا بلج رذائل بحـرية قـادت إلى السوء والهدم
فـخـذ منهـمـو علماً يفـيدك خـيره ودع باطلا إن رامـه المرء قد يعمي

فيـــارب زدني عـصـــمـــة وعـــزيمة بهـا أنتـأي عن كل عـيب لنا يصـمى
لـنا عـــــزة تأبى المذلـة والـهـــــوى ودين ينـادينـا إلى الجـــد والحـــــزم
نشـاهد في الأسـفـار حـاسـد نعـمـة ونســمع ألوانًا من البـغض والشــتم
نـقـــــابلـه منا بأخـــــلاق ديـننـا وبالأدب المحـــبـــوب والخلق الجم
فـينصـــاع طوعًا بـعـد عنف وشـدة ويثني علينا بعـــد أن كـــان ذا ظلم
وأخـــلاقنـا طبع وليـــست تطبـــعـــا وأهل وفـــاء في الخـــلاف وفي السلم

إلى شاعر العروبة
«المتنبي»

أشـــاعـــرنا جـــئت بالرائعـــات ... وذكـــرك في الكون يسـمـــو ذيوعـا
ركـــبت الصـــعـــاب فـــذللتـــهـــا ... ولم يك شـــيـــئـــا عليك منيـــعـا
يمر عـليك الـزمـــــــان وتبـــ ... ـقي منيـــــرا وروضًا بديعـــــا
مـــلأت الدهور أديبًا عظيـــمـــا ... كـــشـمس النـهـار لدينا سطوعـا
تصـــارع ريحـــا شـــديد الهـــبـ ... ـوب بدهر عـصي أبي أن يطيـعـا
قـــريضك من عـــبـــقـــر نابع ... وهل أنت إلا البليغ الضليـــعـــا
وذكـــــرك في الدهر نفح الخـــزا ... مي كـــأنك منهـــا تشم الربيـــعـا
قـــهـــرت الخـــصـــوم بنحت بليغ ... ولسنا نرى لك ندًا قـــــريعـــا
أديب العـــــروبة يامن أضـــــأ ... ت لنا بدروب القريض الشـمـوعـا
وتـــاج الإمـــــــــارة كـل لـه ... لأمـــرك بات مـــجـــيـــبًا مطيـعـا
ومـــا الكون والســـاكنوه لعـــمـ ... ـري لقـولك إلا بصـيـرًا سمـيـعـا
أخـــذت الصـــدارة في قـــدرة ... وحـزت على الكل مـجـدًا رفـيـعـا
ومـــاكـــفـــروا بك يا أحـــمـــدًا ... مـقـامـا ولم تنسى يومًا صنيـعـا

✿ ✿

الدارة وموكب التاريخ

بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس دارة الملك عبد العزيز
ولهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة:

دار بهـــا قلبي يجـــيش ويخـــفق وبذكـــرها يشـدو اللســـان وينطق
أيامـــهـــا الغـــرا لحـــســـان شـــواهد أرواحنا لـــك بالمحـــبـــة تورق
صـــانت لنا التـــاريخ في أرجـــائهـــا وبهـــا تراث مـــاجـــد يتـــألق
العلم والتـــاريخ فـــيـــهـــا حـــافل وبهـــا الوثائق والمصـــادر تصـدق
والدين والإخـلاص فـيض مـعـينهـا وبهـــا من التـــاريخ مـــالا يخلق
أمـضـيت أعـوامًا بـهـا مـغـروسـة في القلب ذكـراها تضيء وتشـرق
والدارة المثـلـى لســـــان نـاطق بثـــقـــافـــة ببـــلادنـا تتـــدفق
حـــيـــيت يا دار المعـــارف والعـــلا فلكم نهـــضت بكل ذكـــر يســـمق
تاريخنا عـــبـــد العـــزيز ضـــيـــاؤه في الحـــافـــقين لـه سناء يشـــرق
عـــبـــد العـــزيز العـــبـــقـــري إمـامنا نعلو به فـــخـــرًا وذكـــرا يخـــفق
مـــلأ البـــلاد مـــفـــاخـــرًا ومكارمًا في كل أمـــر في الحـــيـــاة مـــوفق
يامـــوكب التـــاريخ قف في دارة المجـــد في جنبـــاتهـــا يتـــدفق
تبـــدي مـــعـــالمه وتنشـــر ذكـــره أصـــــداؤه في كل فـــــعل يعلق
سـفـر لمن يهـوى الثـقـافـة بـاحـثًا ولهـا السـعـودي المثـقف يعـشق
عن مـــجـــد دولتـــه وعن تاريخـهـا وعن المآثر عن بلادي تصـــــدق
والعلم والتـــاريخ طود شـــامخ في الدار تاريخ بهـــا يتـــوثق
تبني صـروح الفكر شـامـخـة الذرا وجـــــديدها في كل حين ينطق
منحت لأهل البـــحث كل تعـــاون وغـدت مـحـجـة بـاحث يتـعـمق
وبهـــا المجلة قـد زهت بمعـــارف ترنو لهـــا كل العـــيـــون وترمق
هى مـــعـــقل التـــاريخ رمـــز مـــآثر كـــالنجم في كـبـد السـمـاء يتـألق

طارت إلى الآفاق شهرتها وما ... زالت بنشر للمآثر تسبق
هي موئل الفصحى ودرع حماتها ... روح تفيض على الأنام وتدفق
وتنير درب الباحثين إلى الذرا ... غرب البلاد زهابها والمشرق
كلماتها كم صد محكم فتلها ... صوتًا سفيهًا للسفاه يلفق
تعتز بالفكر المجيد وترتقي ... نحو السها وبحكمة تتحقق
برسالة الآداب عز جنابها ... تحيي التراث وللمفاخر تسبق
قد سطرت صفحاتها بمآثر ... فاحت زنابقه أريجا يعبق
يهفو لها القراء شوقًا إنها ... علم يرفرف في البلاد ويخفق
حوت المعارف والبيان ، بحكمة ... فاضت به مزهوة تترقرق
يادار فيك من الحياة جلالها ... ساحاتها روض جميل مونق
يلقى بك القراء سلوة فكرهم ... في كل فن في المعارف معرق
عشرون عامًا قد أضاءت دربها ... عن كل معرفة لنا تتفتق

بدعوة من المجمع الثقافي في أبو ظبي
لحضور اجتماع المؤرخين العرب نظمت هذه القصيدة

في ربوع الخليج

يارحلة نحو الخليج قصدتها ... في متعة ومسرة وتلاقي
لزيارة الإخوان في أنحائه ... بمودة من خلك المشتاق
وعلى البوينج صعدت في أرجائها ... والشمس تبدو غاية الإشراق
تزدان بالدفء الجميل أشعة ... في منظر متوهج رقراق
ورأيت موج البحر يبدو رائعا ... متهاديًا في رقة ووفاق
تتراقص الأمواج وسط بحاره ... تبدو بذلك قدرة الخلاّق
والحوت يبدو حولنا بمياهه ... مع نوعه ببراعة وسباق
ويعود جل القوم من رحلاتهم ... عند المساء بجلائل الأرزاق
يابن الخليج إليك فيض تحية ... ترنو لكل محبة وتلاقي
نهفو إليك بكل قلب خافق ... وبكل إخلاص من الأعماق
تاريخ أمتنا بساح خليجه ... قد سجلوه بناصع الأوراق
إن المؤرخ للبلاد عميدها ... أهلاً بصحب وافد ورفاق
وليحفظ المولى الكريم خليجنا ... في ظل شعب راسخ الأعراق
وإلى الجميع تحية ومودة ... نفحاتها ممتدة الأعناق

✿ ✿

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٩
على مـــائدة الأدب	١١
الأدب ورسالته في الحياة	١٩
بين النقد الأدبي والتاريخ الأدبي	٢٠
في رحـاب الأدب	٢٤
النقد فن يجب أن نتعلم أصوله	٢٦
لنفتح صدورنا للنقاش الأدبي	٢٨
بين الأديب والناقد	٣٠
حوار في الأدب والنقد	٣٣
الناقد الحصيف من يملك الرؤية السليمة	٣٥
هدف النقد وواجب الناقد الأدبي	٤٠
ينبغي عدم الإساءة بالناقد الادبي	٤٢
أدبنا في ميزان النقد	٤٤
لكي ينمو أدبنا لابد من نقد ينهض به	٤٥
الإعـلام والأدب	٤٨
نحو مستقبل أدبي	٥١
في النـقـد الأدبي	٥٦
الحركة الأدبية في المكتبة – السعودية	٥٨
ما أخطر رسالة الأديب في مسار هذه الحضارة	٦٠
نظرات في التراث	٦٢
حماية اللغة العربية	٧٢
اللغة العربية وحضارة العصر	٧٤
صمود اللغة العربية عبر القرون	٧٦
في مجال اللغة العربية وآدابها	٨٠
المجمع اللغوي صرح جديد من صروح العلم والمعرفة	٨٢
أهمية تعريب المصطلحات العلمية والفكرية	٨٦

الترجمة وآثرها في الادب ٨٨
الديباجة في الأدب العربي ٩٠
الأمثال في الأدب العربي ٩٢
مع الأدب الأندلسي ٩٤
بين الشعر والحياة ٩٦
الشعر ديوان العرب ٩٧
وظيفة الشعر ٩٨
دور الشعر في تقويم الألسنة وتهذيب الوجدان ٩٩
مع الشعر والشعراء ١٠٠
نظرة في ديوان شاعر ١٠٢
حول التيارات الشعرية الوافدة ١٠٤
حول جائزة الدولة التقديرية في الأدب ١٠٦
شخصيات أدبية ١٠٩
حال المقامات الأدبية وخصائصها ١١١
المكتبات مفتاح العلم ومعقل الأدب ١١٣
حول القصة والمسرحية ١١٦
نظرة إلى المخطوطات ١١٨
مع فكر العقاد وأدبه ١٢٠
في مكتبة الملك عبدالعزيز ١٢٢
الموسوعات وأهميتها في التطور الثقافي والعلمي ١٢٥
رحلات أدباء نجد وعلمائها ١٢٧
البحوث الأدبية في جامعاتنا ١٣٥
في محيط الثقافة ومفهومها ١٣٧
الملاحق الأدبية تثير همم الأدباء ١٤٠
عناية الأدباء والمؤرخين والرحالة بالجزيرة العربية ١٤١
في أدب الرحلات ١٤٤
في أدب الأطفال ١٤٧
الوثائق ودورها في خدمة الأدب ١٤٩
التعريف بأدبنا ١٥١
من مصادر الثقافة والأدب «بيت الحكمة» ١٥٣

الميراث الثقافي ١٥٦
الفن في خدمة الأدب ١٥٧
المطابع ودورها في بعث ونشر كتب التراث ١٥٩
بين الشعر والأدب والجغرافيا ١٦١
السيرة الذاتية ١٦٣
من الأحاديث الأدبية العابرة ١٦٥
أهمية الكتب تأثيراً في الثقافة العربية ١٦٧
في مفهوم الأدب والنقد ١٦٩
في ديار الغرب ١٧١
إلى المتنبيء ١٧٣
الدارة وموكب التاريخ ١٧٤
في ربوع الخليج ١٧٦

مطابع العزرق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣